عمادة الدراســــــات العليـــا
جامعة القدس

الكون والإنسان دراسة تحليلية واستعراضيــة للماضي والحاضر

عبير فرح عوض عمرو

رسالة ماجستير

القدس – فلسطين

عام 1427هـ - 2006م

الكون والإنسان دراســـــة تحليليـــــة واستعراضيـــــــة للماضي والحاضر

إعداد:

عبير فرح عوض عمرو

بكالوريوس دعوة وأصول الدين

كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة القدس / فلسطين

إشراف: الدكتور: عماد أحمد البرغوثي

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية المعاصرة

برنامج الدراسات الإسلامية المعاصرة / كلية الآداب – جامعة القدس

عام 1427هـ - 2006م

جامعة القدس
عمادة الدراسات العليـــا
برنامج الدراسات الإسلامية المعاصرة

إجازة الرسالة

الكون والإنسان دراسة تحليليـــــة واستعراضيـــــة للماضي والحاضر

الطالبة: عبير فرح عوض عمرو
الرقم الجامعي: 20210857

المشرف: الدكتور: عماد أحمد البرغوثي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ ..... من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقعيهم:

1. **رئيس لجنة المناقشة : الدكتور : عماد البرغوثي. التوقيع .....**
2. **ممتحناً داخليـــــــاً :الدكتور : حسين الدراويش . التوقيع .....**
3. **ممتحناً خارجيـــــاً : الدكتور : خالد علوان . التوقيع .....**

القدس – فلسطين

عام 1427هـ – 2006م

الإهـــــــداء

إلى أغلى الناس وأعزهم إلى قلبي: والدي الحبيب "فرح عمرو"، وأمّي الرائعة الحنونة: الحاجة "أم عوض" سر سعادتي، ومصدر نجاحي.

إلى مهجة القلب، وعديل الروح زوجي الغالي: "وليد حمدان الغول" ووالديه الكرام.

إلى روح أخي الحبيب: الشهيد عوض عمرو.

إلى أخي وأختي.

إلى المكتبة الختنية في المسجد الأقصى المبارك.

إلى أستاذي الفاضل: الدكتور عماد البرغوثي.

إلى كل شهداء الأمة ومجاهديها في شتى بقاع الأرض .

إلى فلسطين الحبيبـــــة.

إلى كل مسلم ابتغى وجه الله فيما يَعلَم ويُعلِّمْ.

إقرار

أقرّ أنا مقدّم الرسالة أنها قدّمت لجامعة القدس لنيل درجة الماجستير، وأنّها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تمّ الإشارة له حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة أو أي جزء منها لم يقدم لنيل أية درجة عليا لأي جامعة أو معهد.

التوقيع:.....

اسم الطالبة: عبير فرح عوض عمرو

التاريخ : 2006/4/27م

شكر وعرفـــــــــــان

لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للدكتور عماد أحمد البرغوثي على ما قدّمه لي من توجيه بنّـــاء من خلال إبداء ملاحظاته النيّــرة أثناء مرحلة الإشراف، سائلة المولى تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.
كما وأقدم عظيم امتناني لزوجي الغالي: وليد حمدان الغول الذي لم يألُ جهداً في تقديم شتى أنواع الدعم لي، ومما أبداه من صبر وسعة صدر طيلة فترة الدراسة.

وأشكر لجنة المناقشة الممثلة بالأعضاء:
الدكتور : خالد علوان
الدكتور : حسين الدراويش

وكل الامتنان والعرفان لجامعة القدس الشامخة لدورها الرائد في إنشاء برنامج الدراسات العليا، مساهمة منها في رفعة هذا البلد المرابط وأهله.

وأشكر زميلتي الرائعة ذات اليد السحرية في الطباعة، وفاء هلســـــه لتعاونها الكامل معي في طباعة الرسالة.

وأتوجه بالشكر لكل من دعمني بالكلمة الطيبة المشجعة، أو مدّ لي يد العون بكل أشكاله، من معلمين ومشرفين، وزملاء في قسم الدراسات الإسلامية.

وأشكر جزيل الشكر المكتبة الختنية في المسجد الأقصى المبارك ممثلة بمديرها الشيخ حامد أبو طير ومساعده الحاج مروان النشاشيبي على تعاونهم التام معي خلال البحث.
ولا يفوتني أن أشكر كل أهلي وأقاربي وأصدقائي، وكل من أعانني على إخراج هذه الرسالة.
داعية الله – تعالى – أن يتقبل منّا، وأن يسدد على طريق العلم النافع خطانا

ملخص الرسالـــــــة

بعد بحث متواصل كنت أتنقل خلاله بين المكتبات من أجل استخراج المعلومات من المصادر ذات العلاقة بموضوع الرسالة: "الكون والإنسان، دراسة تحليلية واستعراضية للماضي والحاضر" تم تحقيق الأهداف الرئيسية للبحث والتي تمثلت بما يلي:

* إبراز تطور مفهوم الكون عند الإنسان منذ عهد الحضارات القديمة مروراً بعصور الكتب السماوية: التوراة والإنجيل والقرآن، ثم عند بعض علماء المسلمين في عصر النهضة العلمية الإسلامية، وصولاً إلى عصر النهضة العلمية الحديثة.
* التعرف على أهم المؤثرات التي ساهمت في تطور مفهوم الكون لدى البشر، من فلسفة ووحي وعلم، وإظهار النتائج الإيجابية والسلبية لكل مؤثر ومدى مساهمته في تقدم البشرية أو تخلفها.
* والهدف الأساسي الذي سعينا للتوصل إليه من خلال العرض السابق هو: معرفة مدى تأثير التراكم العلمي على تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم.

ومن أهم مبررات هذا البحث هو: محاولة حماية تفسير آيات القرآن الكريم من العبث المقصود أو غير المقصود، وذلك بمنع تحميل الآيات الكونية معانٍ لا تحملها، أو صرفها عن معانيها التي أرادها الله تعالى.
والدافع لهذه الدراسة هو: ظهور تفاسير كثيرة عند علماء المسلمين قديماً وحديثاً تتناول تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم من خلال "العلم"، لذلك أصبحنا بحاجة ماسة لمعرفة مدى تأثير التراكم العلمي على تطور تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم، من أجل قبول ما هو مفيد ويخدم القرآن في دعوته إلى توحيد الله وعبادته وتثبيت العقيدة في النفوس، ورفض كل ما من شأنه زعزعة إيمان الناس بكتاب الله تعالى.

والمنهجية التي تم اتباعها في هذه الدراسة، والتي حققت الأهداف المرجوة: هي طريقة البحث الوصفي المسحي الاستعراضي، الذي يقوم على أساس من استقصاء المعلومات من المصادر المكتبية والأدبية المناسبة للموضوع.

ومن خلال هذه المنهجية خلصت إلى النتائج التالية:
* أن التراكم العلمي كان له أثر إيجابي في خدمة القرآن الكريم، حيث ساهمت العلوم في توسيع فهم معاني ألفاظ آيات القرآن الكريم التي تتناول الكون، مما جعل المسلمين يفهمون هذه الآيات

بوضوح أكثر، ويستشعرون مدى إعجاز ألفاظه الصالحة لكل زمان ومكان، الأمر الذي عمل على زيادة الإيمان بالله، والتعرف عليه من خلال خلقه.

* وأظهرت هذه الدراسة: أن التراكم العلمي يعمل غالبا على تصحيح الفكر في كل تصوراته وعلى رأسها تصوره للكون، فكان العلم عاملاً رئيسياً في جلب الخير للناس في أغلب الأحيان، وذلك من خلال ازدياد الطموح البشري للتعمق أكثر في مكنونات الكون، وبالتالي تسخيره للناس بما ينفعهم ويعينهم على أداء مهمتهم الأساسية: وهي الخلافة في الأرض، وعبادة الله فيها.
على عكس الفلسفة المفتقرة إلى الدليل والقائمة على الخرافة التي كانت تحط من الفكر، وتقود الناس نحو التخلف الحضاري.

* ومن النتائج التي تم التوصل إليها : أنه لا يمكن للعلم وحده التعرف على حقائق الكون، بل دائماً هو بحاجة إلى المعلومات التي مصدرها الوحي لإتمام صورة الحقيقة، وعليه فإننا نرى أن الوحي كان دائماً قارب النجاة للعقل من الحيرة التي تصيبه عندما يعجز عن التوصل إلى الحقيقة كاملة.

* وأهم نتائج هذا البحث : إبراز أن أصل مادة الكون هو الماء ؛ حيث عرضنا مجموعة من الدلائل المستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تظهر قصة الكون منذ أن خلق الله تعالى الماء ، ثم أخرج منه الدخان الذي تكاثف مع بعضه بعضا ليصبح كتلة واحدة متماسكة ، ثم عرضنا كيفية فصل هذه الكتلة عن بعضها بعضا وانتشار الدخان الذي فيها ، وكيفية تشكل الكون منه ، وأبرزنا تطور الكون وتوسعه إلى ما شاء الله ، ثم عرضنا النهاية التي تبين رحلة عودة الكون إلى كتلة واحدة بعد انكماشه ، ثم انطلاقه في دورة كونية ثانية بشكل آخر .

Thesis abstract

After a continuous research, in which I was moving between libraries to abstract information from related resources to the subject of the thesis (the universe and the human beings, analytical and a preview study for the past and present). I have achieved the main aims of the research as follows:

- Rising up the development of the universe concept to the human being, since ancient civilizations and through the holy books ages until the age of recent scientific rise.

- To ` ecognize the most important effectives that contributed in developing the universe concept to human brings, such as philosophy, inspiration, knowledge and showing positive and negative results of each effect it also shows to what extant it can affect in the development of human beings.

- The main aim in which we sought to reach by the above demonstration is: knowing to what extant the effect of the scientific accumulation can be on the interpretation of the universe verses in the holy Koran.

- The most important justification of this research is an attempt to protect the interpretation of the holy Koran verses from the intended or not intended mischievousness, through preventing misinterpretation of the Koran universe verses by implying other meaning which are not implied or distracting it away from it's original meaning which our greatest god wants.

- The motive behind this study is the apparition of so such interpretations of Muslims scientists now and in the past that interprets these universe verses in the holy Koran by using science so we became in urgent need to know to what extant science accumulation on the development of the interpretation of the universe verses in the holy Koran, so as to accept beneficial and able to serve biddings that call for god's only worship and the confirmation of Islamic belief inside individuals and rejecting all that makes belief of the holy Koran (god's book) unstable.

- The research methodology that has been followed in this study has achieved the desired aims is the descriptive cadastral exhibition way of research that depends on the base of investigating information from the library and other literary suitable to the subject resources.

Through the above mentioned methodology we have reached the following results:

- The scientific accumulation has a positive effect In serving the holy Koran, because sciences have participated in enlarging the understanding of the meaning of the ejection of the holy Koran which deals with the universe, this made Muslims understand these verses clearer and made them feel the range of what is behind these true and valid in all times and places verses , this also made to increase faith of God and to know more about him through things that he created.

- This study showed that scientific accumulation mostly works to correct thoughts in all its images and in head of all its image about the universe, science was the main factor to bring good well to people in most cases, through the increase of human ambition to deepen more in the universe concealed objects. Therefore to make people able to use it in a beneficial way and help them do there basic tasks which is the earth succession and god's worship. This contradicts the poor evident philosophy, which is based on fables that goes down with the thought and ideas and leads people backwards and away of civilization.

- Another result that has been reached also is that science alone can't know the universe facts. It must be fed with God's inspiration and information to accomplish the fact picture though we see that inspiration was always the escape boat to the mind from the bewilderment that is imposed when it can't reach the whole fact.

- The most important result of this research is that the universe origin substance was water, in which we present a group of attestations which have been derived from the holy Koran and prophet honorable sunna that shows the universe story from the time that God has created water. Then he derived smoke out of water which was condensed together to make a unified one mass, we also showed how this mass of smoke was separated and how it was spread to make the universe. We also raised the issue of the universe development to a much extended range that no one knows but God, we also present the final return of the universe to the same one unit mass after shrinking together and its second universal scurvy to be reproduced again in another form.

المقدمـــــــــة

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً يوافي نعمة العقل الذي رزقنا، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، المعلم الهادي إلى سواء السبيل، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
وبعد،

بعد أن يسر الله لي الالتحاق ببرنامج الدراسات الإسلامية المعاصرة في جامعة القدس الشامخة، رأيت من واجبي خدمة ديننا من خلال البحث في موضوع معاصر لطالما أثار اهتمام الكثير من أبناء الأمة الإسلامية على اختلاف ثقافتهم في العصر الحاضر.

وهذا الموضوع هو: استخدام العلوم المتطورة في تفسير آيات القرآن الكريم، وهذا الأمر أثار جدلاً كبيراً بين علماء المسلمين، فمنهم من رفضه جملة وتفصيلاً، ومنهم من قبله بشروط، ومنهم من قبله بسهولة دون شرط أو قيد.

وبما أنني من المؤيدين لقبول هذا الأمر(وهو استخدام العلم في تفسير القرآن الكريم) بشروط وضوابط، فقد دفعني واجبي اتجاه كتاب الله العظيم، للبحث في مدى تأثير العلوم في تطوير تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم لنثبت لأنفسنا ولغيرنا: أن العلم إذا جاء من أهل الاختصاص والتقوى كان خادما للقرآن الكريم. وغدا من أفضل وسائل الدعوة إلى الله تعالى.

ولذلك كان من اللزوم عرض مدى تأثير كل من الفلسفة ــ المفتقرة إلى الدليل والتي أساسها الخرافة ــ والوحي، والعلم على الفكر عبر أزمنة وعصور مختلفة، لنخلص في النهاية إلى أن الوحي والعلم الصحيح يتكاملان في توضيح الحقائق، ولا يختلفان، ويؤديان إلى صلاح البشرية، على عكس الفلسفة الخرافية التي إذا دخلت إلى الفكر شوهته وأدت إلى تدمير الحضارة الإنسانية بأكملها.

وفي ذلك تكمن أهمية البحث في هذا الموضوع؛ لأن إبراز تكامل دور الوحي والعقل في معرفة حقيقة الخلق تؤدي إلى معرفة الخالق حق المعرفة ، ومن ثمّ عبادته على علم.

أما أهم الأهداف التي سعيت إلى تحقيقها في هذه الدراسة فهي:

1- العمل على إبراز مفهوم الكون عند الحضارات القديمة، لبيان مدى التأثير السلبي للفلسفة الخرافية ــ أي التي لا دليل لها ولا برهان فيما تذهب إليه ــ على ذلك المفهوم، ودور ذلك في تخلف الناس عن كل أسباب التقدم نحو الأفضل.

2 ــ ثم عرض ما تقوله التوراة والإنجيل والقرآن الكريم في الكون، لتوضيح دور الوحي الإيجابي في تصحيح الفكر لدى الإنسان مما يدفعه نحو الصلاح الدائم، وبعد ذلك عرض مفهوم الكون لدى

بعض علماء المسلمين الذين تَخَلَوْا عن الفكر الذي أتى به الوحي، وتبنوا الفكر الذي مصدره الفلسفة الخرافية، مما أدى إلى فساد عقيدتهم نتيجة فساد الفكر الذي تبنوه.

3 ــ التوجه نحو دراسة مفهوم الكون في الوقت المعاصر، من أجل بيان أن ما يتم التوصل إليه من حقائق علمية ثابتة لا يتعارض مع الفطرة السليمة ولا مع المعلومات التي مصدرها الوحي، على اعتبار أن الدين الذي مصدره الوحي دائماً يدعو إلى العلم.

4 ــ وأخيراً الوصول لمعرفة مدى تأثير التراكم العلمي في تطور مفاهيم معاني "ألفاظ" الآيات الكونية في القرآن الكريم، وأثر ذلك في خدمة الدعوة إلى الله تعالى.

5 ــ وهناك هدف ناتج عن هذه الأهداف: وهو تقديم توصية بمنع كل أسباب الفوضى الفكرية التي أساسها الهوى في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم.

أما علاقة هذه الدراسة، بالدراسات الإسلامية المعاصرة، فهي علاقة وطيدة وواضحة، فبما أن القرآن الكريم هو كتاب الله الهادي إلى سواء السبيل، الصالح لكل زمان ومكان في قوانينه وتشريعاته، وبلاغته...، مما يحقق الأمن والسعادة للبشرية عامة، فإن استمرار التقدم العلمي في كل عصر يزيد الإيمان بعظمة القرآن الكريم وتألقه، ويزيد الانبهار بكثرة عجائبة التي لا تنقضي؛ لأنه كلام الله – تعالى – الذي هو في كل عصر وكأنه نزل في الحال، ينطق بما هو الحال، فكان من الضروري إظهار معاصرة الإسلام لكل زمان وصلاحه لكل الظروف والأحوال مهما اختلفت في كل عصر.

والمشكلة التي أردنا التوصل إلى حلها في هذه الدراسة هي:
محاولة معرفة إذا ما كان هناك تأثير للتراكم العلمي على تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم؟ وإن وجد التأثير، هل هو إيجابي أم سلبي؟ وإن كان إيجابياً، فما مدى خدمته لكتاب الله تعالى؟
وأنا أرى أن هذه المشكلة لم يتطرق أحدٌ إلى بحثها في السابق بالتفصيل الذي ورد في هذا البحث، وقد توصلت إلى هذه الرؤية بعد استشارة الدكتور عماد البرغوثي الأستاذ المشرف على الرسالة.

واعتمد في هذه الدراسة على البحث في الكتب والأدبيات المتعلقة بالموضوع، وبعض مواقع شبكة الإنترنت، ولم يعتمد على أي دراسة ميدانية، لأن طبيعة الموضوع بحاجة إلى معلومات موثقة من مصادر مدونة كالكتب والمجلات والصحف... وغيرها مما يمكن الاعتماد عليه، وما عدا ذلك من المصادر يضعف البحث ويبعده عن المصداقية.

إن الصعوبة الوحيدة التي واجهتنا خلال البحث هي: الفوضى المعلوماتية التي تتناول الموضوع وكثرة المعلومات الغير موثقة، والمشكوك في صحتها، وذلك لأن الكثيرون خاضوا في تفسير القرآن بالعلم من خلال "التفسير العلمي" أو "الإعجاز العلمي" دون علم أو دراية، الأمر الذي جعلنا لا نثق بالمعلومة، ولا نعتمدها حتى نبحث عنها في عدة مراجع، ومتى ما اطمأننا لها، اعتمدناها بعد تنقيحها.

وأما الدراسات السابقة للموضوع فتكمن في تناول بعض الدارسين بعضاً من جزئيات البحث، لكن إما باختصار شديد، أو بخطط دراسية مختلفة تماماً عما قمنا به، وعليه فدراستنا بهذا الترتيب، وهذه المنهجية لم يقم بها أحدٌ البتة، وهي أول دراسة مطولة في جميع جزئياتها، وأول دراسة تحمل هذه الخطة، وهذه المنهجية.
ومن الذين بحثوا في بعض جزيئات هذه الدراسة، ولكن بمنهجية مختلفة وخطة مختلفة الباحثان: جمال ميموني، ونضال قسوم، فقد وضعا كتاباً بعنوان: "قصة الكون" تناولا فيه قصة الكون من البداية حتى النهاية، من وجهة نظر علمية تجريبية، مع ذكر بعض الفكر الفلسفي والديني لبعض الحضارات، ولقد اعتمدنا على الكثير من المعلومات الواردة في هذا الكتاب والتي تفيد بحثنا.
وهناك كتابٌ آخر للدكتور زغلول النجار: "السماء في القرآن الكريم" تحدث فيه الباحث عن بعض الآيات الكونية في القرآن الكريم من ناحية "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" ووثقنا العديد من المعلومات من هذا الكتاب.
ومن الدراسات الناجحة التي تتعلق ببعض بحثنا، دراسة قام بها الدكتور: حميد مجول النعيمي، والتي جمع مادتها في كتابه: "الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم" وتحدث فيه الباحث عن معلومات تتحدث عن احتواء الإعجاز القرآني للشمول المعرفي، في اللغة والعلم، وأخذنا من هذا الكتاب بعض المعلومات المختصرة جداً.
وهناك دراسات سابقة أخرى لا يتسع المجال لذكرها.

وقد استخدمنا المنهج الوصفي والتحليلي والاستعراضي في هذه الدراسة، لأن طبيعة الموضوع تحتاج للعرض، ثم الوصف، ثم التحليل، من أجل التوصل إلى النتائج المرجوة.
وأما المنهج يتمثل فيما يلي:

1 -قمنا بتخريج الآيات القرآنية، ونسبتها إلى مواضعها في السور القرآنية، وذلك برسم القرآن الكريم.

2 -وأيضاً خرّجنا الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها، واجتهدنا أن تكون صحيحة قدر المستطاع.

3 -التزمنا بقواعد المنهج العلمي في كتابة الرسائل، فنسبنا الآيات إلى مواقعها في سور القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة إلى مصادرها، والتعريفات والنصوص المقتبسة إلى المراجع التي أخذتها منها، والتي تشمل الكتب والمجلات والأبحاث المنشورة وغير المنشورة، وبعض مواقع الانترنت، وقمنا بإخراج الرسالة بكل ما فيها وفق شروط جامعة القدس في كتابة الرسائل الجامعية.

4 -وأما البحث، فقسمناه إلى مقدمة وخمسة فصول تحتها مباحث، وتحت المباحث مطالب، ثم الخاتمة، والفهارس، وقد رتبناها كما يلي:

الإهداء

الإقرار

الشكر والعرفان

الملخص باللغة العربية.

الملخص باللغة الإنجليزية.

المقدمـــة

الفصل الأول: تصور الحضارات القديمة للكون.

الفصل الثاني: الكون في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم .

الفصل الثالث: الكون عند علماء المسلمين.

الفصل الرابع: تصور العلم الحديث للكون.

الفصل الخامس: تطور فهم دلالة الآيات الكونية في القرآن الكريم بين التفسير والعلم.

وقد جعلنا تحت كل فضل مباحث ومطالب .

الخاتمة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

فهرس الأثر.

فهرس المراجع.

فهرس الأشعار.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس الأماكن.

فهرس الأشكال.
فهرس التعريفات للمصطلحات.
فهرس المحتويات.

وقد التزمنا في ترتيب المعلومات في الفهارس حسب الترتيب الألفبائي (أ، ب، ت، ث ...) باستثناء الآيات القرآنية، تم ترتيبها حسب مواضعها في السور القرآنية المتسلسلة حسب وجودها في القرآن الكريم.

والتزمنا بفهرس المراجع سواء في المتن أو الفهرس كما جاء في دليل جامعة القدس لتوثيق المراجع، مع إضافة أمر واحد استلزمه البحث وهو:

ذكر المرجع في المتن لأول مرة مع كل المعلومات الخاصة بالمؤلف، وأما المرات الأخرى المتتابعة فكانت مختصرة كما اشترطت الجامعة .

تقديـــم

خلق الله – تعالى – آدم وجعل الأرض مركز عيشه، وعلّمه كل الأسماء ولم يترك سبحانه الإنسان في حيرة من أمره في شأن معرفة هذا الكون ومدى علاقته به، فكان الوحي إضافة إلى الحواس كلها، ثم العقل هي أدوات المعرفة التي انطلق الإنسان من خلالها للبحث والنظر والتدبر في هذا المخلوق العظيم.

فكانت فكرة التوحيد القائمة على عبادة الخالق لهذا الكون هي السائدة، إلى أن تغيرت الأجيال والعصور، وبعدت المسافات بين مجيء الأنبياء للناس الذين يعرفونهم بحقيقة هذا الكون، مما أدى في حالات كثيرة إلى تقديس الإنسان للظواهر الكونية وتأليهها، فأخذ يفسر الأمور وفق تأثير هذه المخلوقات الكونية عليه، فما كان يخافه فقد ألهه خوفاً منه، كالبرق والرعد، وما كان ينبهر به ويستأنس بوجوده، ألهه تعظيماً وحباً، كالشمس والقمر، [1] ولذلك فقد سيطرت الخرافة والخيال على تفسيراته للظواهر الكونية، التي عبد الكثير منها على اعتبار أنها آلهة خير، وابتعد عن ظواهر أخرى ولم يعبدها لاعتقاده أنها آلهة شر. وكانت هذه الأساطير والخرافات عن الكون تختلف من حضارة لأخرى، وذلك بسبب اختلاف أسس تفكير كل حضارة، وهذا ما سنتعرف عليه خلال دراستنا لهذا الفصل إن شاء الله .

---

[1]. قبيسي، دانيال (1992) تنبؤات علمية على ضوء الدين، بدون طبعة، دار المناهل، بيروت، ص12 بتصرف.

تعريف عام بالكون

قبل الخوض في عرض التصورات القديمة للكون، لا بدّ من الوقوف على مفهوم الكون في اللغة والاصطلاح حتى تتضح لنا معالم الدراسة والبحث.

إنّ كلمة الْكَوْن، بفتح الكاف وتسكين الواو تعني في اللغة: "الحَدَثْ، ومنها: كوّن الشيء: أي أحدثه"[1] "وهو اسم لما يحصل على التدريج، أو دفعة واحدة ".[2]

وأما الكون في الاصطلاح: فيعبر عنه بلفظ (العالَمْ) بفتح اللام، ويعني العالَمْ وهو: "كل موجود سوى الله، ويحمل معنى كل ما احتواه بطن الفَلَكْ،" [3] "وهو جمع لا واحد له من لفظه. والعوالم: أصناف المخلوقات في السماوات والأرض، وهو شامل لكل العالمين في الدنيا والآخرة ويدل على ذلك قوله تعالى: **[قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ]**.[4]

وقال بعضهم : لفظ العالَمْ مشتق من العلامة؛ لأنه دالٌ على وجود الخالق والصانع."[5]

ومن خلال هذا التوضيح يتبين لنا أن الكون وما فيه من مخلوقات مرئية وغير مرئية، كان محط اهتمام وتدبر واستكشاف لدى الإنسان منذ القدم.

---

[1] .ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل (458هـ) المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، بدون طبعة، جزء7، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون سنة نشر)، ص ص144، 145.

[2] .أنيس إبراهيم، ومنتصر، عبد الحليم، وصوالحي عطية، وأحمد محمد خلف الله (1972) المعجم الوسيط، ط 2 بدون دار نشر، القاهرة، باب عَلَمَ (624) وباب كَوّنَ ص806.

[3] . ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ) لسان العرب، ط3، جزء9، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1999، باب عَلِم، ص373.

[4] . سورة الشعراء، الآيات: 23،24.

[5] .ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء ابن كثير الدمشقي (ت: 774هـ) مختصر ابن كثير (بدون ذكر اسم المختصر) ط1، دار الصابوني للطباعة، القاهرة، 1999، ص19.

تصور المصريين القدامى للكون

عندما نقول المصريين القدامى إنما نقصد بهم: "أولئك السكان الذين عاشوا على ضفاف نهر النيل منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام ق.م، وكان لهم بصمة حضارية واضحة المعالم في التاريخ الإنساني في شتى المجالات العلمية والفنية والتجارية والزراعية"، [1] ولكن ورغم ذلك، فقد نظر هؤلاء للكون نظرة سيطرت عليها الخرافة والخيال، ولم يؤثر الإبداع العلمي في تطور تصورهم للكون، إنما كانت هذه التصورات الخرافية للكون هي المؤثرة في سلوكيات حياتهم.[2]

لقد اعتمد المصريون القدامى في تصورهم للكون على المرئي المحسوس أكثر من غير المرئي. وهذا واضح في الإرث المصري القديم الذي أبرزته الصور الفنية المرسومة، والتي بينت أنّ نظرة المصريين القدامى للكون كان أساسها قائما على شعورهم بالضعف أمام ظواهر الكون التي يشاهدونها، وهذا بدوره أدى إلى تأليههم لهذه الظواهر، بل وعبادة الكثير منها، "واعتبار الظاهر منها آلهة خير كالشمس والقمر ... وغير الظاهر آلهة شر كالمخلوقات التي تعيش في باطن الأرض".[3]

ومن أهم تصوراتهم للكون: اعتباره أزلي الوجود، بمعنى ليس لوجوده بداية [4]، وبالتالي ليس له نهاية.

وهذا بالتأكيد يبين أنّ فكرة وجود خالق للكون لم تكن في مخيلة الكثيرين منهم، إلى أن جاء نبي الله موسى عليه السلام لهدايتهم، وفكرة الربوبية لا بدّ وأنها قد عرفت لدى القلائل من قبل الأنبياء السابقين، لكن بُعد الفترة بين موسى ــ عليه السلام ــ وآخر نبي قبله أدت إلى ضلال الناس وكفرهم.

واعتبروا الظواهر الكونية آلهة لكنها ليست خالقة، فهي آلهة أزلية وذات وظائف، وقسمٌ منها موجود في السماء، مثل: إله الشمس، وقسم موجود في الأرض، مثل: إله الليل.

---

[1] . ديورانت، وول (بدون سنة نشر) قصة الحضارة، سهيل محمد ديب (معد) بدون طبعة، ج 1، مؤسسة الرسالة بيروت، ص49 بتصرف.

[2] . إيمار، أندريه وآخرون (1998) تاريخ الحضارة العام، موريس كروزيه (مشرف)، فريد داغر، وفؤاد ريحان (مترجمان)، ط4، منشروات عويدات، بيروت، وباريس، ص86 بتصرف.

[3] . (إيمار، وآخرون 1998) ص86.

[4] . إدريس، جعفر شيخ (2001) الفيزياء ووجود الخالق، ط1، مكتبة الملك فهد، الرياض، ص71 بتصرف.

وإذا ما استعرضنا نظرتهم إلى السماء، نجد مدى تأثير الخرافة عليها، وهي نظرة متطورة من عهد إلى آخر، لكن مع بقاء سيطرة الأسطورة على هذه النظرة.
ففي بداية الأمر: صوروا السماء على أنها بقرة وضعت النجوم على بطنها (ولعل البقر كان حيواناً مقدساً لديهم)، ثم عادوا فقالوا: إن السماء على هيئة امرأة تحمل قرني بقرة على رأسها، وهذان القرنان هما آلهة، وأن هذه المرأة منحنية على الأرض وهي ترتكز على ذراعيها وساقيها.[1]

وبعد ذلك صوروا السماء: أنها قائمة على أربعة جبال موجودة في أركان العالم الأربعة، وتشبه أرض مصر، وفضاؤها هو بحر واسع يقوم فيه إله الشمس (رع) يقطعة كل يوم على متن قارب بنته الآلهة، تنزل به إلى عالم الموتى[2]، (ورع) هو أهم إله لدى المصريين، فهو الخالق للقوة والقدرة التي يمنحها للموجودات مع كل فجر جديد، ويصنع الانسجام بين أجزاء الكون[3].

ونلحظ هنا إلحاح الفطرة لدى الإنسان التي تدفعه دائماً إلى الاعتراف – ولو بشكل غير واضح– بأنه لا بدّ وأن يكون لهذا الكون خالق ينظم أمره ويدبره.

وهناك تصور أسطوري آخر يقول: إن (رع) سئم من بقائه على الأرض بين الناس، فركب ظهر بقرة تسمّى (نوت) التي هي إله السماء، وصعد بها إلى السماء.[4]
ومما تصوروه: أن السماء والأرض كانتا ملتصقتين بسبب الاتصال بين إلهة السماء (نوت) وإله الأرض (جيب) الذي هو زوجها، والانفصال بين السماء والأرض كان بأن قام الإله (شو) وهو والد الإلهة "نوت" برفع السماء بما فيها من نجوم وإبقاء الأرض، ليأخذ الكون شكله الحالي.[5]
والملفت للانتباه في هذه الخرافة: أن فكرة التلاصق بين السماء والأرض هي فكرة مقبولة، ورد ذكرها في القرآن الكريم وقال بها العلم المعاصر، لكن بدون إدخال الخيال في عملية الفصل بينهما، وسنتحدث عنها لاحقاً.

---

[1] . ميموني، جمال، وقسوم، نضال (2002) قصة الكون من التصورات البدائية إلى الانفجار العظيم، ط 2، دار المعرفة، الجزائر، ص31 بتصرف.
[2] .(ميموني وقسوم، 2002) ص31 بتصرف.
[3] .(إيمار، وآخرون 1998) ص91 بتصرف.
[4] .(قبيسي، 1995) ص107 بتصرف.
[5] .(ميموني وقسوم، 2002) ص32.

وتصور المصريون القدامى آلهتهم بأنها تملك صفات بشرية، فهي تتزوج كما حصل مع إلهة السماء التي تزوجت من إله الأرض وأنجبا (أوزريس) الذي هو من أبرز آلهة مصر، [1] وأن هذه الآلهة في حالة صراع فيما بينها، كالصراع بين إله الشمس وإله الليل...[2]

والمصريون كما ألهوا الظواهر الكونية، كذلك ألهوا البشر، وهذا وارد بصريح القرآن الكريم عندما قال على لسان فرعون: **[فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى]**[3]، فكانوا يقدسون هؤلاء الأشخاص ويعظمونهم، وكان الفرعون الإله يسمى "بحورس الحي" : أي الصقر، واعتبروا هؤلاء الآلهة هي المدبرة لأمور الرعايا بعد مماتها، ومما يدل على ذلك: أنهم راعوا في بناء أهراماتهم وقبور الملوك أن تكون فوق الروابي لتتمكن الفراعنة الآلهة من الإشراف على البلاد في محياهم ومماتهم.[4]

وقد نسب المصريون للآلهة جميعاً وظائف خاصة بكل إله، مثال: الإله الابن (أوزوريس) هو نفسه الماء الصافي الذي بفضل قوته يفيض النيل لتتجدد مياهه فيحيا البشر وتزدهر حياتهم.[5]

ومن أعجب تصوراتهم في خلق الكون: اعتقادهم أن الكون كان ماء أزلياً، حيث لم يكن هناك سماء ولا أرض ولا ليل ولا نهار، ولا حياة ولا موت، بل ظل دامس، ثم حصل فيضان في النيل فتراجعت المياه وانحسرت وبعد ذلك أطلت الأرض، وتشكل الخلق فوقها، وعندها نشأ "رع" إله الشمس لأول مرة ناشراً أشعة نوره على العالم، وهم بذلك يعتقدون: أن الخلق ليس حدثاً منفرداً بذاته، بل دورة مستمرة تتكرر يومياً مع بزوغ الشمس، لتستمر الحياة وتنتصر على الموت.[6]

إن قولهم بتشكل الكون من الماء، أمر يلفت الانتباه على الرغم من الأساطير التي تدخل في هذه النظرة؛ لأن فكرة تكون الكون من الماء هي فكرة مقبولة لدينا، وسنستعرضها بالتفصيل في الفصل الأخير.

وبما أن قدامى المصريين جسدوا عناصر الطبيعة وجعلوها آلهة، وحاكوا الكثير من الأساطير حولها، فقد قسّموا هذه الآلهة إلى عدة أقسام، شملت كل ظواهر الكون[7] .

---

[1] . (إيمار، وآخرون 1998) ص91.

[2] . زيدي، كاصد (1980) الطبيعة في القرآن الكريم، ط1، دار الرشيد للنشر، بدون بلد النشر، ص20 بتصرف.

[3] . سورة النازعات، آية 24.

[4] . عبد الله، محمد محمود (بدون سنة نشر) جمال القرآن الكريم وهيمنته على التاريخ والعلوم، بدون طبعة، مؤسسة الرسالة، الاسكندرية، ص ص 43،44 بتصرف.

[5] . (إيمار، وآخرون 1998) ص ص 46 + 92 بتصرف.

[6] . خالد، نبيل، (2005) ميثولوجيا الآلهة المصرية، مصر آلهة وشرور، مصر.
http://www.nabilkhaled.org/egypt4.html,25.4.2005

[7] . عوف، أحمد محمد (2005) موسوعة حضارة العالم، قدماء المصريين، بدون طبعة، ج7، بدون مكان نشر.
http://ar.wikibooks.org/wiki,4.1.2005.

وهذه الآلهة هي:

أولاً: الآلهة المحليون : فقد كان كل إقليم يتخذ إلها يعبده، وهؤلاء عادة يكونون من البشر الذين يملكون الأرض.

ثانياً: الآلهة الكونيون: وهم من النجوم والكواكب، وأشهرها إله الشمس "رع".

ثالثاً: الآلهة الشعبيون: وهؤلاء أيضاً من البشر، وهم من الكهان والأغنياء.

رابعاً: الآلهة الزراعيون: وهم آلهة من الحيوانات، مثل الإله الفيل، والإلهة والحية...[1]

وقد اعتقد المصريون أن هذه الآلهة هي خير وشر في الوقت ذاته، مثال: حاثور: وهي امرأة بقرون ترمز إلى الخصوبة، ولكنها إذا ما أصيبت يمكن أن تدمر البشر، وهكذا...[2]

هذه خلاصة تصور المصريين القدامى للكون، نظرة قائمة على إبراز عقيدة التأليه لظواهر الكون وعبادة الكثير منها، ثم إن هذه النظرة قد أثرت على سلوكيات حياتهم كما رأينا في اعتقادهم أن الآلهة تدير الحياة حتى بعد الموت، وكيف أدى ذلك لإبراز نمط تفكيرهم في بناء هذه القبور، بل كانوا يعتقدون بالحياة بعد الموت، حياة تشبه الحياة الدنيا، فنراهم كانوا يضعون حاجيات الميت معه ليستخدمها في حياته الأخرى[3] في عالمه السفلي.

وعلى الرغم من عظمة هذه الحضارة المادية، إلا أن الفكر العقائدي كان مليئاً بالخرافات والأساطير التي تمّ نسجها من قبل الإنسان المصري القديم، سواء كان ذلك من تلقاء نفسه وحسب وجهة نظره، أو حتى بتأثره بفلسفات بشرية أخرى سابقة على حضارته، أو معاصرة لها.

لكنّ الحضارة المادية لدى المصريين جعلتهم يهتمون بظواهر الكون من الناحية الفلكية العلمية العملية لتسيير الكثير من أعمالهم، لذلك كان لهم إنجازات فلكية متعددة منها:

فقد لاحظوا تغير موقع الشمس بالنسبة للمجموعات النجمية التي تقع على خط مسار الشمس في السماء والتي تسمّى البروج، ثم اعتمدوا على التقويمين الشمسي والقمري، وقسموا اليوم إلى أربعة وعشرين ساعة متساوية،[4] وكانوا يراقبون نجم الشعرى اليمانية قبيل الفجر،[5]

ويجعلون بداية السنة عند ظهوره، لأن ذلك كان مرتبطاً بارتفاع النيل وفيضانه.[1]

---

[1]. (إيمار، وآخرون 1998) ص91 بتصرف

[2] . (خالد، (2005) إنترنت.

[3] . (عوف، (2005) إنترنت

[4] محمود، يوسف (1996) الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص46

[5]. كياو، ليو (2001) علم الفلك الصيني القديم، المجلة الفلكية، العدد الأول، الدار العالمية للطباعة والنشر، روما، ص2.

تصور البابليين للكون

البابليون: هم خليط من السومريين والساميين، عمل حمورابي [2]على دمج بعضهم ببعض، وأطلق عليهم اسم البابليين نسبة إلى عاصمتهم بابل، وامتد وجودهم حول نهري دجلة والفرات بين عاميّ (1892–1594 ق.م).[3] وكانت دولتهم دينية خاضعة للكهنة.[4]
وأنشأ البابليون حضارة عريقة تميزت بالإبداع العلمي في شتى ميادين العلم، وخاصة علوم الفلك. فصفاء سماء بلادهم، وخلوها من الأضواء الساطعة والتلوث البيئي كان من أهم أسباب التفوق العلمي الفلكي لديهم.[5]

ولذلك نجد أن تصور البابليين للكون كان مزيجاً من التصور الذي يحتكم إلى العقل والتصور الذي تحكمه الأسطورة[6]والخرافة.

فمن التصورات الأسطورية للكون عندهم : اعتقادهم أن الكثير من ظواهر الكون هي آلهة، وهي قسمان: قسم سماوي، مركز وجوده السماء، كالقمر والشمس، وقسم في الأرض يحكمها، ولكن كانوا ينظرون إلى آلهة السماء بقدسية أكبر، ربما لعلوها وعدم القدرة على التغلب عليها، وكانوا يعتقدون أن السماء لها طبقات، وكل طبقة لها إله يحكمها.[7]

ويعتبر كوكب الزهرة الذي عرفه البابليون باسم (عشتار) أقدس إله عندهم، لكونه يرمز إلى الجمال والخصوبة، وأما الشمس فكانت إله يعبد وتسمى (أوتو) أو (شمس) وتمثل بنجمة رباعية تصدر منها الأشعة،[8]

6.(محمود ، (1996) ص46

[2]. حمورابي: هو مؤسس الإمبراطورية البابلية القديمة، وصاحب الشريعة الحمورابية الشهيرة، واعتبر نفسه فوق مستوى البشر، وبالتالي هو إله الملوك، وعرفت فترة حكمه بأنها زاهرة، وكان عادلاً مع خصومه. /المرجع: جامعة القدس المفتوحة (2003) الحضارة البشرية ومنجزاتها، ط3، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ص63 بتصرف.

[3]. (جامعة القدس المفتوحة، 2003) ص63.

[4]. (ديورانت، بدون سنة نشر) ص64 بتصرف.

[5]. نعيمي، حميد مجول، وبرغوثي، عماد أحمد (1996) التدرج الزمني لمساهمات الرافدين في علوم الفضاء للفترة 3000 ق.م حتى سقوط بغداد (بحث علمي، رقم 3)، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العراق، (لم ينشر) ص6.

[6]. الأسطورة وجمعها أساطير: وتعني الأباطيل والأحاديث العجيبة. /المرجع: (أنيس، وآخرون 1972) ص429.

[7]. (نعيمي، وبرغوثي (1996) ص6 بتصرف.

[8]. (نعيمي، وبرغوثي (1996) ص6 بتصرف.

وإله الشمس هو الذي سوّى رأس الإله (جلجامش) وأتمّه.[1]

وهم بذلك يعتقدون بتعدد الآلهة، وأن كل إله له وظيفة، وهذا ما كان يتصوره المصريون القدامى كما رأينا.

ومن آلهتهم أيضاً: (آنو) وهو أكبر الآلهة ويسكن في أعلى نقطة في السماء، ويتحكم فيها، و(إكليل) إله الهواء والجو، و(إيا) إله الأرض والماء.[2]

أما نظرتهم إلى السماء فكانت تتلخص في اعتبارها قبة تعلو الأرض، لونها أزرق؛ لأنها تتكون من نوع من الحجارة الثمينة، وتتكون من ثلاث طبقات، وتستقر قبتها على جبال في أطراف الأرض،[3]وأن الأجرام التي فيها تتكون من مادة أثيرية سماوية تختلف عن مادة الأرض، وأن أي حدث في السماء لا بدّ وأن يكون له مقابل على الأرض، و كل ظاهرة في السماء لها إله يسيطر عليها، مثل: الرعد والبرق لهما إله يتحكم بهما وهو (أود)، و(مردوخ) إله المريخ المسؤول عن الهدوء والنظام.[4]

وعليه كانوا يعتقدون بأن النجوم في السماء لها تأثير واضح على البشر على الأرض، وتؤثر على حظوظ الملوك والأفراد والأمم، وتنذر بقدوم الأوبئة والحروب والفيضانات...، وهم بذلك كانوا من الذين يؤمنون بالتنجيم الذي يعتمد على رصد الظواهر النجمية والكواكب ودراسة علاقة بعضها ببعض، [5] وسنتحدث عن هذا الأمر في فصل لاحق.

أما **الأرض:** فكانت بنظرهم تتكون من ثلاثة أجزاء، الجبال: وتسكنها الآلهة، والأرض المستوية ويسكنها الإنسان، وتحت الأرض ويسكنها الموتى،[6] ومن آلهة الأرض كما ذكرنا (إيا) و(ثيامة) ربة ربة الأغوار والبحار، التي هي رمز للفوضى والاضطراب، أي أنها السبب في كل ما هو غير منظم.[7]

---

[1]. أبو العينين، حسن (1996) من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية، ط1، ج1، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ص225.

[2]. (ميموني،وقسوم (2002) ص32

[3] .(محمود، (1996) ص45

[4]. (أبو العينين (1996) ص224

[5].(نعيمي، وبرغوثي (1996) ص ص 6،7 بتصرف

[6] .(محمود، (1996) ص45.

[7]. (ابو العينين، (1996) ص224.

أما **الإنسان:** فقد اعتقدوا أنه خُلق سعيداً، غير أنه وقع في الخطيئة بإرادته فأُرسل عليه طوفان أهلك الحرث والنسل.[1]

هذه خلاصة التصور الأسطوري عند البابليين، لكن من المفارقات الموجودة في التصورات الخرافية: أنها تعترف بشكل ضمني بضرورة وجود خالق، وإله يعبد، لكن دون أن يكون للناس قدرة على تحديد صفات الخالق الذي يستحق بها العبادة، لذلك ضلوا، فاقتضت حكمة الله تعالى إرسال الرسل لتوجيه البشر نحو الخالق الحق، والمعبود الحق.

أما من التصورات العقلية لديهم، والتي اعتمد فيها مفكرو البابليين على العقل في التوصل إلى معرفة حقيقة الكون قولهم: "إن الماء المادة الأساسية التي خلقت منها السماء والأرض".[2]

وعلى الرغم من عدم ورود أي تفسير لديهم لهذه النظرة، أو أي أدلة تثبت هذا القول، إلا أنها فكرة مقبولة لدينا، وسنتناولها في الفصل الأخير.

ولعل دور التصور العقلي يظهر في دراسة ظواهر الكون من أجل تسيير الحياة على الأرض، فتعاملوا مع الظواهر الكونية بتفهم بعيد عن الحكايا والأساطير، مما أدى إلى حضارة ذات إنجازات فلكية علمية عظيمة، منها:

رصد مواقع المجموعات النجمية لمعرفة الفصول والأوقات من أجل تحديد مواعيد الزراعة والحصاد والاحتفالات الدينية.[3]

وكان لهم دور في ملاحظة تبدل الطقس باختلاف منازل القمر أو مواقع الشمس في البروج التي قسّموها إلى اثني عشر برجاً.[4]

وقاموا برصد القمر فقسّموا أيام الأسبوع تبعاً لأطواره الأربعة (بداية الشهر اليوم السابع، أما نهايته فهو اليوم الخامس عشر) لأنهم كانوا يقيمون أعيادهم، ويسيرون حياتهم وفق هذه الأطوار، فمثلاً: كان يحرم على الملوك القيام ببعض الأعمال في هذه الأيام.[5]

وهم من قالوا بفكرة البروج، فقسّموا السماء إلى اثني عشر قسماً بواسطة النجوم الثوابت [6] التي حملت أسماء أطلقوها عليها، مثل الحمل والميزان والدلو...، والتي لا زال متعارف عليها حتى

---

[1] .فريز، حسني،وآخرون (بدون سنة نشر) التاريخ العام، بدون طبعة، مكتبة الأندلس، القدس، ص5.

[2]. (نعيمي، وبرغوثي (1996) ص6

[3]. (محمود ، (1996) ص45

[4]. (نعيمي، وبرغوثي (1996) ص7

[5]. (نعيمي، و برغوثي (1996) ص7

[6]. (ميموني، وقسوم (2002) ص33

اليوم، وهذا الأمر أدى إلى ظهور التنجيم، الذي يعني معرفة ما يحدث على الأرض من خلال رصد حركات هذه النجوم.

وقسّموا اليوم إلى ستة أجزاء متساوية: ثلاثة لليل، وثلاثة للنهار، ولعلهم هم واضعو نظرية مركزية الشمس.[1]

وقد عرفوا أن إضاءة القمر ليست ذاتية، وإنما ناتجة عن عكسه ضوء الشمس، وهذا أدى بهم لأن يفسروا الخسوف والكسوف بصورة صحيحة، وكان كهنتهم يقومون برصد فلكي دقيق للشمس والقمر والزهرة.[2]

ولهم إنجازات كبيرة بما يعرف بالفلك اللارياضي: أي الذي يتضمن تقاويم فلكية خاصة، مثل التقاويم اليومية والمناخية.

وكذلك إنجازات بالفلك الرياضي الذي يتضمن الجداول.[3]

والحقيقة أن الإنجازات الفلكية البابلية كثيرة جداً، للاستزادة ينصح بالعودة إلى (نعيمي وبرغوثي (1996) فهو مرجع غني اختص بالتحدث عن إنجازات البابليين في الفلك.

إن أهم ما يلفت الانتباه في تصور البابليين للكون هو قولهم: بأن الكون كله من ماء، وهذا أيضاً ما قاله المصريون القدامى، وكما أسلفنا فإن هذه الفكرة مقبولة لدينا.

لكن هل هذه الفكرة لها أصل ديني سماوي؟، بمعنى هل البابليون عرفوها من خلال معلومة قالها نبي سابق عليهم، فبقيت متوارثة؟ فإن كان كذلك فهذا يدعم الفكرة القائلة بأن أصل الكون ماء كما

---

[1]. (نعيمي، وبرغوثي (1996) ص33

[2]. (محمود، (1996) ص46

[3]. (نعيمي، وبرغوثي (1996) ص5

سنبين في الفصل الأخير، أم هي مجرد فكرة عقلية ناتجة عن تجربة وملاحظة؟ وهذا أيضاً جيد لأنه بعيد عن الخرافة.

والملاحظ أن العلوم المزدهرة لدى البابليين كان لها بعض التأثير على تصورهم للكون، مع بقاء الأسطورة طاغية على هذا التصور.

تصور الإغريق "اليونان" للكون

تعتبر الحضارة الإغريقية من أعظم حضارات التاريخ القديم، فقد نشأت في كريت [1]على بحر إيجة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وبلغت قمة ذروتها في القرن الخامس عشر ق.م.[2]
وكان أشهر ما يميز هذه الحضارة ــ إضافة إلى العلوم الطبيعية والهندسية ــ الفلسفة التي صبغت الكثير من أفكارهم وسلوكيات حياتهم، خاصة نظرتهم إلى الكون.
فنجد أن نظرتهم للكون كانت فلسفية وعلمية أكثر منها أسطورية، مع بقاء دور للأسطورة في صقل هذه النظرية.

ولو بحثنا في تصورهم الأسطوري للكون نجدهم يعتقدون بتعدد الآلهة التي لها صور بشر، ويوجد في دمائها سائل عجيب يضمن لها الخلود، وهذا يضمن لهم القوة الفائقة على جميع الناس، لذلك فهي تعيش في قصور منعمة في السماء، وتتصف بالشهوانية.[3]
وتصوروا أيضاً: أن للكواكب نفوساً علوية وعقولاً ذاتية تسيرها.[4]
ومن هذه التصورات أيضاً: اعتقادهم أن الأرض ولدت الجبال الشاهقة، والسماء المزدانة بالكواكب، ثم تزوجت الأرض من السماء فأنجبا الأنهار.[5]
واعتقدوا أن الأرض والعالم قد نشآ نتيجة تفاعل عناصر مختلفة من النار والتراب والهواء مع بعضها بعضا.[6] بل ذهبوا إلى القول: أن الكون كله على شكل حيوان ضخم.[7]
ومن تصوراتهم العجيبة للكون قولهم: أن النار العنصر الأساسي لكل الأشياء، حيث يتولد الماء من النار، ثم تتكون الأرض من الماء، وبعد ذلك يتبخر الماء ويرتفع نحو السماء فتلتقطه أوعية فارغة

---

[1]. هي جزيرة على بحر إيجة. /المرجع: برس، جروس (1991) معجم الحضارات السامية، هنري عبودي(المترجم)، ط2، بدون دار نشر، طرابلس، لبنان ص716.

[2]. ديورانت (بدون سنة نشر) ص ص251 ، 252 بتصرف.

[3]. كرم، يوسف (1970) تاريخ الفلسفة اليونانية، ط5، مطبعة لجنة التأليف والترجمة للنشر، القاهرة، ص3.

[4]. طائي، محمد باسل (1998) خلق الكون بين العلم والإيمان، ط1، دار النفائس، بيروت، ص110.

[5]. (كرم، (1970) ص3

[6]. منصور، محمد أحمد (2001) موسوعة أعلام الفلاسفة، ط1، دار أسامة للنشر، عمان، ص61

[7]. (منصور، (2001) ص61

تتجه نحو الأرض ثانية، ويشتعل البخار خلال تلك الدورة فتتشكل الشمس هكذا يومياً وبتجدد مستمر، وأما القمر: فهو وعاء مملوء بالنار، ويشع ضوءاً خافتاً.[1]

فهذه نظرة تبرز تصور اليونان للكون من الناحية الأسطورية، وبالطبع هي تصورات لا منطقية والخرافة واضحة فيها، لأنها تعبر عن تفسيرهم للظواهر الكونية من منطلق الأساس الفكري لديهم: وهو تمجيد القوة، والرغبة ببسط السلطان على الشعب، وهذه تصورات عامة الناس.

أما التصور العقلي العلمي الممزوج بالفكر الفلسفي فنجده لدى مفكري وفلاسفة ذالك العهد، فتعاملوا مع الكون بالتجربة والملاحظة تارة، وبالفلسفة تارة أخرى، وبهما معاً في حالات مغايرة.

فأرسطو[2] جردّ نظرته للكون من السحر والدين، واستخدم العقل، فمن تصوراته للإله: "أن الله أوجد هذا الكون، ثم لم يعد يهتم به؛ لأنه أرقى من أن يفكر فيما هو دونه، وهو لا يفكر إلا في ذاته".[3]

فهو هنا يشير إلى أن الكون ليس إله، بل هو مخلوق من قبل إله غير معروف، وهذا الإله يحمل صفات بشرية: كالإهمال، وحب الذات.

فأرسطو يتبع الفطرة بضرورة وجود خالق للكون، لكنه ضلّ ولم يتعرف إلى هذا الإله، وما هي صفاته، لذلك أخذ ينعته بتلك الصفات.

وبما يتعلق بنشأة الكون يقول أرسطو: "إن الكون نشأ أصلاً من مادة كانت موجودة من قبل، حيث لا يمكن أن يحدث من العدم وجود."[4] وأن هذه المادة هي الماء.[5]

فهو هنا يشير إلى أمور: **الأول:** أن الكون ليس أول الموجودات، بل سبقه وجود وهو المادة التي صنع منها.

والثاني: هو عدم إيمانه بفكرة الخلق من العدم.

الثالث: وهو أمر مهم، قوله: بأن أصل الأشياء كلها من ماء، وهو بذلك يردد ما قالته الحضارتين المصرية والبابلية، ولكنه أيضاً لم يقدم دلائل تثبت صحة رؤيته هذه، ونحن نقبل هذه الفكرة وهي موضع دراسة لدينا في الفصل الخامس.

ومثال أرسطو في تصوره العقلي، أفلاطون[1] الذي قال: "إن الكون قد نشأ إما عن عوامل طبيعية،

---

[1] (ميموني، وقسوم (2002) ص36

[2]. أرسطو: هو فيلسوف يوناني (384 ق.م – 322 ق.م) تتلمذ على يد أفلاطون، واشتهر بنظريته للكون والمادة، مزج رجال الدين المسيحيين أفكاره بالعقيدة المسيحية لإعجابهم بها. /المرجع: (ميموني، وقسوم (2002) ص39.

[3]. قطب، سيد (1992) في ظلال القرآن الكريم، ط7، ج3، دار الشروق، القاهرة، ص23.

[4]. عميرة، عبدالرحمن (1998) الكون والحياة بين العلم والدين، ط1، دار الجيل، بيروت، ص45.

[5]. (منصور، (2001) ص199.

أو عن طريق المصادفة" [2]، وبالرغم أنه من غير الواضح ما المقصود بالعوامل الطبيعية، إلا أن قوله: بأن الكون وجد مصادفة هي نظرية إلحادية تعني عدم الاعتراف بوجود خالق للكون.
ورأى أفلاطون أن الكون كرة مادية، فقال: إن السماء كرة بلورية موضوعة على كرة الأرض، وأن الكون له أشكالاً، وكل الأجسام المرئية هي ظلال لتلك الأشكال.
واعتقد أن الأرض مركز الكون، وأن الكون يسير نحو هدف مرسوم ومسطر، [3]وهذه فكرة مهمة نوقشت كثيراً في الماضي والحاضر، في الدين والعلم، إذ أنها تؤكد نهاية الكون، الأمر الذي يعني وجود بداية له، وبالتالي هو مخلوق، وهذا ما رفضه الكثير من الفلاسفة والعلماء.
وأما بطليموس[4] فقال: إنّ الأجرام السماوية كلها تتحرك ما عدا الأرض والشمس، وقال: إن القمر والكواكب تدور حول الأرض التي هي مركز الكون، وتعتبر هذه النظرة لبطليموس أهم نظرية عقلية وعلمية للإغريق.[5]

وأما سقراط[6]، فقد قال بفكرة العقل المسير للكون (والعقل هنا لا يقصد منه الإله، بل شيء مختلف، سنتحدث عنه في فصل لاحق)، واعتقد أن المادة لا يمكن أن يكون لها أن تتحرك لوحدها، أو بنفسها، ولذا فالحركات السماوية تستدعي وجود قوة محركة خارجية[7].
وهذه الفكرة إنما هي محاكاة للفطرة التي تؤكد دائماً وجود خالق ومنظم للكون، ولكن العقل ضلّ في تحديد هذا الخالق المنظم، فأخذ يطلق عليه مسميّات وصفات مختلفة تسير بالناس نحو الهاوية.
ثم يتيه سقراط في فكرة أخرى حول نشأة الكون، فنجده يقول: إن الكون أزلي الوجود :أي لا بداية لوجوده، وفي ذات الوقت يعود ويقول: أن الكون مخلوق: أي له بداية في زمن لا نهائي، حيث كان في فوضى ماديّة تامة غير منظمة (ولعله يقصد بالفوضى أن الكون لم يكن منظماً كما هو الآن)،

---

[1]. أفلاطون : هو فيلسوف يوناني (427–347 ق.م) عالماً بالهندسة، كان منهجه العلمي فكري نظري. /المرجع: (ميموني، وقسوم 2002) ص38.

[2]. (منصور،(2001) ص199

[3]. (ميموني، وقسوم (2002) ص38 بتصرف

[4]. بطليموس: هو كلاوديوس بطليموس: عالمٌ مصري من أصل يوناني، ولد في مصر، وبرع في الفلك والهندسة، وله كتاب المجسطي. /المرجع: عرفات، محمد مختار (2003) إعجاز القرآن الكريم في العلوم الجغرافية، ط1، دار اقرأ، دمشق، سوريا، ص27.

[5]. (عرفات (2003) ص27.

[6]. سقراط: هو فيلسفوف يوناني، (470–399 ق.م) وكان عالماً فلكياً ورياضيا . /المرجع: (ميموني، وقسوم (2002) ص38.

[7]. (ميموني، وقسوم (2002) ص38

والعقل ــ الذي هو ليس إله ــ هو الذي يقوم بترتيب تدريجي للعالم عن طريق الحركات التي يسببها إدارة الأفلاك الخارجية للكون.[1]

فمن الواضح في نظرة سقراط للكون – وإن كانت عقلية – التخبط والتناقض؛ لأنه يفتقر للأدلة والبراهين العلمية المبنية على الحس والمشاهدة والتجربة، لذلك كانت الفلسفة الوسيلة الوحيدة المتوفرة لديه لتفسير الظواهر الكونية.

وفكرة العقل المسير للكون، هي فكرة تعني: أن هناك عقلاً موجوداً خارج عالم الأفلاك ينظم الكون ويرتبه، ويوجد فيه حركات الأجرام الدورانية، وهي فكرة فلسفية أول من قال بها الفيلسوف اليوناني "أناكساغوراس" (500–428 ق.م).[2]

ومن مفكري الإغريق الذين نظروا للكون نظرة علمية أحياناً، وفلسفية في أكثر الأحيان: المفكر بارمنيدس:(وهو عالم رياضي وفلكي، ولد وتوفي بين عامي 504–450 ق.م، وكان مفكراً علمياً). فقد قال: أن الأرض كروية الشكل، وصور الكون على شكل سلسلة من الطبقات المتمركزة حول الأرض تعلوها القبة السماوية الصلبة والمحكمة التماسك، وهذه القبة تشكل الحدود الطبيعية للأجرام السماوية، وقال: إن الإله يوجد في مركز الكون وهو يحكم الكل.

وذهب إلى أن هناك أكوان متعددة ومتراكبة.[3]

وهنا لاحظنا كيف بدأ تصوره بشكل عقلي وعلمي يفتقر للدليل والتجربة، ثم ختمه بالفلسفة كحبكة لهذه الفكرة باعتبار أن الإله له مكان وجود يدير منه الكون أو الأكوان المتعددة.

ومن المفارقات المهمة في تصور مفكري الإغريق: هو قولهم بأن الكون ليس ثابتاً ومستقراً، بل متطور.[4]

نلاحظ أن التصور العقلي لمفكري اليونان بشكل عام، هو تصورٌ فكري ونظري مجرد، لا يوجد فيه أي تجارب علمية، ذات دلائل مقبولة تثبت صحة ما يقولون، ولعل السبب في ذلك: هو أن مفكري الإغريق كان غالبيتهم يعتقدون أنه من العيب استخدام الحس والتجربة من أجل التوصل إلى الحقائق الكونية؛ لأن ذلك يؤثر على العقل فيفسده.

وهذا بدوره أدى إلى السلبية في أبحاثهم، وتركها بحوثاً ناقصة [5]، وغير مفهومة في كثير من الأحيان، وورود التناقض بين الكثير منها، مما يجعلها بحوثاً غير جدية،

---

1. (ميموني، وقسوم (2002) ص38
2. (ميموني، وقسوم (2002) ص35
3. (ميموني، وقسوم (2002) ص ص34+35 بتصرف يسير
4. (ميموني، وقسوم (2002) ص36
5. (محمود، (1996) ص ص49–50 بتصرف يسير.

ومع ذلك نجد أن الإغريق تركوا إرثاً مهماً في الإنجازات الفلكية، وأهمها: فكرة عدم استقرار الكون، وأنه متطور، وفكرة كروية الكون، ومركزية الأرض، وغير ذلك من المنجزات التي كانت بداية انطلاقة للعلماء في كل زمان.

تصور الهنود والصينيين للكون

الهنود هم من الجنس الآري الهندي، انحدروا من بحر قزوين، وسكنوا الهند في العام (2000) ق.م تقريباً.[1]

تأثر الهنود بنظرتهم إلى الكون بالفكر اليوناني، وكان أساس اهتمامهم بالكون نابع من فكرهم الديني الذي يمجد القوى الروحية[2]، لذلك نجد تصورهم للكون اعتمد على الخرافة التي كانوا يفسرون بها الظواهر الكونية.

ومن تصوراتهم الخرافية للكون: اعتقادهم أن الأرض عبارة عن قوقعة تحملها أربعة فيلة عملاقة تقف على ظهر سلحفاة[3]، وهم بذلك كانوا يشعرون بتحدب الأرض، واتخاذها الشكل الكروي[4].

ومن تصوراتهم للإله: أنه يتجلى في بعض الأحياء، فيحتمل حلوله في الإنسان، أو في الحيوان وأكثر حيوان يحل فيه الإله هو البقرة، التي تحتفظ بقدسية كبيرة عندهم حتى الآن.[5]

واعتبروا نهر الكنج الموجود في بلاد الهند: أنه هبط من السماء، ولذلك هو مقدس عندهم، ومحج لهم ويغتسلون في مياهه، ويتقربون من خلاله إلى آلهتهم.[6]

وعلى الرغم من سيطرة الخرافة على تصورهم للكون، إلا أنهم أصحاب إنجازات فلكية يُشهد لها، وكان الدافع للرصد الفلكي عندهم هو ديني، فقد كان كهنتهم هم الذين يقومون بذلك.

ويعتبرالرصد الفلكي لديهم خادما للتنجيم الذي هو مبدأ ديني لديهم، فقد رصدوا الشمس والقمر لأغراض صناعة التقويم.[7]

---

1. (فريز ، بدون سنة نشر) ص9
2. (محمود (1996) ص46
3. (ميموني، وقسوم (2002) ص47
4. (عوف، (2005) موسوعة حضارة العالم، ج2، إنترنت.
5. شلبي، أحمد (1981) أديان الهند الكبرى، ط1، مصر، ص6.
6. (فريز ، بدون سنة نشر) ص9
7. (محمود ،(1996) ص46

وكانت مدرسة "سيدهانتا" ــ الدينية الفلسفية ــ ترى أن الأرض كروية ولا ترتكز على شيء في الكون، وعلى الرغم من النظرة العلمية في هذا التصور، إلا أن منبعه خرافة تقول: إن الأرض مستندة على رأس حيوان يقوم على ركيزة أخرى، والركيزة على ركيزة أخرى وهكذا...[1]

ورأى أحد فلاسفة الهند "بهاسكارا أشاريا" (1114–1185 ق.م): أن الأرض هي مركز الكون، والكواكب الأخرى تدور حولها بسرعة خطية موحدة.[2]

وقاموا بقياس حجمي الشمس والقمر، وقد وضعوا كتاب "السند هند" الذي حوى معلومات فلكية كثيرة، وتمت ترجمته إلى اللغة العربية، وأغلب معلومات هذا الكتاب مستمدة من علم الفلك اليوناني[3]، وتركوا مرصد جاي سينغ في مدينة جايبور الهندية، حيث أصبح أثراً بعد نشوء المراصد المراصد الفلكية الدقيقة في أوروبا.[4]

أما الصينيون القدامى التي امتدت حضارتهم على أراضٍ شاسعة جداً تكاد تكون أكثر من قارة، فقد تميزت نظرتهم للكون بأنها بدائية وخيالية، أساسها فكرهم الديني المبني على الخرافات، وقد تركز انتباههم للكون بما يخدم التنجيم عندهم[5].

فمن تصوراتهم الخرافية للأرض: أنهم كانوا يعتبرونها عربة ضخمة يوجد في أركانها أعمدة ترفع مظلة السماء، وبلاد الصين تقع في وسط هذه العربة، ويجري النهر السماوي (النهر الأصفر) من خلال عجلات العربة، ويقوم السيد الأعلى المهيمن على أقدار السماء والأرض بملازمة النجم القطبي بالشمال، بينما التنينات تفترس الشمس والقمر.[6]

ويعتبر الإله (هيوتي) سيد الآلهة والإنسان، وملك الموتى وصانع الملوك، والقاضي الذي لا يعلى عليه، ويعيش في قصر، ويدبر الأمور بواسطة مندوبين مجهولين.[7]

---

1. (ميموني، وقسوم (2002) ص47
2. (ميموني، وقسوم (2002) ص47
3. (محمود (1996) ص46
4. (ميموني، وقسوم (2002) ص47
5. (إيمار، وآخرون (1998) ص599 بتصرف
6. (عوف، (2005) إنترنت
7. (إيمار، وآخرون (1998) ص599

ومر تصور الصينيين للكون بمراحل، حيث كانت كل مرحلة تختلف عن سالفتها إما بتأثير من الفلسفة أو العلم، فنجد أنهم في البداية تصوروا شكل الأرض مربعاً، وقبة السماء والنجوم الثابتة تدور فوقها .

ثم تطوّر تصورهم لشكل الكون ليصبح بيضة قشرتها السماء، والأرض محها الأصفر، ولا أحد يعلم ما وراء القشرة، حيث لا حدود ولا معالم،[1]وهذه نظرة أكثر عقلانية وتبدو علمية ــ بالرغم من عدم وجود دلائل ــ لأن فيها اعتراف بكروية الكون الذي أثبته العلم الحديث.

وهناك تطور آخر يقول: ليس هناك قبة سماوية، وما نتخيله من قبة إنما هو ناتج عن وهم بصري أي (سراب)، فالشمس والقمر والكواكب والنجوم كلها تسبح في الفضاء، ولا خوف من أن تتكسر السماء وتتحطم على رؤوس البشرية.[2]

فهذه نظرة تبين أن الصينيين كانوا يبحثون عن تفسير للكون بشكل عقلاني وعلمي، وإن لم يقدموا الدلائل على ما يقولون، وأكبر برهان على تطور التصور الصيني للكون بعيدا عن الخرافة: هو بروز الفيلسوف الصيني "كونفوشيوس" الذي يعتبر أول من دعا إلى نبذ الخرافة في التصور الكوني، وكان محركاً للمجتمع الصيني نحو نبذ الأساطير، ورفض التعددية الإلهية المبالغ فيها، وكانت دعوته قائمة على مقولة: أن الآلهة ما هي إلا رموز لقوى الطبيعة، وأرواح السلف، ليس أكثر.[3]

وقال: "إنه ليس في الوجود سوى إله واحد قوي الإرادة، هو: (السماء)، وهو الإله الأعظم وحاكم الحكام،ولكنه ناقض نفسه في دعوة أخرى عندما قال: أن الأرض أيضاً إله يعبد، والأرواح أيضاً تعبد، وكذلك الجبال والأزهار.... [4]. وهذا يدل على التخبط الفكري من خلال المزج بين العقل والفلسفة، ففي الوقت الذي ينفي فيه العقل وجود أكثر من إله، نجد أن الفلسفة تتدخل لتفسد هذا الأمر، وتفترض وجود آلهة متعددة.

ويقسم كونفوشيوس الظواهر الكونية إلى قسمين اثنين سماهما : "الأقطاب"، وهذان القطبان هما:

القطب المذكر : ويشمل كل ظواهر الكون التي تتصف بالقوة (من وجهة نظره)، وسمّاها قطب "يانغ"، مثل السماء القوية العظيمة الخلاقة، والعليا المتحركة.

---

[1]. باسكال، حيلوط (2005) إحياء علوم الفلك، بدون بلد نشر
http://www.fikrwandk.aljabriabed.com/n33-04hilot.htm.2.11.2005

[2]. (باسكال، (2005) إنترنت.

[3]. فضل الله، محمد حسين (2004) الكونفوشسية، سوريا
http://arabic.bayynat.org.ib/adian/konfosheyaa.htm,6.4.2004

[4] . (فضل الله ، (2004) إنترنت

والقطب المؤنث: ويشمل كل ظاهرة أقل قوة وأكثر ضعفاً، إلا أنها في الوقت ذاته لها قدرات أنثوية ولادة، وسمّا هذا القطب بـــ "يَيْن" ومثال ذلك الأرض التي لها قدرة ولادية، ولكنها سفلى وساكنة.
ولكنه اعتبر أن مرور ظواهر الكون بدوريات متتالية، لا يتم إلا بالتفاعل بين هذين القطبين، فالليل والنهار ناتجان عن تفاعل بين ظواهر السماء والأرض، وهكذا في شأن جميع ظواهر الكون التي لها دورات كونية، كالصيف والشتاء...
ويعتبر كونفوشيوس الإنسان أرقى كائنات الكون.[1]

وهكذا نجد أن الصينيين ارتبط تصورهم للكون بمعتقداتهم الدينية، واعتبار أن كل ما يحصل في الأرض، إنما هو إرادة السماء الإلهية، وأن كل الظواهر الموجودة في الكون إنما هي تعبير عن الإرادة الإلهية، واعتبروا أن كل محاولة لرصد الفلك إنما هي طريقهم لمعرفة السر الإلهي،[2] لذلك نجد الرصد الفلكي عندهم كان موازياً للتنجيم الذي كانوا يعتبرونه طريقهم لمعرفة سر إله السماء.
ومن أجل ذلك فقد اهتموا بالرصد الفلكي اهتماماً كبيراً جداً، أوصلهم إلى إنجازات عظيمة بحق ميزتهم عن غيرهم من الأمم، لدرجة أن علم الفلك عندهم كان يطلق عليه اسم "العلم الرسمي".[3]

ومن هذه الإنجازات: رصد الشمس وملاحظة البقع الشمسية التي عليها،[4]ورصد المذنبات، ومن بينها مذنب هالي، ووضعوا حسابات للتقاويم الزمنية ضمن الكثير من المعلومات الفلكية التي تتعلق بظواهر عدة، كحركة الشمس الظاهرة، وحركة القمر، وحسابات الخسوف والكسوف...[5]
وقالوا: بمركزية الأرض المحاطة بغلاف واحد، أي أن جميع الأجسام الفلكية تدور في غلاف فلكي واحد،[6]وقد عملوا جداولاً فلكية للنجوم، ولاحظوا ثبات النجم القطبي، وأن القبة السماوية بما تحوي من من نجوم، تبدو كما لو كانت تدور حول محور يمر بهذا النجم، ولذلك أعطوه اهتماماً خاصاً.[7]

بعد هذا الاستعراض المختصر لتصورات بعض الحضارات القديمة، نستنتج عدة أمور:

---

[1].(جامعة القدس المفتوحة ، (2003) ص78 بتصرف
[2]. (كياو، 02001) ص7
[3] .(محمود ، (1996) ص47
[4] .(كياو، (2001) ص18
[5] .(ميموني، وقسوم (2002) ص49
[6] .(كياو، (2001) ص18
[7] .(محمود، (1996) ص47

أولاً: إنّ البشر دائماً لديهم الميول الفطرية اتجاه التوحيد، ولكنهم كانوا يضلون في معرفة من هو الإله الذي يستحق العبادة حقاً، إلا أن رحمة الله دائماً واسعة، فكان الله يرسل الرسل لتعريف الناس بالإله الحق الخالق للكون، والذي جعل كل ما فيه مسخرا للإنسان.

ثانياً: إن فكرة أصل الكون ماء، وجدناها في أكثر من تصور حضاري، مثل المصريين القدامى، والبابليين والإغريق ولكن دون معرفة منشأ الفكرة، وهذا يدل على أن هناك دائماً استعمال للعقل من أجل التوصل إلى الحقائق، حتى لو كانت الخرافة والأسطورة الخيالية هي التي تسيطر، وفكرة أصل الكون ماء نرى أن لها أصلا: إما إلهيا توارثته الحضارات عن الأنبياء لكن دون أن يعرفوا ذلك، وإما نتاج تفكير علمي لم تقدم الحضارات له دليل؛ لأن اعتبار أن أصل الكون ماء، معلومة ذكرها القرآن الكريم، وهي أمرٌ مهم في دراستنا سنتعرف عليه في الفصل النهائي.

ثالثاً: وجدنا أن الفكر الإنساني في تصوره للكون لم يكن جامداً، بل كان دائم التطور، وهذا التطور أحياناً يكون تحولاً من تصور إلى آخر، أو تطور يفيد التوسع في المعلومة حتى لو كانت خرافية، وهذا الأمر مهم جداً؛ لأنه دليل على أن العقل الذي أعطاه الله للإنسان عندما يستخدم في البحث عن الحقيقة بطريقة علمية صحيحة قائمة على التجربة والملاحظة؛ فإنه حتما سيوصل إلى معرفة الله تعالى، الإله الحق، الخالق للكون والمدبر لأمره.

رابعاً: إنّ تأثير التراكم العلمي على تصورات الناس للكون، يكون غالبا إيجابيا، وأما تأثير الفلسفة فكان يوصل الإنسان إلى الخيال والضياع والحيرة؛ لأن الفلسفة ناتجة غالبا عن هوى النفس، واتباع التقليد.

وسنستعرض خلال فصول البحث اللاحقة التصورات الإنسانية للكون عبر أزمنة مختلفة .

ونعرض أيضاً ما يقوله القرآن الكريم ــ الكتاب الإلهي الوحيد الحق ــ لنلمس أن كثيرا من المعلومات لا يمكن معرفتها دون إخبار من الوحي؛ لأنها ببساطة لا تخضع للعقل.

تقديـــم

لقد عرفنا في الدراسة السابقة كيف أن الإنسان كان دائم البحث عن إله يعبده، وذلك استجابة لنداء الفطرة، وكان يصيب أحياناً في التعرف على الله، وأحياناً يخيب.

ولكن رحمة الله واسعة، فما إن ضل الناس وانحرفوا في عبادتهم، أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل عليهم الكتب السماوية ليرشدوا الناس من خلالها إلى طريق الهداية، ويعينوهم على فهم شريعته.

فكان من الناس من أجاب دعوة الرسل فأناب وأطاع، ومنهم من عصى واستكبر.

والذين عصوا لم يقفوا عند حدود المعصية؛ بل عمدوا إلى كتب الله المنزلة فحرّفوها وبدّلوها ليضلوا الناس ويبعدوهم عن سواء السبيل.

ومن الكتب التي أصابها التحريف التوراة والإنجيل.

ولكن – وبفضل الله – لم يمس هذا التحريف القرآن الكريم؛ لأن الله تعالى تعهد بحفظه. فقال: **[إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ]**[1]

وسنتناول في هذا الفصل رؤية كل من التوراة والإنجيل و القرآن الكريم للكون، من حيث نشأته وتطوره ونهايته، مع لفت الانتباه أن استعراضنا لما في التوراة والإنجيل قائم على اعتبار أنهما ليسا كتابين مُقَدَّسين، بسبب التحريف الذي أدخلته اليد البشرية عليهما، مما أدى إلى نزع القداسة عنهما، وجعلهما كتابين عاديين يمكن الأخذ والرد منهما، بل ونقدهما.

فالدين يكون له أحد مصدرين: إما من عند الإنسان نفسه، وهذا غالباً ما يتصف بالخرافات والوثنيات التي يعتاد الناس على تناقلها من بعضهم بعض؛ حتى يصبح ديدنا لهم، أي عادة ودين،[2] وإما أن يكون دين سماوي من عند الله، جاء إلى البشر عن طريق الرسل، وبواسطة الوحي، وهذا يتصف بالتوحيد،

---

[1]. سورة الحجر، آية 9

[2] .(ابن منظور، (1999) ص17

ويتكون من نظام شامل لكل الحياة، يتم فيه الخضوع التام لله؛[1]ولذلك فالكثير من المعلومات الكونية لا يمكن للعقل إدراك حقيقتها دون مساعدة من الوحي.[2]

وأصل التوراة والإنجيل كديانة إلهية، لكن تم العبث فيهما من قبل البشر فأصبحا كتابين لا قداسة لهما، وأما القرآن الكريم، فقد بقى على أصله الذي نزل عليه دون أي تبديل؛ وعليه فهو الكتاب السماوي الوحيد المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

---

[1].مودودي، أبو أعلى (1397هـ) المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، ط6، دار القلم، (بدون سنة نشر) الكويت ص ص116–118 بتصرف.

[2]. أعظمي، محمد ضياء (2003) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط 2، مكتبة الرشيد، العراق ص ص25–26 بتصرف.

الكون في التوراة.

المطلب الأول: تعريف عام بالتوراة:

التوراة كلمة تعني: "القرآن "[1]، وهي الشريعة المكتوبة عند اليهود؛ لأن الشريعة الشفوية عندهم هي التلمود الذي احتوى كل ما جمعه علماء اليهود من شروح وتفاسير كانت متداولة بين الناس خافوا من ضياعها، فدونوها في التلمود كسياج للتوراة، وكل تلك الشروحات والتفاسير لا تمت لنبي الله موسى عليه السلام بأي صلة، وأطلقوا عليها اسم التلمود أي: "الشريعة الشفوية".[2]

وتتكون التوراة من خمسة أسفار هي: سفر التكوين الذي يحكي قصة الخلق والتكوين، وسفر الخروج، وسفر اللاويين، وسفر العدد، وسفر التثنية.[3]
والتوراة التي يتداولها اليهود الآن هي من وضع أحبارهم،[4] وليست الشريعة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر ق.م؛ بل كتبها أحبارهم في فترة الأسر البابلي، أي بعد سبعمائة عام من عهد موسى، ونسبوها إلى نبي الله موسى – عليه السلام – زورا وبهتانا.[5]

ونعرض فيما يلي بعض الأدلة التي تؤكد تحريف التوراة:

---

[1]. أحمد، إبراهيم خليل (بدون سنة نشر) محمد في التوراة والقرآن الكريم والإنجيل، بدون طبعة، مكتبة الوعي العربي، بدون اسم البلد الناشر، ص35.

[2]. مظهر، سليمان (2002) قصة الديانات، ط2، مكتبة مدبولي، بدون اسم البلد الناشر، ص365.

[3]. حلمي، مصطفى (2004) الإسلام والأديان دراسة مقارنة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص132.

[4]. أحبار: هي جمع حبر، وتعني العالِم المحكم للشيء، وهم علماء اليهود. /المرجع: شاكر، محمود (2002) موسوعة تاريخ اليهود، ط1، دار أسامة للنشر، عمان، ص56.

[5]. سوسة، أحمد (1975) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ط5، بدون دار نشر، بغداد، ص80.

أولاً: الاختلاف الكبير بين نسخ التوراة: فالكثير من النسخ تختلف عن بعضها بعض في النصوص، وتحمل أفكاراً ونظماً تختلف من طور حياة لآخر في تاريخ اليهود الطويل، فلو كانت من عند الله لتوحدت مهما طال بها الزمن، واختلفت الأماكن.[1]

ثانياً: تعرض اليهود للتشريد والقتل بشكل مستمر في تاريخهم الطويل؛ أدى إلى عدم قدرتهم على المحافظة على التوراة، بل ونسيان الكثير من نصوصها، الأمر الذي أدى إلى الزيادة والنقصان عند محاولة كتابتها مرة أخرى.

ثالثاً: الفترات الزمنية المتباعدة بين كتابة الأسفار؛ مما أدى إلى اختلاف النسخ، فمثلاً: سفرا التكوين والخروج أُلّفا حوالي القرن التاسع ق.م، أما التثنية فقد أُلّف في القرن السابع ق.م، أي بفارق زمني يقرب من المئتي عام.[2]

رابعاً: ما اشتهر عن أحبارهم من مقدرة كبيرة على الكذب والتدليس من أجل الكسب المادي، فلم يتركوا شيئاً في التوراة يخالف أهواءهم إلا وحرفوه، خاصة وأنهم كانوا يمنعون اليهود من الإطلاع على ما في التوراة؛ حتى يبقى الناس بدون علم بما تحوي، فيستطيعوا التغيير في نصوصها كما شاؤوا دون مقاومة.[3]

خامساً: ملاحظة أن اللغات والأساليب التي كتبت بها الأسفار هي من صنع البشر، وليست إلهية.

سادساً: ورود صفات لله – تعالى – تتنافى وعظمته، مثل: تشبيه الله بالبشر في الكثير من صفاته، كالنسيان والخطأ، وورود صفات للأنبياء هم معصومون عنها، كالزنا وغيره.[4]

سابعاً: وعلى رأس هذه الدلائل وغيرها، هو ما ذكره القرآن الكريم من تحريفهم للتوراة، فقال تعالى: **[أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ]**[5]

غير أن التحريف في التوراة لم يكن تحريفاً تاماً؛ بل هناك نصوص كتبت لها السلامة، ولعل الحكمة الإلهية اقتضت إبقاء بعض هذه النصوص أصلية؛ لتوضيح الفرق بين كلام الله وكلام البشر، سواء في الصيغة أو الأسلوب أوالمعنى، ولبيان أن التوراة والإنجيل التي كتبها البشر، عاجزة عن إثبات نفسها، فكيف تثبت غيرها؟!.

---

[1]. وافي، عبد الواحد (1964) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، بدون طبعة، دار نهضة مصر، ص ص17–19 بتصرف.

[2]. (وافي، (1964) ص ص17–19 بتصرف

[3]. محمد، مصطفى مسلم (1994) معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، ط1، دار المسلم، الرياض، ص20.

[4]. ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ط1، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت. 1996، ص224.

[5]. سورة البقرة، آية 75

ولعل مشيئة الله اقتضت هذا الضياع لهذه الكتب ليسود الإسلام عليها؛ لأن الله – تعالى – لن يقبل غير دين الإسلام من الناس، وليجعله مسيطراً على الدين كله.

قال تعالى: **[وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ]**[1]

المطلب الثاني: تصور التوراة للكون:

تناول سفر التكوين في الإصحاح الأول حكاية خلق الكون، وإن الناظر في هذه القصة سيجدها مليئة بالأساطير والخرافات البابلية التي تأثر بها اليهود إبان فترة تواجدهم في بابل، وأدخلوها إلى نصوص التوراة حينما دونوها. وسنعرض فيما يلي النص التوارتي لقصة الكون كاملاً، ثم نعمل على نقده علمياً ومن القرآن الكريم.

الفصل الأول كما جاء في الترجمة الفرنسية :

"(1)في البدء خلق الله السماوات والأرض.(2) وكانت الأرض خربة وخالية، والظلمات تغطي اللجة وروح الله ترف على وجه الماء.(3) وقال الله: ليكن نور فكان نور.(4) ورأى الله أن النور حسن، وفصل الله بين النور والظلمات.(5) وسمّى الله النور نهاراً، والظلمات ليلاً، وكان مساء، وكان صباح، وكان اليوم الأول.(6) وقال الله: ليكن جلد في وسط الماء، وليكن فاصلاً بين مياه ومياه، وكان ذلك.(7) وصنع الله الجلد، وفصل بين المياه التي تحت الجلد، والمياه التي فوق الجلد.(8) وسمّى الله الجلد سماء، وكان مساء وكان صباح اليوم الثاني.(9) وقال الله: لتجتمع المياه التي تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة، فكان ذلك.(10) وسمّى الله اليابسة أرضاً، ومجتمع المياه بحاراً، ورأى الله ذلك أنه حسن.(11) وقال الله: لتنبت الأرض نباتاً عشباً يبزر بزراً، وشجراً مثمراً يخرج ثمراً بحسب صنفه بزره فيه على الأرض، فكان ذلك.(12) فأخرجت الأرض نباتاً عشباً يبزر بزراً بحسب صنفه، أو شجراً يخرج ثمراً بزره فيه بحسب صنفه، ورأى الله ذلك أنه حسن.(13) وكان مساء وكان صباح اليوم الثالث.(14) وقال الله: لتكن أضواء في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل، وتكون علامات للأعياد كما للأيام والسنين.(15) ولتكن أنوار في جلد السماء لتضيء الأرض، فكان ذلك.(16) وصنع الله النيرين العظيمين: النير الأكبر لحكم النهار، والنير الأصغر لحكم الليل والنجوم.(17) وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض.(18) ولتحكم على النهار والليل ولتفصل بين النور والظلمة.(19) ورأى الله ذلك أنه حسن، وكان مساء وكان صباح اليوم الرابع.(20) وخلق الله ثعابين البحر، وكل الكائنات الحية التي تنزلق وتعج في البحار كل حسب صنفه، وكل ذي جناح بحسب صنفه، ورأى الله ذلك أنه حسن.(22) وباركها الله قائلاً: أثمري وأكثري واملئي ماء البحار، وليتكاثر الطير على الأرض.(23)

---

[1]. سورة آل عمران، آية 85

وكان مساء وكان صباح اليوم الخامس.(24) وقال الله: لتخرج الأرض الكائنات الحية بحسب أصنافها بهائم، ودبابات ووحوش أرض بحسب أصنافها، وكان ذلك.(25) وصنع الله الوحوش بحسب أصنافها، والبهائم بحسب أصنافها وكل دبابات الأرض بحسب أصنافها، ورأى الله ذلك أنه حسن.(26) وقال الله: لتصنع الإنسان على صورتنا كمثالنا.
وليتسلطا على سمك البحر وطيور السماء والبهائم وجميع الأرض من الدبابات والوحوش التي تزحف عليها.(27) وخلق الله الإنسان على صورته، وعلى صورة الله خلقه، ذكر وأنثى خلقهما... وباركهما الله، وقال لهما: أثمرا وأكثرا واملآ الأرض وأخضعاها، وتسلطا على سمك البحر، وطيور السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض.(29) وقال الله: إني قد أعطيتكما كل بقل يحمل بزراً على وجه الأرض، وكل شجر فيه ثمر ويحمل بزراً، تكون لكما طعاماً.(30) ولكل الوحوش وطيور السماء، وكل دابة على الأرض، وكائن حي أعطيت كل خضرة النباتات، وكان كذلك.(31) ورأى الله كل ما عمله وكان حسناً جداً وكان مساء وكان صباح اليوم السادس".[1]

الفصل الثاني كما ورد في نفس الترجمة :

"(1) فأكملت هكذا السماوات والأرض، وجميع جيشها.(2) وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل؛ فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل.(3) وبارك الله اليوم السابع وقدسه؛ لأنه فيه استراح من جميع عمل الخلق الذي قام به.
(4) هذه قصة (رواية) السماوات والأرض حين خلقت"[2]

إن الناظر في هذه الحكاية، يجد فيها الكثير من المعلومات التي لا يمكن أن تكون من عند الله؛ لما فيها من خرافات وتناقضات تنافي العقل، وتعارض أصل الدين الذي مصدره الوحي.
ونستعرض بإيجاز نقد هذه الحكاية من الناحية العلمية والعقلية ومن القرآن الكريم:

أولاً: يقول موريس بوكاي[3]: إن حكاية التوراة : "روح إله ترف على المياه" يعني وجود ماء في بداية الخلق، وهذا ــ حسب رأي بوكاي ــ أمر لا يقبله العلم الذي قال: إن الكون بعد انفجاره العظيم تحول إلى كتلة غازية تشكلت منها النجوم والكواكب جميعاً.[1]

---

[1]. (ميموني، وقسوم (2002) ص ص53-54

[2]. توراة السمرة، الإصحاح الأول (بدون توثيق)

[3]. موريس بوكاي : طبيب فرنسي، أعلن إسلامه عام 1982 عندما قام بتشريح مومياء فرعون، وتصدى للرد على التوراة والإنجيل من الناحية العلمية.

المرجع: منتدى لؤلؤة المشرق العربي (2004) جثة فرعون والرئيس الفرنسي، مصر.
http://www.egyptsons.com/misr/showthread.php,15.3.2004

إنّ رد بوكاي هذا مقبول لدينا من ناحية ومرفوض من ناحية أخرى:
أما القبول فهو: إن كانت التوراة تقصد بأن الكون تكون من الماء بعد الانفجار العظيم، أي بعد تكون السماوات والأرض، فهذا أمر قال العلم خلافه، وعليه فالرد فيه حجة ومقبول.
أما الرفض فهو: أن النص التوراتي إن قصد أن أصل مادة الكون التي خلق منها هي الماء، فالأمر لدينا مقبول؛ لأن القرآن الكريم والسنة قالا بذلك، ونحن لنا وقفة في هذا الموضوع في الفصل الخامس.
ولكننا نرى أن بوكاي إنما يتحدث عن الكون بعد الانفجار؛ لأنه يتحدث باسم العلم، والعلم وقفت علومه في خلق الكون عند نقطة انفجاره، أما ما قبل هذه النقطة، فلم يخض العلم حتى الآن في هذا الأمر، بينما القرآن الكريم والسنة النبوية تخطيا العلم في ذلك، وسنفصل هذا الأمر في الفصل الخامس.

ثانياً: قول التوراة:" ليكن نور فكان نور..." إلى القول: "وكان مساء وكان صباح اليوم الأول" يرد بوكاي فيقول: إنّ الضوء يقطع الكون نتيجة ردود أفعال معقدة تحدث في النجوم، والنجوم هنا، لم تكن قد تشكلت بعد في هذه المرحلة؛ حيث إن أنوار السماوات لا تذكر في سفر التكوين إلا في الآية (14) باعتبارها مما خلق الله في اليوم الرابع "ليفصل بين النهار والليل" فمن غير المنطقي أن تذكر النتيجة الفعلية (النور) في اليوم الأول، على حين تذكر وسيلة إنتاج هذا النور في اليوم الرابع، يضاف إلى ذلك: أن وضع الليل والنهار في اليوم الأول هو أمر مجازي صرف، فالليل والنهار باعتبارهما عنصرين ليوم واحد غير معقولين إلا بعد وجود الأرض ودورانها تحت ضوء نجمها الخاص بها، أي الشمس التي هي وسيلة النور.[2]

ثالثاً: حكاية التوراة "ليكن جلد في وسط المياه..." إلى القول: "وكان صباح اليوم الثاني" .
بوكاي الذي يتحدث باسم العلم يُخطّئُ النص الذي يوضح أن الأرض أصلها ماء، والعلم يثبت العكس أن الماء أصله من الأرض.[3]
ونحن هنا نرى الأمر صحيحا من ناحية وخاطئ من الأخرى، فكون النص يفيد أن الأرض أصلها ماء، فالأمر محتمل إن قصدت التوراة أن الماء أصل مادة الأرض قبل رتقها، وإن كان القصد: أن الأرض كانت ماء بعد التشكل، فنحن هنا نوافق بوكاي في رفضه.

---

[1].غنمي، سيد سلامة (2000) التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير، ط1، دار الأحمد للنشر، القاهرة، ص184 بتصرف.

[2]. (غنمي، (2000) ص185

[3]. (غنمي، (2000) ص185

ونرى أنه لا تناقض بين مقولة أن الأرض أصلها من الماء، ومقولة أن الماء خارجٌ منها، إذ لدينا أصل لذلك في القرآن الكريم يبين أن أصل مادة الأرض من الماء، وبعد تشكلها واتخاذها الشكل الحالي أخرج الله الماء منها.
ثمّ إن هناك أمرا مهما في هذه النص، وهو أن (الرواية) تقول بمبدأ وحدة الكون (أي تكتله) ثم انفصاله وهذه أيضاً معلومة مقبولة لدينا؛ لأن القرآن الكريم قال بها، إضافة إلى العلم الذي أثبت الأمر.

رابعاً: حكاية التوراة: لتنبت الأرض خضرة..." إلى القول: "وكان صباح اليوم الثالث".
ووجه الخطأ هنا: هو وجود الزرع والنبات في وقت لم تكن فيه شمس، وهذا أمر يناقض العلم الذي أثبت دور الشمس الكبير في عملية ا لإنبات.

خامساً: قول التوراة: "لتكون أنوار في جلد السماء... إلى القول: وكان نهار اليوم الرابع".
والتوراة في هذا النص تشير إلى أن الشمس والقمر خلقا بعد الأرض، وهذا مخالف لمقولة العلم الذي أثبت: أن الشمس والقمر، بل النظام الشمسي كاملاً خلق في اللحظة ذاتها، ثم الانفصال التام لجميع أجزاء الكون عن بعضه بعضا...[1]

سادساً: حكاية التوراة: "وقال الله: ولتعج المياه بعجيج الكائنات..." إلى القول: "وكان نهار اليوم الخامس".
فهذا النص يذكر أن الطيور خلقت قبل حيوانات البر، وهذا ينافي العلم الذي أثبت من خلال التطور البيولوجي أن الطيور خلقت بعد حيوانات البر".[2]

سابعاً: تنتهي الرواية بالحديث عن إكمال الخلق في اليوم السابع، وهي على ذلك تعتبر اليوم: هو المدة الزمنية التي نعرفها نحن، وهذا يخالف العلم الذي يقول: إن الكون خلق في فترة زمنية طويلة جداً.[3]
وهذه المقولات التوراتية في غالبها تم صبغها بصبغة خيالية.

وأهم وصف كوني للتوراة: هو الذي يبين أن الكون استقر بعد الخلق، وهذا ينافي العلم الذي قال بتطوره منذ لحظة تكونه الأولى، وأن هذا التطور في حالة استمرار إلى ما شاء الله.[4]

---

[1]. (غنمي، (2000) ص186بتصرف
[2]. (ميموني، وقسوم (2002) ص55 بتصرف
[3]. (غنمي، (2000) ص189
[4]. (ميموني، وقسوم (2002) ص55

وهذه الفكرة دخلت إلى التوراة مِنْ تصورات الحضارات القديمة كالبابلية، التي تأثر بها اليهود؛ حيث كانت تعتقد هذه الحضارات أن الكون مستقر وثابت.

هذا هو الرد العلمي، وأما رد القرآن الكريم على ما جاء في النص التوراتي فهو كما يلي:

أولاً: وافق القرآن الكريم التوراة في أنّ مدة الخلق هي ستة أيام، لكن القرآن الكريم نقض ما جاء في التوراة من مفهوم لليوم، فالتوراة عرفت اليوم بالمدة الزمنية المعروفة لدينا، بينما القرآن الكريم لم يحدد المدة الزمنية لليوم، لكنه ذكر أنها مدة زمنية طويلة جداً، قد تكون عصوراً، أو دهوراً، أو قروناً.[1]

والله وحده يعلم مقدار هذا اليوم، وهذا ما قاله المفسرون المسلمون في تفسير أيام الخلق.[2]

فقد ذكر صاحب (الظلال) في تفسير اليوم في قوله تعالى:**[اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ]**[3] :أن هذه الأيام قطعاً ليست كأيام الأرض التي نعرفها، إنما علمها عند الله، لكن هي مدد زمنية طويلة جداً، ونحن نأخذها غيباً كما هي."[4]

وهذا يدل على أن التوراة الحالية ليست كتاب الله، فلو كانت من عنده – تعالى– لما تناقضت مع القرآن الكريم؛ لأن كلام الله واحد لا تناقض فيه.

ثانياً: التوراة في روايتها رتبت الخلق ترتيبا مليئا بالتناقض، وهو مناف لما في القرآن الكريم، فالتوراة تقول: إن الأرض خلقت قبل الشمس والقمر، وهذا مغايرٌ لما في القرآن الكريم الذي يؤكد أن السماوات والأرض وما بينها خلقا في اللحظة ذاتها، وذلك حينما كانتا شيئاً واحداً (رتقا) فانفصلتا، وأخذ كل عنصر في الكون ينفصل عن الآخر في الوقت نفسه، ويأخذ شكلاً له ووظيفة، فقال تعالى: **[أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا]**[5] فالآية تشير إلى أن الكون كله خلق في وقت واحد.

---

[1]. بوكاي، موريس (1987) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ترجمة دار المعارف، بدون طبعة، مصر، ص159.

[2]. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي القسطنطيني (ت: 972هـ) تفسير أبي السعود، ط 1، ج5، دار الكتب العلمية، بيروت، (1999) ص198.

[3]. سورة السجدة، آية 4.

[4]. قطب (2004) الطبعة 33

[5]. سورة الأنبياء، آية 30

و على الرغم من أن القرآن الكريم لم يرتب الخلق في سورة واحدة، أو آية واحدة؛ بل جاءت عملية الخلق موزعة على سور القرآن الكريم، دون وجود أدنى درجة للتناقض، بل كل آية تتم الآيــة الأخرى.

ثالثاً: ذكرت التوراة أن الله خلق الإنسان على شبهه، والقرآن الكريم نقض هذه الفكرة من جذرها، حيث وصف الله نفسه بصفات الكمال التي لا يشبهه فيها أحدٌ من خلقه فقال تعالى:
[لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ][1]، فالآية تثبت لله صفات، كالسمع والبصر، وتنفي أن يكون يشابهه أحدٌ فيها أو في غيرها من الصفات، فهو – سبحانه – يسمع لكن ليس كسمع البشر، ويبصر لكن ليس كبصر الخلق وهكذا...، والتوراة نفسها في بعض النصوص التي سلمت من التحريف تؤكد أن الله ليس كمثله شيء، فقد ذكر الإصحاح الثامن من سفر الخروج ذلك فقال: "لكي تعرف أن ليس مثل الرب إلهنا"[2]
فلننظر كيف يبرز التناقض في روايات التوراة، التي تقول أن الله مثل البشر، ثم توجد نصوص أخرى تنفي أن يكون الله له مثيل، ولو كان هذا الكتاب كتاب الله لما وجدت هذه التناقضات لأن كلام الله تعالى لا تناقض فيه.

رابعاً: ذكرت التوراة: "أن الله عندما فرغ من الخلق استراح؛ لأنه تعب".
وهذا يتنافى مع صفات الكمال الإلهية التي تُنزّهُ الله عن كل صفات النقص البشرية، كالتعب، والراحة... وقد رد القرآن الكريم على ذلك بقول الله تعالى: **[وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ]**.[3] فالله ــ تعالى ــ ينفي عن نفسه في هذه الآية التعب بعد إتمام الخلق.

خامساً: إخبار القرآن الكريم عن طبيعة هؤلاء القوم في تلبيس الحقائق وتشويهها[4]، فقال تعالى:
[يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمون][5].
وشهادة الله – تعالى – فيهم لهي أعظم برهان على أن ما بين أيديهم من التوراة ليس من عند الله.

---

[1]. سورة الشورى، آية 11

[2] . حجاج، محمد أحمد (1992) النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ط1، دار القلم، دمشق، ص69.

[3] . سورة ق، آية 38.

[4] . خلف، طلال محمد (بدون سنة نشر) قيم اليهود في القصص القرآني ، ط1، آفاق للطباعة، غزة، فلسطين، ص65.

[5] . سورة آل عمران، آية 71

سادساً: إن شهادة التاريخ على زيف التوراة لتزيد من دلائل إثبات التحريف، وإدخال اليهود عليها ما ليس منها، ومثل ذلك: تأثرهم بالرواية البابلية القائلة: إن اليوم الذي تحيض فيه الإلهة عشتار، هو ذات اليوم الذي تستريح فيه من كل أعمالها؛ لذلك فقد حرَّم البابليون على أنفسهم في هذا اليوم عدة أمور، منها: منع السفر، عدم أكل اللحم المطبوخ، وعدم إشعال النار، وهي الأعمال نفسها التي تستريح المرأة الحائض من فعلها لديهم، وسمي هذا اليوم لدى البابليين بيوم: "السباتو" أي يوم الراحة، وكانوا يحتفلون به في كل شهر، ثم مرّة كل أسبوع.

وعنهم أخذ اليهود هذه الفكرة أيام السبي البابلي، فجعلوا يوم السبت يوم راحة، استراح الإله فيه من عناء الخلق، وسمّوه أيضاً بيوم "السبات"، وفرضوا على أنفسهم محرمات مشابهة ما زالت تسيطر على سلوكهم.[1]

وفي بعض ما تقوله التوراة في الكون : نجد تشابها كبيرا بينها وبين تصور البابليين للكون، مثال: البابليون يتصورون: "أن الظلام يحيط بآلهة الماء المالح، وزوجها هو إله الماء العذب".

ورواية التوراة تقول: "الظلام يغلف المياه الأولى، وروح الرب ترفرف فوق المياه".[2]

وهذا كله يدل على تأثر اليهود بالفلسفة البابلية، الأمر الذي أدى بهم لصبغ التوراة بهذه الأفكار الأسطورية.

هذه خلاصة الردود التي تبين زيف التوراة في أغلب نصوصها مما ينزع عنها القداسة الإلهية. ولكن هناك نصوص لم يصلها التحريف تبين حقائق كونية، أكدها القرآن الكريم، وقال بها العلم، مثال:

رواية التوراة: "أن السماوات والأرض كرويتان".[3]

وقد أشار ابن حزم[4] في كتابه "الفصل" أن التوراة تقول: إن الله هو الخالق المهيمن على الكون، وأن هذا الكون له نهاية حتمية، هي يوم القيامة.

وورد ذلك في سفر "أشعيا" الآية (26) الإصحاح (19): "يقوم الموات، ويستيقظ الذين في القبور".[5]

إن ما نستخلصه من رواية التوراة للكون هو ما يلي:

---

[1]. سواح، فراس (1986) اللغز عشتار، بدون طبعة، بدون دار نشر، دمشق، ص75 بتصرف يسير.

[2]. معموري، ناجح (2002) الأسطورة والتوراة، ط2، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ص80.

[3]. (ابن حزم، (1996) ص361

[4] . ابن حزم : هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، ولد بقرطبة عام (384هـ)، تصدى للرد على الملل الضالة في كتاب: "الفصل". /المرجع: شرفا إسماعيل (بدون سنة نشر) الموسوعة الفلسفية، بدون طبعة، دار أسامة للنشر، عمان، ص8.

[5]. سفر إشعيا، الإصحاح 29، الآية 26، لا يوجد أي توثيق.

إن التوراة – وبسبب تحريفها – تضم كثيرا من المعلومات التي برز فيها تأثير الفلسفات والأفكار البابلية القديمة، مما جعلها روايات خيالية أسطورية تخلو من كثير من الحقائق؛ لأن الفلسفة في غالبها تصبغ المعرفة بطابع الخيال والخرافة، على عكس العلم، الذي يعطي المعلومة صفة الاقتراب من الحقيقة بسبب توافق العقل مع الحق، وعليه فالتوراة تخضع للتأثير الفلسفي، وتخلو من التأثير العلمي.
ثم إن بعض المعلومات الكونية الواردة في التوراة لها أصل في القرآن الكريم، وهذا يؤكد أن هذه النصوص لم يصلها التحريف.
مثل: رواية: "أصل الكون ماء"، ورواية "كروية الأرض"، ورواية "نهاية الكون".

وبناءً على ذلك: نجد أن التوراة أدت إلى انحدار الفكر في تصوره للكون، وليس تطوره، وعملت على إهمال العقل، لا إعماله، ولو كانت كتاباً سماويا لكانت النتيجة عكسية تماماً، فالله – تعالى – دائماً يدعو للتفكر والتدبر، وعدم الجمود، حتى يتوصل الإنسان إلى معرفته يقيناً من خلال مخلوقاته، وبالتالي عبادته على علم، وليس على جهل.

الكون في الإنجيل.

المطلب الأول: تعريف عام بالإنجيل:

الإنجيل: كلمة معربة عن الكلمة اليونانية "أفانجليون"، والتي تعني: البشارة، أو الخبر السار.[1]
ويسمى بالعهد الجديد، على اعتبار أنه امتداد للعهد القديم التوراة.[2]
واليهود لا يعترفون بالإنجيل كدين سماوي، بينما المسيحيون يرون أن التوراة هي فقط كتاب شريعة، والإنجيل دين سماوي يتعهد بالفضل والكفارة للبشرية.[3]

ولم ينزل الإنجيل على نبي الله عيسى – عليه السلام – مكتوباً، بل نزل مشافهة، وتناقله أتباع المسيح بنفس الطريقة؛ لذلك عندما قرر المسيحيون تدوينه بعد عهد عيسى، أدى إلى كثير من التحريف والتبديل، إما بسبب نسيان الحفظة لكثير من نصوصه، أو موت بعض الحفظة، أو نتيجة للتحريف المتعمد من قبل الناسخين إرضاءً لأهوائهم.
وعليه فقد تم جمع النصوص في عدة أناجيل تميزت بالتناقض، وحمل كل إنجيل اسم أحد أتباع المسيح الذين أسند إليهم الكلام.
وهذه الأناجيل قسمان:
رئيسية: وهي "متى"، و"يوحنا"، و"مرقس"، و"لوقا".
وفرعيه: وهي تلك التي كتبت على أيدي قسيسين ورهبان.

والأناجيل الأربعة الأساسية تم اعتمادها من قبل الإمبراطور قسطنطين[1] خلال مؤتمر عقده، فجمع فيه جميع أعضاء الكنيسة، وأمر بوضع الأناجيل كلها تحت طاولة العشاء الأخير[2]، ثم أخذ رجال الكنسية

---

[1]. (غنمي ، (2000) ص208

[2]. سوسة، أحمد (2001) ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ط2، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ص79

[3]. إدريس، أحمد (1987) تاريخ الإنجيل والكنيسة، ط7، دار حراء، مكة، ص61.

بالدعاء إلى الله أن تصعد الأناجيل الصادقة فوق الطاولة ويبقى الزائف منها تحتها، وعندها صعدت الأناجيل الأربعة فوق الطاولة، وبناء على ذلك أصدر القسطنطين فرماناً يقضي باعتماد هذه الأربعة كأناجيل صادقة ومقدسة، وإحراق ما سواها.[3]

والناظر في هذه الحكاية، يجد مدى الخرافة التي فيها، وإلى أي مدى كان رجال الكنيسة يستخفون بعقول الناس، وبرأينا يكفي هذه الرواية لتدل على أن الإنجيل الذي بين أيدي النصارى ليس كتاباً إلهياً مقدساً، بل هو كتاب من صنع البشر مليء بالأساطير.

وفيما يلي نستعرض أدلة أخرى تبين أن الإنجيل محرف، وليس كتابا منزلا من عند الله :

أولاً: إن الكثيرين من أتباع الديانات الوثنية كانوا قد اعتنقوا المسيحية، فعملوا على إدخال الكثير من معتقداتهم إلى المسيحية، مثل: عقيدة ثالوث طيبة القائمة على الآلهة: "آمون" الأب، و"مون" الأم، و"خنسو" الابن، وهذا ما تقول به المسيحية ثالوث: "الابن، الأب، وروح القدس".

وأهم هؤلاء الوثنيين الذين اعتنقوا النصرانية، وكان لهم دوراً كبيراً في تحريفها: "بولس الرسول"[4] اليهودي الأصل، الذي لم يألُ جهداً في تغيير نصوص الإنجيل تماشياً مع أحقاده على المسيحية، وأهوائه السلطانية.

ثانياً: إن تعرض المسيحيين للكثير من الاضطهادات خلال حياتهم بسبب ديانتهم؛ جعلتهم يتناولون الإنجيل مشافهة وبشكل سري[5]، والسرية عادة يحدث في ظلمتها ما يجعل العقل غير مطمئن إلى ما

قسطنطين : هو إمبراطور الدولة الرومانية التي كانت تدين بالوثنية ، وقد أيد النصرانية الجديدة التي حرفها بولس الرسول واعتمدها. /المرجع: خضر نبيل (المحقق) ، لم يذكر اسم المؤلف (2003) النصرانية في ميزان العقل والإسلام، ط3، بدون دار نشر، إربد، ص303 بتصرف.

[2]. وهو العشاء الأخير الذي تناوله المسيح مع تلاميذه إذ اقتسم معهم الخبز الذي يرمز إلى جسده الذي كسر، والخمر الذي يرمز إلى دمه الذي سفك لإنقاذ البشرية. /المرجع: رحيلي، محمود أحمد (2005) العلمانية وموقف الإسلام منها، منتدى تون، الإمارات.
http://4aetoon.net/vb/showthread.php,25.4.05

[3]. (إدريس ، (1987) ص66

[4]. بولس الرسول: هو شاؤول اليهودي، ولد في طرسوس، وتربى في القدس، نشأ على اليهودية، ثم اعتنق النصرانية، وادعى أن المسيح جاءه في رؤية يقظة، وأعطاه تعاليم جديدة للمسيحية، فعمل على التغيير بما يروق لهواه. /المرجع: (خضر ، (2003) ص303 بتصرف.

[5]. (خضر ،(2003) ص283.

يحكى؛ فيكون هناك شك في كل ما يروى، وقد يدس فيها ما ليس منها، فتحصل الزيادة والنقصان في النصوص بسهولة.[1]

ثالثاً: الاعترافات التي سجلها علماء النصارى أنفسهم، والتي يوضحون من خلال أن الإنجيل محرف. ومنها، ما قاله "موريس بوكاي" الذي كان نصرانياً وأسلم: "إننا لم نعد متأكدون مطلقاً من أننا نتلقى كلمة المسيح بقراءة الإنجيل".[2]

وهذا تشكيك واضح منه بصحة ما في الإنجيل، وما صرح به "بوكاي" أكده ذلك التحذير الذي وجهه أحد كبار رجال الكنيسة لقارئي الإنجيل يلفت انتباههم إلى أن هذا الإنجيل ليس مقدساً، وأن هناك تعويضاً عن قراءة الإنجيل بأن يستمعوا إلى ما تقوله الكنيسة، ويقول في ذلك: "إن كان المسيحي غير قادر على سماع صوت المسيح المباشر؛ فإنه يسمع صوت الكنيسة، ويركن إليها ركونه لمفسر خوّل إليه أن يفسر السيد الذي حدثنا اليوم مجده، بعد أن تحدث على أرضنا".[3]

وهناك عالِمٌ آخر يدعى الأب "روجيه" وصف عبارات الإنجيل ونصوصه بالقول: "إنها مبهمة، وغير مفهومة، بل متناقضة وعبثية وفاضحة".

واعترف "كننجسر" العالم بالإنجيل بوجود تعديلات قام بها البشر على نصوص الكتاب المقدس.[4]

وهذه الاعترافات مجرد نماذج تبين دور النصارى واليهود في تحريف الإنجيل والتوراة، ولا أصدق من شهادة الحق – تعالى – على تحريفهم كتاب الله عن مواضعه، ونسبه إلى الله، فقال تعالى:

[... يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ...][5]

وبناءً على ما ذكرنا من التحريف للإنجيل؛ فإن الإنجيل هو بشري وليس إلهيا، وبالتالي أي معلومة ترد فيه قابلة للأخذ والرد، وكذلك للنقد.

المطلب الثاني: تصور الإنجيل للكون:

---

[1]. حماية، محمود علي (1983) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، ط1، دار المعارف، القاهرة، ص303.

[2]. خالدي، صلاح عبد الفتاح (1989) البيان في إعجاز القرآن الكريم، ط1، دار عمان للنشر، عمان، ص280.

[3]. (بوكاي مورس (1983) الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة، بدون طبعة، دار المعارف، مصر، ص98.

[4].(بوكاي ، (1983) ص ص13+88 بتصرف.

[5] . سورة المائدة، آية 13

لم يتحدث الإنجيل كثيراً عن الكون؛ لأن محور حديثه هو حياة المسيح – عليه السلام – وذكر معلومات قليلة حول الكون، دون أن يرتبها بالتسلسل كما في التوراة في مكان واحد، بل كانت متفرقة في جميع الأناجيل.

والتصور الإنجيلي للكون يظهر فيه بوضوح التأثر بالأساطير البابلية[1]، ومثال ذلك: ما ورد في إنجيل بابل حكايته: أن العالم كان عماء كونيا من ثالوث إلهي هو: "ثيامت"، و"أبسو"، و"حمو"، وهذا الثالوث الإلهي عندما تحرك من سباته، نتج عن حركته آلهة جديدة هي: "إله الطمي"، و"إله الأفق" و"إلهة "السماء" التي أنجبت إله الماء "إيا"، وبذلك تم خلق الكون حسب التصور البابلي.

والنص الحرفي لهذا التصور في الإنجيل هو:

> "حينما في العلى لم تسمّ السماء السماء، حينما في الدنيا لم تُسمّ الأرض الأرض، كان أبسو الأب، وكانت ثيامت الأم، وكان حمو، كانت الآلهة الثلاثة يتحدون في رخاء أبدي، حيث لا مراعي خضر ولا حقول قصب، ولا ألواح قدر ولا آلهة، ولا سماء، من وسط خليط المياه ظهر لخمو، إله الطمي الأول، ولخامو إله الطمى، كبر لخمو ولخامو، وظهر من اختلاطهما الطويل آلهة الأفق "أنشار وكيشار"، ولدت كيشار آنو على هيئة أبيه أنشار...".[2]

نلاحظ في هذا النص الإنجيلي مدى تشابهه مع الرواية البابلية، وهذا دليل على أن هذا الكتاب بشري لا إلهي، ثم النص يبرز فكرة "الأقانيم"[3] الثلاثة التي تقول بها المسيحية (الأب، والابن، وروح القدس).

ويذكر الإنجيل: أن الكون طبيعة مزدوجة، الأولى شيطانية: ممثلة "بثيامت" التي يتشكل كل جزء في الطبيعة من جسدها، فالقبة السماوية مكونة من نصف جسدها، وتسكن فيها الآلهة، والنصف الثاني شكل الأرض والبحار والسحاب.

والثانية طبيعة إلهية: وهي النجوم والأفلاك، التي هي صور للآلهة.[4]

والإنجيل بذلك يتصور أن الكون بحصيلته ظهر نتيجة لعمياءية شيطانية فيها شر وإيذاء للبشر من جهة، وإبداعية إلهية مبدعة للخير من جهة أخرى.

وعليه فالكون له خالقان:

الأول: إله الشرور، الذي هو نفسه شرير، وهو إله العهد القديم العدو للبشرية الذي يسعى لعدم إيصالهم للصلاح.

---

[1]. ماجدي، خزعل (1998) إنجيل بابل، ط1، منشورات الأهلية، عمان، ص7.

[2]. (ماجدي، (1998) ص7

[3]. الأقنوم: هو الشخص القائم في طبيعة عاقلة، وهو الجسد. /المرجع: (خضر،(2003) ص283.

[4]. (ماجدي، (1998) ص ص29+30 بتصرف

و**الثاني**: إله الصلاح: وهو الحية التي أعلمت حواء بكذب الخالق الأول، الذي منعها من الأكل من شجرة المعرفة، تلك الشجرة التي توصل إلى المعرفة الباطنية التي تخلص الإنسان من إله الشرور.[1]

إن من أعجب ما في الرواية افتراءها على الله – تعالى – بوصفه بما لا يليق بجلاله، ثم نسب هذا الكتاب إليه، أليس ذلك استخفافاً بالعقول؟! إذ كيف لعقل سوي أن يؤمن بإله يصف نفسه بالشر، ومهمته إيذاء الناس؟!

ولا أدل من هذا على زور هذه الأناجيل، وأنها من صنع بشر لا كلام إله.

والأعجب : هو أن بعض المسيحيين يعتقدون أن الكواكب آلهة، خاصة كوكب الزهرة الذي سمّوه "ملكة السماء"، وهذا الكوكب هو ابن الشمس والقمر، ويسمّي هؤلاء المسيحيون أنفسهم: "بالمريميين" نسبة إلى مريم أم المسيح – عليهما السلام – وقد بالغوا في تقديسها لدرجة تأليهها.[2]

وقد تأثر العديد من علماء النصارى بتوجيهات الكنيسة فيما يتعلق بالعلوم الكونية، فلم يهتموا بالتجربة العلمية، ولم يستخدموا البراهين لإثبات ما يتوصلون إليه من نظريات علمية حول الكون، ولا حتى محاولة التفكير في الكون خارج النصوص الإنجيلية؛ لأنهم عندما كانوا يتوصلون لأي معلومة كونية تخالف نصوص الإنجيل، كان هذا يعني الموت لذلك المُنَظِرْ، لذلك نجد أن علماءهم كانوا يلجأون للخلط بين الماديات والغيبيات خوفاً من الكنيسة، أي يقومون بالدمج بين الفكر النصراني، والفلسفة الأرسطية.[3]

ومن هؤلاء العلماء: "توما الإكويني" ذلك الفيلسوف المسيحي الذي عاش في القرون الوسطى، والذي كان يرى: أن الخالق يلعب دوراً رئيسياً بتسيير الكون بشكل دائم، ويساعده جيش من الملائكة، بعضهم أكثر مادية من بعض، وذلك حسب قربهم أو بعدهم عن العالم المادي، أو عن الجنة مسكن الإله الذي في قبة السماء، وأن النار وضعت في قلب الأرض، واحتوت على الأرواح السيئة والشياطين.

ومن تصوراته الخرافية للكون قوله: أن الخالق يوجد على مسافة مقدرة من الأرض، وأن السماء الزرقاء ما هي إلا تجلي النور الإلهي المتناثر، وأن تعاقب الليل والنهار هو نتيجة للصراع الدائم بين الخير والشر .

ومن تصوراته العلمية قوله: أن الأرض مركز الكون، وباقي الكواكب كالشمس والقمر... تدور حول الأرض، وقال: إن الكون لا نهائي الأبعاد.[4]

---

[1]. خضوري، حنا (1981) تاريخ الفكر المسيحي، ط1، دار الثقافة، بدون بلد النشر، ص476.

[2]. شيخو، لويس (1989) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، ط2، دار المشرق، بيروت، ص113.

[3]. (ميموني، وقسوم (2002) ص56 بتصرف

[4]. (ميموني، وقسوم (2002) ص58

والإكويني ما هو إلا نموذج لعلماء تلك العصور الوسطى التي سيطر عليها الفكر الخرافي الذي يصور الكون وقد خلقه أكثر من إله، وله أكثر من مدبر ومهيمن، وكلها أفكار إنجيلية مقتبسة من الفكر الحضاري القديم، خاصة البابلي.

فلو كان الإنجيل كتاب الله، لوجدنا فيه فكر التوحيد الذي دعا إليه كل الأنبياء، وختم به النبي محمد – ρ– إذ لو كان الكون له أكثر من إله لفسد، وهذا ما أكده القرآن الكريم:

[لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...][1]

ولو كان الله يدعو في كتبه لعبادة النجوم والكواكب، إذن فلا داعي لإرسال الرسل؛ لأن الناس عبدوها دون حاجة لمن يخبرهم بذلك، وليبقوا في غيهم يعمهون.

لكن ذلك لم يكن إلا ضلالاً وتحريفاً لكلام الله عن مواضعه كما حصل عند أسلافهم اليهود.

وبعض النصوص التي سلمت من التحريف ذكرت: أن الكون له نهاية يوم القيامة، وورد هذا في إنجيل يوحنا الإصحاح الرابع والعشرين: "إن كل من رأى الابن ويؤمن، تكون له الحياة الأبدية،وأنا أقيمه في اليوم الآخر".[2] فالنص في بدايته يظهر فيه التحريف من خلال الدعوة إلى الشرك باعتبار عيسى عليه السلام ابن الله، ولكن يكمل النص القول: بأن هناك نهاية للكون، وهذا أمر ذكره القرآن الكريم.

وعندما تحرر الناس من قيود الكنيسة الفكرية والجسدية، انطلق علماء المسيحيين يبحثون في شتى ميادين العلم، وخاصة علوم الفلك الفضاء، وقدموا للبشرية إبداعات علمية عظيمة، وكان من أبرزها وصولهم إلى القمر عام 1969، وسنتحدث عن العديد من هذه الإنجازات، وخاصة فكرة "الانفجار العظيم" عندما نتحدث عن الكون في العصر الحديث في الفصل الرابع.

ماذا نستنتج من دراستنا للتصور التوراتي والإنجيلي للكون؟

إن أهم استنتاج هو: أن ما عرضه هذان الكتابان من تصور للكون يتنافى مع العقل، فمن حكمة الله ورحمته أنه ميز العقل بقبول ما هو حق ورفض الباطل، وبما أنه لا قبول لما في التوراة والإنجيل من معلومات كونية، إذن فهو باطل مردود.

ثم إن التناقض والاختلاف فيما بينهما من تصور للكون ليؤكد أنهما ليسا كتابين سماويين، فلو كانا من عند الله لما وجد فيهما هذا الاختلاف؛ لأن المصدر عندها سيكون واحدا، وهو الله الحق الذي لا

---

[1]. سورة الأنبياء، آية 22

[2]. مبيض، يسر محمد (1992) اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، ط1، مكتبة الغزالي، الدوحة، ص62.

اختلاف في كتبه، وبما أن الاختلاف وجد، فهي كتب صنعتها اليد البشرية، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة، فقال تعالى: **[وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا]**.[1]

فالمعلومات الكونية الموجودة في هذين الكتابين خالفها العلم ورفضها، والعلم من الخلق الذي جعله الله لسان حق، وبرفضه لهذه المعلومات فهذا دليل آخر على عدم قدسيتها، ونفي كونها كتباً سماوية.
والناس قد رفضوا هذه المعلومات لما فيها من غموض، خاصة وأن القائمين عليها حجروا على عقول الناس، ومنعوهم من مجرد الإطلاع على ما فيها من صدق أو كذب.

وبما أن هذين الكتابين هما من صنع البشر، فإننا نأخذ منهما ما وافق الإسلام أولاً وآخراً، وما يثبته العلم بالتجربة والبرهان، ونرفض ما عدا ذلك.

---

[1]. سورة النساء، آية 82

تصور عرب الجاهليـــة للكون:

اكتسب أهل الجزيرة العربية مكانة عظيمة بين أهل الأرض؛ لكونهم أول من تشرف بنزول الوحي عليهم، لذلك لا بدّ من التعرّف على تصورهم للكون، الذي عمل الإسلام على تغييره بالكلية.
وعندما نقول الناس في الجاهلية: إنما نقصد كل مَنْ سكن الجزيرة العربية بكامل حدودها من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب.

انقسم الناس في الجاهلية من حيث تصورهم للكون إلى ثلاثة أقسام:
أولاً: العرب الموحدون: وهم من الأحناف أتباع نبي الله إبراهيم – عليه السلام – لذلك كان تصورهم للكون نابع من فكرهم التوحيدي، فقد اعتقدوا أنّ الكون مخلوق له بداية، وله خالق عظيم هو الله. وذكروا هذا في الكثير من أشعارهم، مثل ما ورد في شعر أمية بن أبي الصلت[1]، فقد عبّر بشعره عن إعجابه بهذا الكون وانبهاره به فقال:

إله العالمين، وكل أرض ورب الراسيات من الجبـــال
بناها وابتنى سبعاً شداداً بلا عمدٍ يرين ولا رجـــــال
وسواها وزينها بنـــــور من الشمس المضيئة والهلال[2]

يعترف الشاعر أن الكون بما فيه هو خلق بديع، صنعه خالق عظيم، ثم يذكر الفكرة السائدة لديهم حول السماء فيقول: إنها سبع سماوات شديدة البناء، ومرفوعة بلا أعمدة مرئية، وموجود في فضائها الشمس والقمر والنجوم من أجل الإضاءة والنور.

---

[1]. هو أمية بن أبي الصّلت كان موحدا، وكان يعتقد أنه النبي المنتظر، شهد الإسلام لكنه لم يسلم ومات على ما كان عليه. /المرجع: حلبي، برهان الدين (بدون سنة نشر) السيرة الحلبية، بدون طبعة، دار المعرفة، بيروت، ص 301 بتصرف.

[2]. شيخو، لويس (1986) شعراء النصرانية قبل الإسلام، بدون طبعة، دار المشرق، بيروت، ص226.

ثانياً: العرب الصابئون: وأصل فكر هؤلاء : هو الأخذ بمحاسن ديانات العالم واستبعاد القبيح منها، ولذلك سُمّوا بالصابئة: أي الخارجين على كل دين[1]، وقد أطلق عرب الجاهلية هذه اللفظة على أتباع النبي محمد – ρ– في البداية؛ لأنها كانت تستخدم لوصف الخروج عن قيم المجتمع وتقاليده.[2]

ويقسم الصابئون إلى قسمين:

موحدين: وهؤلاء أشار القرآن الكريم إليهم بقوله: **[إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...]**[3]، وكان تصور هؤلاء للكون تصوراً مبنيا على فكرة التوحيد كما عند الموحدين.

مشركين: وتأثر هؤلاء بنظرتهم إلى الكون بما عرفوه من الفلسفات اليونانية، ولهم في ذلك تصوران:

الأول: التصور الناشئ من الفكر الروحاني المبني على فكرة أن للكون خالق مقدس، يعجز البشر عن الوصول إليه مباشرة، بل من خلال توسطات تقربهم إليه؛ مما أدى إلى اتخاذهم هياكل (آلهة) من الكواكب لتقربهم إليه.[4]

الثاني: هو التصور الجسدي: أي أن الإله يتجسد في الأشخاص الأرضية الخيرة، والكواكب هي المدبرة للعالم السفلي، بينما الخالق الخير لم يخلق الشرور كالحشرات الدنيئة.[5]

وقالوا: إن نور القمر والكواكب العليا كالشمس: هي آلهة من الملائكة لها نفس وعقل.[6]

ونتيجة تعظيمهم للظواهر الكونية العليا كالشمس والقمر، فقد عبدوها لتقربهم إلى الخالق، وبما أن هذه الظواهر العليا ليست دائمة الظهور، حيث إنها تختفي وتعود، انتقلوا من عبادتها مباشرة إلى عبادتها بهيئة الرموز والأصنام.[7]

ثالثاً: مشركو العرب: وهم عبدة الأصنام الذين تميزت نظرتهم للكون بالضياع والحيرة.

---

[1]. ألوسي، محمود شكري (1924) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، بدون طبعة، بدون دار نشر، القاهرة، ص225

[2] علي، جواد (1971) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بدون طبعة، دار العلم للملايين بيروت، ص ص701، 703 بتصرف.

[3]. سورة المائدة، آية 69

[4]. (ابن حزم، (1996) ص48 بتصرف

[5] .(حماية، (1983) ص ص309، 310 بتصرف

[6]. جوزيه، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم (751 هـ) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: مصطفى البابي الحلبي، بدون طبعة، بدون دار نشر، بدون مكان نشر، 1381هـ، ص248.

[7]. (حماية، (1983) ص309

على الرغم أن فرصة التفكير بالكون لديهم كانت كبيرة، بسبب خلو سماء بلادهم من الغيوم وصفائها، غير أنهم لم يتوصلوا إلى حقيقة هذا الكون وخالقه، فهاموا على وجوههم وهم يبحثون عن الإله الذي يستحق العبادة، إلى أن أوصلتهم عقولهم إلى تبني أفكار غيرهم اتجاه الكون.

ففي الوقت الذي عرفوا أن هذا الكون مخلوق، وخالقه هو الله كما حكى عنهم القرآن الكريم ذلك:

[وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...][1]

إلا أنهم لم يعبدوه مباشرة، بل من خلال توسطات كما عند المشركين الروحانيين، فعبدوا الأصنام، وقد حكى القرآن الكريم عنهم ذلك : **[مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...]**[2]

وهذا يوضح أنه كان لديهم توحيد "الربوبية": وهو القول بوجود خالق مدبر للكون، لكنهم كفروا بتوحيد الألوهية الذي يعني: استحقاق الخالق للعبادة بشكل مباشر.

وفكرة "التوسطات" لم يعرفها عرب الجاهلية من خلال المشركين الروحانيين فقط، بل تأثروا بها من الحضارات القديمة التي نقلت إليهم عن طريق اليهود والنصارى.

هذا بالإضافة إلى عبادة الكواكب التي عبدها كثير منهم كالشمس والقمر والزهرة... حيث اعتقدوا أنها قوى عظيمة تقربهم من الخالق، فعملوا كل شيء من أجل استرضائها كتقديم القرابين لها، لدرجة أن قبائل عربية كثيرة سمّت أصنامها بأسماء تلك الكواكب.[3]

لذلك اعتبروا أن أي حدث في السماء لا بدّ أن يكون له مقابل على الأرض[4]، كالخسف في الشمس أو القمر، الذي كان يعني لديهم ولادة عظيم أو موت عظيم.

ومن الأفكار الوثنية التي تأثر بها عرب الجاهلية: فكرة "الطوطمية".

والمبدأ الذي تقوم عليه هذه الفكرة: هو تقديس الحيوانات والنباتات، ويسمّى كل حيوان أو نبتة "طوطم". وكان أصحاب هذه الأفكار يعتقدون أن هناك علاقة نسب بين كل شخص وبين واحد من الطواطم الذي يحمي صاحبه ويدافع عنه.[5]

وعليه فالعرب كانوا ينظرون إلى الحيوانات كعنصر كوني مقدس؛ لأنها تجلب لهم البركة[1]، لذلك كانوا كانوا يسمّون أبناءهم بأسماء الحيوانات، بينما يسمّون عبيدهم بأسماء البشر، ولمّا سئلوا عن ذلك أجابوا: إننا نسمّي أبناءنا لأعدائنا (لإرهابهم)، ونسمّي عبيدنا لأنفسنا.[2]

---

[1]. سورة العنكبوت، آية 61

[2]. سورة الزمر، آية 3

[3]. (شيخو ،(1989) ص9

[4]. موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية (2001) أديان العرب قبل الإسلام، نشر أديتو كربس، بدون بلد نشر، ص21.

[5]. خان، محمد عبد المعين (1937) الأساطير العربية قبل الإسلام، بدون طبعة، بدون دار نشر، القاهرة، ص55.

والقبائل أيضاً كانت تسمّي نفسها بأسماء الحيوانات مثل: بنو أسد، بنو كلب ...، وهكذا.
وخير مثال على تأثر العرب بالطوطمية: هو ما فعله أبو سفيان عندما حمل معه اللات والعزى إلى غزوة أحد لجلب النصر لهم.
وتقديسهم لهذه الحيوانات جعلهم يمتنعون عن قتلها خوفاً من الجزاء الذي يقع على القاتل وهو القتل، وكذلك كانوا يمتنعون عن قطع بعض أنواع النبات إلا عند الضرورة.[3]
ولم ينجُ عرب الجاهلية من فكرة الثالوث التي عرفوها من البابليين عبر النصارى، فبعض سكان شمال الجزيرة العربية تصور أن الشمس والقمر والزهرة: هي ثالوث مقدس فعبدوها،[4] وهذا الثالوث الكوكبي هو ذاته عند البابليين الذين عبدوه، حيث اعتبروا القمر مقدسا وله إله يمثله هو "سين"، والشمس لها إله هو "شمس"، وكوكب الزهرة ويمثله الإلهة عشتار، والتي عرفها عرب الجاهلية باسم العزى.[5]
وقد كان للفكر الفارسي دور في التأثير في المعتقدات الجاهلية، فنقلوا إليهم عقيدة "الثنوية" والتي تعني: أن الكون كله مكون من ثنائي: الظلام والنور.
وهناك فكرة "الدهرية" التي اعتقد بها كثير من عرب الجاهلية، وهذه الفكرة تفيد أن الكون وجد صدفة، ولا يوجد له خالق، والدهر هو الذي يحيي ويميت، وسمّي هؤلاء بالدهرية،[6] وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم فقال تعالى: **[وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ...]**[7]

يتضح لنا أن عرب الجاهلية لم يكن لديهم تصور خاص بهم بالنسبة للكون، بل كل تصوراتهم تأثروا بها من الآخرين، وهذا أدى إلى اختلاف عقائدهم، ولعل من أهم الأسباب التي جعلت سكان الجزيرة العربية يقبلون على اعتناق الإسلام بيسر: كثرة العقائد التي سببت لهم تشوشاً فكرياً، مما جعلهم يبحثون عن معتقد يكون منجياً لهم من ذلك التيه، وكان هذا في الإسلام الذي أنقذهم من حيرتهم .

---

[1]. ابن الكلبي، بدون اسم أول (1965) كتاب الأصنام، ط1، الدار القومية، القاهرة، ص15.
[2]. (خان، (1937) ص88 بتصرف
[3]. سالم، سيد عبد العزيز (1970) تاريخ العرب في العصر الجاهلي، بدون طبعة، دار النهضة العربية، بيروت، ص459.
[4]. ضيف، شوقي (1960) العصر الجاهلي، بدون طبعة، بدون دار نشر، القاهرة، ص81.
[5]. ناضوري، رشيد (1969) المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بدون طبعة، بدون دار نشر، بيروت، ص113.
[6]. (خان، (1937) ص ص113، 120 بتصرف
[7]. سورة الجاثية، آية 24

ومع ذلك عرف عرب الجاهلية بعض العلوم الفلكية التي كانوا يحتاجونها في شؤون حياتهم، خاصة النجوم التي كان يستهدون بها لمعرفة اتجاه الطرق في السفر، أو في تحديد مواقع الأماكن، أو في التوقي من حوادث الجو كالرياح والأمطار...، وأهم هذه النجوم: "الأنواء" المختصة بالمطر والرياح، فكانوا إذا أمطرت السماء نسبوا المطر إلى تأثير النجم المتسلط في ذلك الوقت، والنَّوْء: هو سقوط نجم ينزل في الغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه في الشرق مع أنجم المنازل، لذلك كان عددها ثمانٍ وعشرون نوء، وهي علة المطر والرياح والحر والبرد.[1]

وعرفوا حساب الزمن من أيام وشهور وسنين من خلال القمر والشمس.

وبهذا العرض المقتضب لتصور عرب الجاهلية للكون نستنتج ما يلي:

أولاً: إن عرب الجاهلية لم يكن لديهم فكرٌ خاص بهم في تصورهم للكون؛ بل كلها تصورات وافدة إليهم من الحضارات القديمة بواسطة اليهود والنصارى، أو من خلال الاتصال التجاري مع أصحاب هذه الحضارات.

ثانياً: إن التصور الكوني لديهم كما عند من سبقهم من أمم كان مبدأه ديني تعبدي، فما عظموه وهابوه عبدوه.

ثالثاً: إن هذا الاختلاف العقائدي الذي لا جذور له، جعلت من عرب الجاهلية أفضل من يتلقى الوحي، لتعطشهم إلى من يخلصهم من الاضطراب النفسي في شأن الإله المعبود.

رابعاً: إن الإسلام عندما جاء أبقى على بعض الفكر الجاهلي للكون، كاستخدامهم القمر في الحساب، ونَقَضَ كل الأفكار الوثنية التي قادتهم لعبادة الظواهر الكونية، واستبدلها بعقيدة التوحيد.

---

[1]. منتديات الخطامي (2004) علوم العرب قبل الإسلام، الرياض.
http://www.alkhutamah.net/vb/showthread.php?t=1260,10.4.04

الكون في القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف عام بالقرآن الكريم:

بالرغم من أن القرآن الكريم أشهر من أن يعرف غير أنه لا بدّ من التعريف به على اعتبار أنه الكتاب السماوي الوحيد المقدس.

القرآن الكريم لغة: "هو لفظ مشتق من قرأ، أي جمع بعضه إلى بعض".[1]
فقال تعالى: **[إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ]**[2]

وأما **القرآن الكريم شرعاً:** "فهو كلام الله المعجز، المنزل على محمد – ρ – بلسان عربي مبين، وحياً، المنقول عنه ـــ ρ ـــ بالتواتر، والمتعبد بتلاوته".[3]

والقرآن الكريم بهذا التعريف هو كلام الله المقدس الذي لا كذب فيه ولا تناقض ولا أخطاء، يتصف بكثرة عجائبه، وبعظيم أسلوبه، فكلما قرأناه وتدبرناه ازددنا يقيننا بمدى إعجازه لكل زمان ومكان.
ونحن سنتناول ما قاله القرآن الكريم في الكون كحقائق لا مجال لردها؛ لأن المخبر عنها خالق الكون، المحيط علماً بكل ما فيه.

---

[1]. (أنيس، وآخرون (1972) ص722، باب قرأ.
[2]. سورة القيامة، آية 17،18
[3]. ملاح، ياسر (2002) دروس في علوم القرآن الكريم، ط2، دار البيان، بيت لحم، فلسطين، ص10.

والكون كلفظة مجردة لم ترد في القرآن الكريم، بل ذكرت له مرادفات مثل: العالَم، السماوات والأرض... وغيرهما، وعندما تناولنا ما قالته التوراة، وكذلك الإنجيل من تصور للكون، استخدمنا لفظة "تصور" التي تفيد معنى الضبابية في الرؤية، وعدم الوضوح؛ لأنها صادرة من فكر الإنسان المتصف بالنقص، الذي يصيب مرة ويخطئ أخرى، ويبقى الأمر ظناً لا يقين فيه.

لكننا عندما نتناول ما قاله القرآن الكريم في شأن الكون نستخدم دائماً لفظة "حقيقة"؛ لأن القرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل، وكل ما فيه حقائق لا يوجد أدنى درجات الظن فيها، إذا ما أحسن الناس فهمه وفق مراد الله تعالى.

وكل ما نذكره في هذا المبحث بشأن الكون في القرآن الكريم سيكون مجملاً دون تفصيل أو شرح للآيات، ودون الخوض بأي تفسيرات إشارية علميّة، إلا ما اقتضته الضرورة.

بما أن القرآن الكريم كتاب هداية وليس كتاب علم، فهو لم يرتب عملية الخلق والتطور والنهاية للكون كما في التوراة؛ بل جاءت متفرقة في سور مختلفة وفق حكمة الهداية التي أرادها الله ــ تعالى ــ في كل سورة وآية.

والمعلومات الكونية التي وردت في القرآن الكريم إنما هي شهادة على عظمة الخالق في الخلق، وإثبات أن هذا الكتاب ليس من عند محمد الأميّ ρ.

المطلب الثاني: حقيقة الكون في القرآن الكريم:

أكد القرآن الكريم أن الكون مخلوق خلقه الله سبحانه، فقال تعالى في ذلك:

[وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ][1]

وكيفية الخلق لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا يدل على أن الكون له بداية في الوجود، وليس أزلياً، بل هو حادث كان بعد أن لم يكن بأمر من الخالق[2] الذي أمره بين الكاف والنون، قال تعالى:

[إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ][3].

والكون ليس أول المخلوقات، بل سبقه خلق مثل: العرش، والماء الذي هو أصل مادة الكون، فقال تعالى: **[...وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...]**[4].

---

[1]. سورة ق، آية 38

[2] .(ابن حزم ، (1996) ص28

[3]. سورة النحل، آية 40

[4]. سورة هود، آية 7

وذكر القرآن الكريم: أن الكون كله كان كتلة واحدة متماسكة، انفصلت أجزاؤه عن بعضها بعد الخلق، فقال تعالى: **[أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا** فَفَتَقْنَاهُمَا ...][1]، فكلمة الرتق تعني التماسك، والفتق تفيد الانفصال، وأكد القرآن الكريم: أن الكون بعد الفصل تحول إلى غيمة دخانية عظيمة،[2] بدأت أجزاء الكون تتشكل منها، فقال تعالى: **[ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ...]**[3] .

وذكر القرآن الكريم: أن الكون يشمل السماوات والأرض وما بينهما، ومنه ما هو مرئي[4]وغير مرئي فقال تعالى: **[اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ...]**[5]

والكون منظم ومتناسق ومتوازن، لا فوضى فيه،[6] وكل عنصر فيه يعمل وفق ما يسّر له دون توقف. فقال تعالى في التوازن: **[اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا...]**،[7] وقال في انتظام الحركة: **[...وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ]**[8].

ثم أخبر القرآن الكريم أن الكون ليس مستقراً على حاله منذ الخلق، بل هو في حالة توسع[9] دائم إلى ما شاء الله. قال تعالى: **[وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ]**[10].

ومن حقائق الكون التي ذكرها القرآن الكريم: أنه محكوم بنظام الثنائية، فكل مخلوق فيه يتكون من زوجين اثنين، فقال تعالى: **[سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ]**[11].

لم يذكر القرآن الكريم الحكمة الأساسية لخلق الكون، لكن هناك أمر مهم في وجود الكون: وهو أنه جعل مسخرٌ للإنسان[12] ليستعين به على القيام بمهمة الخلافة في الأرض وإعمارها، من أجل عبادة الله تعالى، قال تعالى: **[وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ...]**[1].

---

[1]. سورة الأنبياء، آية 30

[2]. نجار، زغلول (2004 – أ) السماء في القرآن الكريم، ط1، دار المعرفة، بيروت، ص82.

[3]. سورة فصلت، آية 11

[4]. (خالدي.(1989) ص287

[5]. سورة السجدة، آية 4

[6]. عبد الحليم، سمير (2000) الإعجاز القرآن الكريمي، ط1، مكتبة الأحباب، بيروت، ص11.

[7]. سورة الرعد، آية 2

[8]. سورة يس، آية 40

[9]. بارودي، عماد زكي (بدون سنة نشر) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة، بدون طبعة، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ص11.

[10]. سورة الذاريات، آية 47

[11]. سورة يس، آية 36

[12]. ضيف، شوقي (بدون سنة نشر) معجزات القرآن الكريم، بدون طبعة، دار المعارف، القاهرة، ص144.

وأكّد القرآن الكريم حقيقة أن هذا الكون بما فيه هو طوع أمر الله، فقال تعالى: **[...وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا...]**،[2]

وأن كل شيء يسبح بحمده، فقال: **[.وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ...]**.[3]

ويوضح القرآن الكريم أن خلق الكون كان خلال ستة أيام، مددها الزمنية طويلة جداً، وليست كأيامنا.

قال تعالى: **[اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ..."]**.[4]

وأخيراً يؤكد القرآن الكريم أن الكون له نهاية في الوقت الذي يشاءه الله، وأنه سيعود كما بدأ.[5]

قال تعالى: **[...كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ...]**.[6] ويبدأ دورة كونية ثانية كما تفيد الآية.

وخلاصة حقيقة الكون كما عرّفها القرآن الكريم: أن الله خلقه، وأنه كان كتلة واحدة متماسكة انفصلت عن بعضها، ثم تحولت إلى دخان تشكلت منه كل أجزاء الكون، وأن الكون غير ساكن ولا مستقر؛ بل في حالة حركة وتوسع مستمر إلى ما شاء الله، وأن هذا الكون مسخّر للإنسان لإعانته على خلافة الأرض وعمارتها من أجل عبادة الله، ثم إن هذا الكون سينتهي حتماً في وقت لا يعلمه إلا الله تعالى.

هذه هي حقيقة الكون بشكل عام، وسنستعرض فيما يلي حقائق بعض عناصر الكون كما بينها القرآن الكريم:

السماء في القرآن الكريم:

السمـــاء كما أخبر عنها القرآن الكريم: هي مخلوق خلقها الله بالحق. قـــال تعالى:

[خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ...].[7] وأنها كانت جزءاً من الكتلة الكونية المتماسكة، ثم انفصلت وهي دخان، قال تعالى:

---

[1]. سورة الجاثية، آية 13

[2]. سورة أل عمران، آية 83

[3]. سورة الإسراء، آية 44

[4]. سورة السجدة، آية 4

[5]. (نجار (2004– أ) ص 104

[6]. سورة الأنبياء، آية 104

[7]. سورة العنكبوت، آية 44

[ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ...]،[1] ثم بدأت تتشكل من الدخان إلى أن أخذت الشكل الحالي،[2] وتتكون من سبع طبقات، قال تعالى: "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ...".[3]

وقد جاءت السماء في القرآن الكريم بعدة معانٍ، منها: السماء بمعنى: الكون كله، وهذا يظهر في قوله تعالى: **[والسَّماءَ بَنَيْناها بأييْدٍ وإنَّا لَموسِعون]**[4]: أي الكون كله.

ووردت بمعنى: طبقة كونية واحدة، فقال الله: **[...وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا...]**[5]

ولها معنى آخر: هو العلو المطلق خارج الكون، فقال تعالى: **[يخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ]**.[6]

فالملائكة – التي تتحدث عنهم – موجودون داخل الكون وخارجه، والله – تعالى – فوقهم، والفضاء المطلق لا يوجد فيه فوق ولا تحت، وإنما هو سماء بالنسبة للكون فقط.

ومن معانيها: العلو المطلق داخل الكون وخارجه،[7] فقال تعالى:

[إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ].[8]

وقد وردت بمعنى: العلو داخل الكون، وهذا مشارٌ إليه في قوله تعالى:

[قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ...].[9] وتحمل أيضاً معنى: العلو النسبي للأرض وسكانها، وهو ما علا الطبقة الهوائية، وأكثر ورود كلمة السماء في القرآن الكريم ترد بهذا المعنى، مثال: قول الله تعالى: **[الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ...]**.[10]

ولا يمكن الصعود إلى السماء من منافذها نحو الفضاء الخارجي للأرض، صعوداً عمودياً بل متعرجاً،[1] وهذا ما أخبر به القرآن الكريم: **[وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ]**،[2] وأخبر أن هذا الصعود يسبب ضيقاً في التنفس كلما ارتفعنا إلى أعلى بسبب نقص الأكسجين، فقال الله:

---

[1]. سورة فصلت، آية 11

[2]. خضر، عبد العليم (1984) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن الكريم، ط1، الدار السعودية، جدة، ص8.

[3]. سورة فصلت، آية 12

[4]. سورة الذاريات، آية 47

[5]. سورة فصلت، آية 12

[6]. سورة النحل، آية 50

[7]. قاسم، محمد عبد الرؤوف (2000) في مسيرة الإنجاز العلمي في القرآن الكريم، ط1، دار الإعلام، عمان، ص ص98،96.

[8]. سورة آل عمران، آية 5

[9]. سورة البقرة، آية 144

[10]. سورة البقرة، آية 22

[... يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ...].[3]

والسماء بمعنى العلو داخل الكون، فيها يحبس الماء في الغيوم حتى يرجع إلى الأرض مطر،[4] **[وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ]**[5]، وهي أيضاً مكان للزينة؛ حيث تزينها النجوم في الليل.

[وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ]،[6] والسماء هي سقف يحمي الأرض من النجوم المتساقطة في الفضاء التي لو نزلت على الأرض لدمرتها بالكامل،[7] فقال الله في ذلك:

[وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا...].[8]

وقد ورد ذكر السماء كمكان لوجود الشمس والقمر والنجوم، التي هي مصدر الإضاءة والنور للأرض وغيرها من الكواكب، فقال تعالى: **[وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا]**.[9]

أمّا بناؤها: فقد وصفه القرآن الكريم بالقوة والشدّة: **[وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا]**،[10] وهي مرفوعة بدون أعمدة مرئية، ومع ذلك فهي متوازنة: **[اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ...]**،[11] وكثير من العلماء يقولون: إن هذه الأعمدة موجودة لكن غير مرئية كما ذكرت الآية، وهذه الأعمدة هي : "الجاذبية"[12]، وأن هذا البناء السماوي القوي لا يمكن أن يقع؛ لأن الله ممسك به: **[...وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ...]**.[13]

والسماوات بما فيهن مسخرات للإنسان، من أجل أن يستخدمها بما يعينه على مهمة الخلافة، قال الله تعالى: **[أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ...]**.[14]

---

[1]. (عبد الحليم، (200) ص48

[2]. سورة الحجر، آية 14

[3]. سورة الأنعام، آية 125

[4]. (بارودي ، (بدون سنة نشر) ص27

[5]. سورة الطارق، آية 11

[6]. سورة الحجر، آية 16

[7]. يحيى، هارون (2003) المعجزات القرآنية الكريمة، ط1، ناشرون للطباعة، بيروت، ص22

[8]. سورة الأنبياء، آية 32

[9]. سورة نوح، آية 16

[10]. سورة النبأ، آية 12

[11]. سورة الرعد، آية 2

[12]. حسب النبي، منصور(1996) إعجاز القرآن الكريم في آفاق الزمان والمكان، ط1، دار الفكر العربي، مصر، ص16.

[13]. سورة الحج، آية 65

[14]. سورة لقمان، آية 20

وقد دعا القرآن الكريم الإنسان للتفكر والتدبر في السماوات، للتعرف على عظمة الخالق من خلالهن، فقال تعالى: **[أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا...]**.[1]

والأمر العظيم الذي يلفت القرآن الكريم الانتباه إليه هو: أن هذه السماوات بما فيهن، يسبحن بحمد الله تعالى:

[تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ...].[2]

وأخيراً، يخبر القرآن الكريم عن أن السماوات لها نهاية، تعود فيها إلى نقطة البداية. قال تعالى:

[يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ...].[3] وسنتحدث عن ذلك في نهاية المبحث.

حقيقة الشمس في القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم: أن الشمس من خَلْق الله، خلقها الله مع بدء خلق الكون، فقال تعالى:

[وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ...] ؟[4]

والشمس تسير في مدار خاص بها، وهي ذات حركة مستمرة وليست ثابتة، ولا تتوقف عن هذه الحركة إلا بإذن الله – تعالى – الذي قال في ذلك: **[وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ]**.[5]

وقد روى أبو ذر الغفاري: أن النبي – ρ – قال له حينما غربت الشمس: "تدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن، فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن، ولا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: **[وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ]** ".[6]

---

[1]. سورة ق، آية 6

[2]. سورة الإسراء، آية 44

[3]. سورة الأنبياء، آية 104

[4]. سورة الأنبياء، آية33

[5]. سورة يس، آية 38

[6]. بخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة (ت 256هـ) صحيح البخاري، طبعة منقحة دون ذكر رقمها، الجزء الثاني، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1998، كتاب بدء الخلق، حديث 3199، ص314.

والشمس كما أخبر القرآن الكريم: هي مسخرة للإنسان، لتعينـــه على مهمتـــه في الأرض: **[وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ ...]**،[1] فهي مصدر الضوء والحرارة؛ لذلك وصفها الله بالسراج الذي يجتمع فيه الضوء والحرارة،[2] قال تعالى:

[وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا]،[3] والشمس لها مشارق ومغارب **[فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ]**.[4] وتشير الآية في أحد تفسيراتها: أن كل بلد له مشرق، يختلف عن الآخر.[5]

وأكدّ القرآن الكريم: أن الشمس آية من آيات الله التي تدل على عظمته وقدرته، وأي حدث فيها لا يدل على موت أحد عظيم أو ولادته، كما كان يعتقد، لكنها جند من جنود الله يخوف بها العباد إذا ما ذهب نورها، وهذا ما أخبر به النبي – ρ– فقال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد، ولكن الله يخوف بها عباده".[6]

وأخيراً يبين القرآن الكريم أن الشمس سيجري عليها ما يجري على الكون بما فيه من نهاية، فيذهب نورها، وتعود إلى نقطة البدء عندما يشاء الله، فقال تعالى:**[إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ]**.[7] وسنتحدث عن ذلك في نهاية البحث.

حقيقة القمر في القرآن الكريم:

فكما الشمس كذلك القمر، أخبر القرآن الكريم: أنه من خلق الله خاضع لأمره، خلقه مع بدء الخلق، فقال تعالى: **[وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ...]**[8]، والقمرليس مخلوقاً معظماً، ونهى القرآن الكريم عن السجود له وتقديسه، قال تعالى: **[لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ...]**،[9] والقمر كوكب كان نجما مضيئاً، ثم أطفأ الله ضياءه، وجعله كوكباً منيراً، يستمد نوره من الشمس، فقال

---

[1]. سورة إبراهيم، آية 33

[2]. أبو الرب، محمود عبد المعطي (2003) التكنولوجيا برهان على إعجاز القرآن الكريم، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت.

[3]. سورة النبأ، آية 13

[4]. سورة المعارج، آية 40

[5]. (عبد الحليم ، (2000) ص30

[6]. حديث صحيح / المرجع : (بخاري (1998) ج1، كتاب الكسوف، حديث 1047، ص287.

[7]. سورة التكوير، آية 1

[8]. سورة الأنبياء، آية 33

[9]. سورة فصلت، آية 37

تعالى:**[وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ...]**،[1] فيخبرنا القرآن الكريم أن القمر كان يضيء الليل كما الشمس تضيء النهار، فأطفأ الله ضوءه، وجعله منيراً فقط،، [2] فقال الله: **[وَقَمَرًا مُنِيرًا]**.[3]

والقمر مسخرٌ للإنســـان، يستعين به على مهمة الخلافـــة في الأرض: **[وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ...]**،[4] فالناس يهتدون للطرق بنوره في الليل:**[وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ...]**،[5] والقمر والقمر ساعة زمنية كبيرة، يعرف الناس من خلاله عدد الأيام والشهور والسنين، وجعله الله دون الشمس للحساب؛ لأنه أسهل، ويعرفها كل إنسان مهما بلغت ثقافته،[6] قال تعالى: **[وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ]**،[7] والمسلمون يتعرفون من خلال القمر على أوقات العبادة كالصوم والحج وغيره، قال الله في ذلك: **[يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ...]**،[8] والقمر جندٌ جندٌ من جنود الله الذي هو رهن طاعته وملتزم بأمره، فقد انشق إلى نصفين عندما أمره الله بذلك ليكون معجزة للنبي محمد – ρ– يقدمها لقومه[9] كدليل نبوة، قال تعالى: **[اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ]**.[10]

وأخيراً القمر له نهاية مع نهاية الكون: **[فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ]**،[11] حيث يعود القمر جزء من الشمس في استعداد للعودة إلى بداية الخلق، وسنتحدث عن ذلك في نهاية البحث.

حقيقة النجوم في القرآن الكريم:

النجوم كغيرها خلقها الله – تعالى – مع بداية الخلق للكون بأسره، وهي مسخرة للإنسان: **[وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ...]**،[1] فهي نورٌ يهتدي به الناس في طرق البر والبحر، فيستطيع الإنسان بواسطتها بواسطتها تحديد الاتجاهات الأربع،[2] قال تعالى:

---

[1]. سورة الإسراء، آية 12

[2] .(بارودي (بدون سنة نشر) ص47

[3]. سورة الفرقان، آية 61

[4]. سورة الأعراف، آية 54

[5]. سورة نوح، آية 16

[6]. (بارودي ، (بدون سنة نشر) ص47

[7]. سورة يونس، آية 5

[8]. سورة البقرة، آية 189

[9]. (عبد الحليم ، (2000) ص33

[10] . سورة القمر، آية 1

[11]. سورة القيامة، الآيات 7،8،9

[وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ...]،[3] وأهم نجم يهتدي به هو: النجم القطبي الذي ذكره الله بالقول: [وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ]،[4] والنجوم زيادة على كونها يهتدى بها إلى الطرق فهي زينة في الليل، ليتمتع الناظر إليها، ويتفكر بعظمة خلق الله، قال تعالى:[وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ]،[5] وقد أخبر القرآن الكريم أن الله جعل لها وظيفة أخرى مهمة هي: حراسة السماء من الشياطين الذين يحاولون استراق السمع من الملأ الأعلى، قال تعالى:[وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا]،[6] فالملائكة ترجم الشياطين بها فتحرقها، وذلك عندما يحاولون التسمع على أهل السماء.[7]

والنجوم متحركة وليست ثابتة، فقال تعالى:[وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ]،[8] فلفظ الطارق: يعني النجم الذي يأتي بالنهار والليل، والإتيان يستلزم الحركة، [9] ثم إن النجوم لها منازل ومطالع [10] تنتقل إليه بانتظام، قال تعالى: [فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ]،[11] وذكر القرآن الكريم: أن هناك مجموعات من النجوم تشكل بروجاً، وهذه البروج هي طرق ثابتة محددة للكواكب السيارة؛ بحيث لا تستطيع أن تحيد عنها: [وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ]،[12] وهذه الطرق متشابكة في تنظيم وإحكام كالنسيج المحبوك بإتقان.[13] [وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ].[14]

ثم إن النجوم كما كان لها بداية لها نهاية، تموت وتنتهي مع نهاية الكون، قال تعالى:

---

[1]. سورة النحل، آية 12

[2]. (حسب النبي ، (1996) ص106

[3]. سورة الأنعام، آية 97

[4]. سورة النحل، آية 16

[5]. سورة الحجر، آية 16

[6]. سورة الجن، آية 8

[7]. صابوني، محمد علي (1982) صفوة التفاسير، تجريد: عبدالله إبراهيم الأنصاري، ط 1، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ص771.

[8]. سورة الطارق، الآيتان 2،3

[9]. (صابوني، (1982) ص624

[10]. عمري، حسين يوسف (2004) بعض أسرار القسم الرباني بمواقع النجوم، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، (بحث)ص3.

[11]. سورة الواقعة، آية 75

[12]. سورة البروج، آية 1

[13]. (عبد الحليم ، (2000) ص21 بتصرف

[14]. سورة الذاريات، آية 7

[فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ]،[1] فالنجوم تختفي وتموت،[2] وستحدث عن ذلك في نهاية المبحث.

حقيقة الأرض في القرآن الكريم:

أخبر القرآن الكريم: أن الأرض كوكب كان جزء متصلاً بجميع أجزاء الكون ففصله الله عند بدء الخلق:**[أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ...]**،[3] والأرض خلق من خلق الله تعالى: **[وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ...]**،[4] ووصف القرآن الكريم الأرض بأنها مكورة، أي تقريباً دائرية،[5] وهي تدور حول نفسها؛ لينتج عن ذلك الليل والنهار، قال تعالى:

[يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ...]،[6] والأرض ممتدة ومنبسطة انبساطاً سهلاً؛ كي كي يستطيع الإنسان السير فيها بيسر وسهولة،[7] **[وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا...]**.[8]

والأرض مكونة من سبع طبقات: **[اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ...]**،[9] ويقال(ليس على سبيل اليقين) : إن الأرض في حالة تقلص دائم إلى أن تنتهي يوم القيامة [10] **[أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ...]**،[11] والأرض هي الكوكب الذي أراده الله مسكناً للإنسان، ينطلق من خلاله لأداء وظيفة الخلافة الموكلة إليه:

[وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .]،[12] وسخّر له كل ما فيها؛ ليستعين به على أداء مهمته :

[أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ...].[13]

---

[1]. سورة المرسلات، آية 8

[2]. (عبد الحليم ، (2000) ص18

[3]. سورة الأنبياء، آية 30

[4]. سورة الأنعام، آية 73

[5]. (أبو العينين ، (1996) ج2 ، ص9

[6]. سورة الزمر، آية 5

[7]. حسب النبي، منصور (بدون سنة) القرآن الكريم والعلم الحديث، بدون طبعة ، دار المعارف، القاهرة، ص37.

[8]. سورة ق، آية 7

[9]. سورة الطلاق، آية 12

[10]، (قاسم ، (2000) ص108

[11]. سورة الرعد، آية 41

[12]. سورة البقرة، آية 30

[13]. سورة الحج، آية 65

وبما أن الأرض هي المكان الذي أراده الله ليعيش الإنسان عليه، جعل فيها كل أسباب الراحة والأمان للإنسان وللمخلوقات الأخرى، كالجبال والأنهار والبحار... إلى غير ذلك، وسنتناول بعضاً من هذه العناصر الموجودة على الأرض، لنتعرف على حقيقتها كما ذكرها القرآن الكريم.

الجبال في القرآن الكريم:

ذكر القرآن الكريم: أن الله خلق الجبال في الأرض لتعمل على توازنها، [1] **[وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا]**.[2] والجبال مخزن للمياه العذبة: **[وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا]**،[3] فقمم الجبال تعمل كالإسفنج، تجمع المياه وتخزنها، فالثلج المتراكم على القمم العالية يذوب ويتحول إلى ماء يسيل على سفوح الجبال، وعندها تتكون منابع الأنهار، [4] قال تعالى:**[وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا ...]**،[5] والجبال ليست ثابتة؛ بل متحركة، [6] **[وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ..]**،[7] ومن صفات الجبال كما وصفها القرآن الكريم: أنها ملونة، [8] فمنها: الأحمر والأبيض، والغرابيب: أي شديدة السواد **:[وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا ..]**،[9]ومن الجبال يتخذ الإنسان بيوتاً له:**[وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ]**،[10]وكذلك الحيوان يتخذ يتخذ منها بيوته:

[وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...].[11]

والجبال جند من جنود الله وهي رهن طاعته، فبعضها كان له دور في تخويف أعداء الله، كجبل الطور الذي رفعه الله فوق رؤوس بني إسرائيـــل، تخويفاً لهم عندما رفضوا حمـــل التوراة، [12] قال

---

[1]. (حسب النبي ، (بدون سنة نشر) ص44

[2]. سورة النازعات، آية 32

[3]. سورة المرسلات، آية 27

[4]. (حسب النبي ، (بدون سنة نشر) ص44

[5]. سورة النحل، آية 15

[6]. نجار، زغلول (2003) المفهوم العلمي للجبال، ط5، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ص36.

[7]. سورة النمل، آية 88

[8]. (ضيف ، (بدون سنةنشر)، ص138

[9]. سورة فاطر، آية 27

[10]. سورة الشعراء، آية 149

[11]. سورة النحل، آية 68

[12]. (صابوني ، (1982) ص347

تعالى:[**وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ...]**،[1]وهذه الجبال لا يجوز تقديسها ولا ولا تعظيمها، وورودها في القرآن الكريم إنما هو للتأكيد على أنها خلق مطيع، ولأخذ العبر.[2]
وقد وصف القرآن الكريم الجبال بالشدّة:**[وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ]**،[3] فيشبه الله تعالى شدة شدة مكر الكفار بشدة الجبال.
والجبال كما ذكرها القرآن الكريم تعي تماماً عظم الأمانة؛ لذلك رفضت حملها، ولكن الإنسان حملها، فظلم نفسه،[4] قال تعالى:**[إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا..]**.[5]
والجبال كغيرها من الخلق ستزول وتنتهي وتدمر: **[وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ]**.[6]

الماء في القرآن الكريم :

أخبر القرآن الكريم أن الماء من أوائل الخلق الذي خلقه الله – تعالى – قبل خلق السماوات والأرض، وأن أصل مادة الكون هي الماء، من خلال الآية التي تشير إلى ذلك، قال تعالى:
[وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ...]،[7] وسيكون لنا وقفة دراسية موسعة حول هذا الأمر في الفصل الخامس.

والماء هو أهم عنصر في تركيب كل المخلوقات، فكل كائن يدخل الماء في تركيبه، قال تعالى:
[وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ...][8] ونحن نرى أن الحياة تشمل كل مخلوق، وليس فقط الإنسان والحيوان والنبات وهذا الأمر أيضاً لنا وقفة معه في الفصل الخامس.
وذكر القرآن الكريم أن دواب الأرض كلها من الماء، [9] قال تعالى: **[وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ..]**.[10]
والماء الموجود على الأرض أتى من باطنها كما ذكر القرآن الكريم، قال تعالى:

---

[1]. سورة الأعراف، آية 171
[2]. (زيدي ، (1980) ص156
[3]. سورة إبراهيم، آية 46
[4]. (أبو العينين ، (1969) ص155
[5]. سورة الأحزاب، آية 72
[6]. سورة القارعة، آية 5
[7]. سورة هود، آية 7
[8]. سورة الأنبياء، آية 30
[9]. غزال، طلال (2001) قصة الخلق من التكوين إلى التكوير، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص78.
[10]. سورة النور، آية 45

[أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا].[1]

والماء له مصادر مختلفة قد بينها القرآن الكريم وهي:

المطر: الذي ينزل من الغيوم الموجودة في السماء، وهذه الغيوم ناتجة عن تبخر الماء من البحار والأنهار، فقال الله في ذلك: **[فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ...]**،[2] ثم إن ماء المطر مهم في إنبات الأرض الميتة وإحيائها، قال تعالى :**[وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ ...]**.[3]

والله وحده هو الذي يستطيع أن يخزن الماء في الأرض،[4] قال الله تعالى:

[وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ][5]، أما الإنسان فمن المستحيل أن يخزنه:**[وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ]**،[6] وكذلك يعجز الإنسان عن استخراجه من الأرض إذا أراد الله أن يجعله غائراً فيها، فلا يمكن الوصول إليه: **[قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ]**.[7]

والماء من جنود الله التي يستخدمها في تخويف الناس الخارجين عن طاعته بتعذيبهم به، كما حصل في طوفان قوم نوح؛ فقد أغرقهم الله – تعالى – بالماء،

قال تعالى:

[وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ].[8]

ويخبر الله – تعالى – أن أمر إنزال المطر من الغيوم بيده وحده، ولا أحد يمكنه صنع غيوم ناضجة ممطرة،[9] فيقول تعالى:**[أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ]**.[10]

والمصدر الثاني للماء: هو **البحار والأنهار**، فقد ذكر القرآن الكريم البحار والأنهار أنها مخلوقات مسخرة للإنسان:

---

[1]. سورة النازعات، آية 31

[2]. سورة الحجر، آية 22

[3]. سورة الحج، آية 5

[4]. (عبد الحليم، (2000) ص 62

[5]. سورة المؤمنون، آية 18

[6]. سورة الحجر، آية 22

[7]. سورة الملك، آية 30

[8]. سورة هود، آية 44

[9]. (حسب النبي ، (بدون سنة نشر) ص73

[10]. سورة الواقعة، آية 69

[وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ][1]، فهي وسيلة للمواصلات ينتقل الناس من خلالها من مكان لآخر :[وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ][2]، والبحار والأنهار مصدر للغذاء، والمعادن الثمينة التي تتخذ للزينة كاللؤلؤ، فقال تعالى:

[وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا...].[3]

وماء البحار مالح، وأما الأنهار فماؤها عذب، ورغم ذلك، عندما يلتقي الماءان لا يختلطان؛ لأنه يوجد حاجز بينهما يمنع اختلاطهما،[4] في حال صب الأنهار في البحار:

[وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا].[5]

وبين القرآن الكريم بعض صفات البحار العميقة، التي توجد في مناطق ذات بؤر مليئة بالسحب التي تحجب الضوء، فهذه البحار يوجد في داخلها أمواج ضخمة، وهي تحت الأمواج السطحية المرئية على سطح البحر، وهي مياه لجيّة (مالحة) تغشاها ظلمة إضافة إلى ظلمة الأمواج السطحية، ثم ظلمة السحاب التي تحجب ضوء الشمس، [6] فقال الله في ذلك :[أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا..].[7]

والبحار أيضاً من جند الله الذي يسيره الله للعذاب والنقمة لمن يعصيه، ولا يطيع أمره، وآية يخوف بها العصاة:[وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ]،[8] وكذلك هي جند رحمة يسخرها الله لعباده الصالحين، كما حصل وانشق منه طريق يابسة ليمر عليها نبي الله موسى – عليه السلام – ومن آمن معه حيث نجاه الله من فرعون وجنوده، [9] [فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ].[10] ولنعتبر! فماذا لو حصل زلزال بحري؟

ومما سخر الله للإنسان في الأرض: **الرياح**، وهي مخلوق جعلها الله جند رحمة وخيرا للإنسان، فهي التي تلقح السحب الممطرة، وتسوقها للبلد الذي يريد الله المطر له: [وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ][11] ولها دور في تسيير السفن في البحار؛

---

[1]. سورة إبراهيم، آية 32

[2]. سورة يس، آية 41

[3]. سورة النحل، آية 14

[4]. (حسب النبي ، (بدون سنة نشر) ص61

[5]. سورة الفرقان، آية 53

[6]. (عبد الحليم ، (2000) ص ص50، 55 بتصرف يسير

[7]. سورة النور، آية 40

[8] سورة يس، آية 43

[9]. (يحيى ، (2003) ص48

[10]. سورة الشعراء، آية 63

[11]. سورة الحجر، آية 22

حيث تحرك الموج الذي يعمل على تسيير السفن [1]:**[حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ...]**،[2] ومن الرياح ما هو مسخر ليكون نسمات رحمة للناس: **[وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ...]**،[3] من ناحية أخرى سخرها الله جنداً تحارب مع المؤمنين، وجعل فيها النصر،[4] قال تعالى :**[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ...]**،[5] وقد جعلها الله مثالاً للقوة والعزة والوحدة: **[وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ...]**.[6]

وكما أن الرياح جند رحمة، فقد جعل الله منها ما هو جند عذاب ونقمة للعصاة،[7] فقال تعالى:
[رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا...].[8]

وأما ظاهرتا **الرعد والبرق**: فهما آيتان من آيات الله، خلقهما الله وسخرهما في العذاب والرحمة، فجعلهما رحمة تستخدم في تشكيل السحب، ونزول المطر:
[هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ]،[9]
وأما ما كان منها للخوف والعذاب،[10] قوله تعالى:
[وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ...].[11]
والليل والنهار كما ذكر القرآن الكريم من آيات الله المسخرة للإنسان، فجعل الليل للراحة والسبات من عناء النهار، وجعل النهار للكد والعمل: **[وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا]**،[12] وهما دائما الوجود في نصفي الكرة الأرضية في نفس الوقت، وقد بين القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: **[يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ...]**،[13] وهما يسيران وفق نظام لا يتعديانه: **[وَلَا**

---

[1]. (عميرة، (1998) ص37
[2]. سورة يونس، آية 22
[3]. سورة الأعراف، آية 57
[4]. (عميرة ، (1998) ص37
[5]. سورة الأحزاب، آية 9
[6]. سورة الأنفال، آية 46
[7]. (عميرة ،(1998) ص37
[8]. سورة الأحقاف، الآيتان 24،25
[9]. سورة الرعد، آية 12
[10]. (خالدي ، (1989) ص292
[11]. سورة الرعد، آية 13
[12]. سورة النبأ، الآيتان 10،11
[13] سورة الزمر، آية (5)

اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ]،[1] ويؤكد القرآن الكريم: أن الليل والنهار ليسا متساويين دائماً:**[إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ...]**،[2] بل يوجد اختلاف بينهما، ففي بعض المناطق يمتد النهار إلى أربع وعشرين ساعة [3] كما أخبر الله – تعالى– عن ذلك في قوله: **[حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا]**،[4] والليل والنهار هما أيضاً آيتا عذاب في حال جعل الله الزمن كله ليل، أو كله نهار، مما يؤدي إلى اختلال حياة الخلق، وعدم توازنها :**[قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ]**.[5]

أما حقيقة **الحيوان والنبات** في القرآن الكريم فهي: أنها مخلوقات مسخرة للإنسان، [6] ففي الحيوان قال الله تعالى: **[أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ...]**.[7]، فهي تفيد الإنسان في تنقلاته حين يسرح، ويستمتع بجمالها حين يستريح: **[وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ...]**،[8] وهي أحد مصادر الغذاء المهمة للإنسان، خاصة لحومها: **[وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ]**.[9]

وأكد القرآن الكريم: أن هذه البهائم هي أمم كالإنسان، ولها عالمها الخاص:**[وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ...]**.[10]

وهذه الحيوانات هي مجال للتدبر والتفكر في عظم خلق الله، فقد ذكر القرآن الكريم العنكبوت، كمثال للوهن: **[...وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ]**،[11] وذكر الذباب حينما يسلب الإنسان شيئاً فلا يستطيع استرجاعه على الرغم من قوة الإنسان بالنسبة للذباب، من أجل إبراز مدى عجز الإنسان أمام هذا المخلوق الصغير، الذي وضع الله فيه قوة لا يقدر الإنسان عليها، قال تعالى:
[وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ..].[12]

---

[1] سورة يس، آية (40)

[2] سورة آل عمران، آية (190)

[3] (حسب النبي (بدون سنة – ب)ص41

[4] سورة الكهف، آية (90)

[5] سورة القصص، الآيات (71،72)

[6] (منصري، فيصل (2003) هذا خلق الله، ط1، دار الفكر، بيروت، ص109.

[7] سورة النحل، آية (79)

[8] سورة النحل، آية (8)

[9] سورة النحل، آية (5)

[10] سورة الأنعام، آية (38)

[11] سورة العنكبوت، آية (41)

[12] سورة الحج، آية 73.

والحيوانات أيضا جند مطيع لله يعاقب به عباده المذنبين، كما حصل مع الحوت الذي أمره الله بابتلاع نبيه يونس – عليه السلام – حينما ترك الدعوة إلى الله بدون إذن منه ــ تعالى ــ [1] فقال الله في ذلك : **[فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ]**.[2]

أما **النبات:** فهو خلق سخره الله للإنسان، وجعله غذاء له تقوم به حياته: **[يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ...]**،[3] وجعل الله من النبات الجاف مصدراً مهماً للطاقة اللازمة للإنسان،[4] قال تعالى :**[الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ]**،[5] والنبات كما أنه متعة دنيوية، كذلك هو من متع الآخرة في الجنة، قال تعالى: **[أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ]**.[6]

وهو عذاب للكافر حينما يأكل من نبات جهنم، فقال الله في ذلك: **[لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ]**،[7] والضريع: نبات ذو شوك، وهو خبيث.[8]

وأهم مخلوق كما يبين القرآن الكريم هو **الإنسان**، الذي خلقه الله، وجعله مكرماً على كل الخلق، فقال تعالى: **[وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...]**،[9] والغاية من خلق الإنسان هي من أجل عبادة الله :**[وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]**،[10] وذكر القرآن الكريم: أن الإنسان مخلوق مميز بالعقل على سائر المخلوقات، وبناء على ذلك: وكّل إليه أعظم مهامه وهي: الخلافة في الأرض، من أجل إعمارها وعبادة الله فيها، لذلك نجد الخطاب القرآني كثيراً ما كان يخاطب العقول :**[كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ]**.[11]

والإنسان خلق من تراب: **[وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ]**،[12] وفصل القرآن الكريم مراتب خلق الإنسان، فقال الله تعالى: **[ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً**

---

[1]. (منصري ، (2003) ص ص 106، 120 بتصرف.

[2]. سورة الصافات، آية 142

[3]. سورة النحل، آية 11

[4]. (عبد الحليم ، (2000) ص129.

[5]. سورة يس، آية 80

[6]. سورة الصافات، الآيتان 41،42

[7]. سورة الغاشية، آية 6

[8]. (صابوني ، (1982) ص865

[9]. سورة الإسراء، آية 70

[10]. سورة الذاريات، آية 56

[11]. سورة النور، آية 61

[12]. سورة الروم، آية 20

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ...]،[1] وقد خلق الله الإنسان في أفضل شكل وهيئة وقوام، قال تعالى: **[لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ]**،[2] ثم إن الإنسان تسير عليه سنة الثنائية في الكون، فجعل منه الذكر والأنثى: **[وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى]**.[3] ومن الحقائق العظيمة للإنسان: أن الله جعل الناس مختلفين في الألوان والشعوب والأجناس؛ وذلك بهدف التعارف من أجل التعاون على إعمار الأرض، وعبادة الله ــ تعالى وجعل الله مقياس التفاضل بين الناس: هو التقوى وإخلاص العمل له : **[يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ]**.[4]

والحقيقة الكبرى لهذا الإنسان: أن وجوده على الأرض لا يتصف بالخلود؛ بل محدود، فكما كان لوجوده بداية، كذلك بقاؤه له نهاية، خلق ليعمل في الدنيا وفق أوامر الله، ثم يموت ليجازى على العمل يوم القيامة، قال تعالى:**[كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]**.[5]

لقد استعرضنا فيما مضى حقيقة الكون في القرآن الكريم نشأة وتطوراً، ونأتي الآن على نهاية الكون حقيقة ثابتة أكدها القرآن الكريم.

المطلب الثالث: حقيقة نهاية الكون في القرآن الكريم:

أكد القرآن الكريم: أن الكون له نهاية حتمية تكون يوم القيامة: **[أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ]**،[6] ولحظة هذه النهاية لا يعلمها إلا الله: **[يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ]**.[7]

ومن عجائب هذه النهاية: أن الكون في دماره سيعود بعملية عكسية إلى نقطة البداية، فتزول الجبال في مرحلة مبكرة؛ لأنها تشكلت في مرحلة متأخرة، ثم الذي يليها، فالذي يليه.... وهكذا، بمعنى أن آخر ما تم وجوده، يكن أول ما يتم هلاكه، فقال تعالى: **[إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ]**.[8]

---

[1]. سورة المؤمنون، آية 14

[2]. سورة التين، آية 4

[3]. سورة الليل، آية 3

[4]. سورة الحجرات، آية 13

[5]. سورة آل عمران، آية 185

[6]. سورة الحج، آية 1

[7]. سورة الأحزاب، آية 63

[8]. سورة البروج، آية 13

والنهاية هي نهاية تغيير وتبديل وليست نهاية فناء، [1] ومن الأقوال في نهاية الكون: أن الشمس لن تختفي من الوجود، بل ستصبح شيئاً مختلفاً :**[إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ]**[2]: بمعنى تُلَف ويُمْحى ضوؤها، [3] والقمر سيلحق بالشمس بعد أن يتفتت وتقوم الشمس باجتذابه وابتلاعه: **[وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ]**،[4] والشمس بعد أن ينطفئ اشتعالها، تتحول إلى نجم أكبر بكثير من حجمها الحالي، الحالي، ويقوم هذا النجم بالتخلص من كتل الغازات الضخمة المحيطة به، فيقذفها في السماء على شكل غيمة غبارية، ثم يتحول إلى نجم صغير بحجم الأرض، وهذا يؤدي إلى نهاية دورة الليل والنهار بالنسبة للأرض، والكواكب الأخرى، وسيدمر اجتياح الغيمة الحارة المنفصلة عن الشمس تركيبة الأرض والسماوات كلها، ويعاد ترتيبها من جديد حسب توازن القوى المستجد، الذي أحدثه احتضار الشمس:[5] **[فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ]**.[6] وهذا قول لبعض العلماء وليس حديثا حديثا جزماً، خاصة أن هذه الآية لها سبب نزول مغاير لما ذكر.

وأما النجوم: فتعكر رؤيتها، ولا تعود واضحة من الأرض؛ بسبب امتلاء السماء بالدخان.

والنجوم لا تتفجر، لكن يختفي نورها: **[فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ]**،[7] أما الكواكب سوف تصاب بعملية انهيار: **[وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ]**.[8]

وأما السماء: فتنشق وتصبح كالزهرة الملونة:**[فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ]**،[9] وبالتحديد وبالتحديد مثل الورد الأحمر.[10]

ويصف القرآن الكريم السماء بصفحات الكتاب المطوي: **[يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ...]** .[11] حيث تتحول إلى حلقات من الغبار المتلاصق، بعضها فوق بعض، دون فواصل بينها، فتعود السماوات سماء واحدة كما كانت عند بدء الخلق.[12]

---

[1]. (غزال ، (2001) ص144

[2]. سورة التكوير، آية 1

[3]. (صابوني ، (1982) ص838

[4]. سورة القيامة، الآيتان 8،9

[5]. (غزال ، (2001) ص ص 144، 145 بتصرف

[6]. سورة الدخان، آية 10

[7]. سورة المرسلات، آية 8

[8]. سورة الانفطار، آية 2

[9]. سورة الرحمن، آية 37

[10]. (صابوني ، (1982) ص607

[11]. سورة الأنبياء، آية 104

[12]. (غزال ، (2001) ص151 بتصرف

وأما الأرض: فتبدأ نهايتها من سماء الأرض، فتتخلخل وتهتز، مما يدل على فقدان الاستقرار في الضغط: **[يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا]**،[1] فتصبح مضطربة،[2] ثم يضعف الهواء المغلف لسطح الأرض، الأرض، وتصبح السماء واهية ضعيفة ومسترخية لا يوجد فيها تماسك أو صلابة: [3]**[وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ]**.[4]

ووصف الله السماء في تلك الحالة كالمهل: أي سائلة غير متماسكة كالرصاص المذاب، وقال ابن عباس: كالزيت العكر [5]: **[يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ]**،[6] وعندها تكشط السماء: أي يقلع الغلاف الجوي عنها:[7] **[وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ]**.[8]

أما البحار والمحيطات: فأول الأمر سيكون ذوبان ثلوج القطبين والمرتفعات، وهذا بسبب ارتفاع حرارة الأرض الناتج عن تفجر القشرة الأرضية وخروج الحمم البركانية، فتمتلىء البحار والمحيطات بالبراكين، مما يؤدي إلى فيضانات تعم الأرض كلها: **[وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ]**،[9] فيغمر الماء اليابسة كما كان عند البدء، كما قال بعض العلماء .[10]

والأرض تهتز، وتفتت جبالها كالدقيق مع الزيت والسكر الذي يصنع منه البسيسة (نوع من الحلويات)،[11] فقال الله تعالى: **[وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا]**،[12] ثم تتعرض لزلزال وهزات عنيفة متتالية، فيتحطم كل شيء عليها، وأولها الجبال التي ستزيد من شدة الزلزال؛ لأنها تتفتت فلا تعد تحافظ على توازن الأرض: **[وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً]**،[13] وتلك الجبال تصبح خفيفة ضعيفة، كالصوف المنقوش: **[وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ]**،[14] وبذلك تزال الجبال عن سطح الأرض تماماً لتصبح الأرض مستوية:

---

[1]. سورة الطور، آية 9

[2]. (صابوني ، (1982) ص570

[3]. (صابوني ، (1982) ص747

[4]. سورة الحاقة، آية 16

[5]. (صابوني ، (1982) ص754

[6]. سورة المعارج، آية 8

[7]. (غزال ، (2001) ص154

[8]. سورة التكوير، آية 11

[9]. سورة الانفطار، أية 3

[10]. (غزال ، (2001) ص156 بتصرف

[11]. (صابوني ، (1982) ص614

[12]. سورة الواقعة، آية 5

[13]. سورة الحاقة، آية 14

[14]. سورة القارعة، آية 5

[وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا]،[1] فكما يرى الصابوني في تفسيره : أن الجبال تصبح كالرمل، ثم يرسل الله عليها الرياح فيطيرها، فتصبح أرضاً ملساء مستوية لا نبات فيها ولا بناء، ومستوية لا انخفاض فيها ولا ارتفاع.[2]

وتخرج الأرض كل ما فيها من معادن وعناصر... بسبب عدم الاستقرار الداخلي، وضعف القشرة، وزيادة الضغط عليها، فلا تعود قادرة على المقاومة، وهذا التفريغ يؤدي إلى زيادة تمدد حجم الأرض وزيادة مساحة سطحها[3]: **[وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ].**[4]

ثم يأمر الله الملك فينفخ في البوق معلنا بدء القيامة.[5]

تقديم

كان المسلمون في العهود الإسلامية الأولى منشغلين بتثبيت دعائم الدولة الإسلامية الناشئة، وكان جلّ اهتمامهم منصباً نحو الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، والفتوحات، الأمر الذي جعل اهتمامهم بالعلوم الكونية قليلاً جداً، ومقتصراً على ما هو ضرورة لمعرفة أوقات العبادات المُعْتَمِدَة على الحسابات الفلكية.

وبقي الأمر كذلك، حتى القرن الهجري الثاني في عهد الدولة الأموية، فبعد استقرار الدولة، واتساع رقعتها، واطلاع المسلمين على حضارات جديدة، وعلوم جديدة، قفز المسلمون بالعلوم بشتى أنواعها قفزة عظيمة، مستندين على الفكر الإسلامي النير في كل ما يبحثون.

وكان لعلم الفلك نصيب كبير من الاهتمام والتطور، لما كان له من أهمية كبيرة في الفكر الإسلامي، الذي أبرز حقيقة الكون، ومركزية الإنسان فيه، ونفي كل صفات التقديس عن الكون.

وكانت هناك عدة عوامل شجعت المسلمين على انطلاقتهم العلمية، وتحقيق التقدم العلمي الكبير، منها:

أولاً: دعوة القرآن الكريم الناس بضرورة التفكر والتدبر في الكون في كثير من الآيات، فقال تعالى: **[أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ...]**،[6] فاستشعر المسلمون أن

---

[1]. سورة طه، الآيات : 105،106،107

[2]. (صابوني ، (1982) ص692

[3]. (غزال ، (2001) ص157 بتصرف

[4]. سورة الانشقاق، الآيتان : 3،4

[5]. (غزال ، (2001) ص 159

[6]. سورة الأعراف، آية 185

البحث في الكون هو عبادة، فنظروا وبحثوا في المحسوسات الخاضعة للعقل، وابتعدوا عن الغيبيات.[1] من أجل تعميق البعد الديني، وتقوية العلاقة مع الله، من خلال التأمل والتعمق في خلق الله، لذلك اعتبروا علم الفلك ضرورة شرعية.

ثانياً: تشجيع الخلفاء الأمويين والعباسيين للعلم والعلماء، وتقديم الدعم المعنوي والمادي للعلماء، ففي عهد المأمون [2]: قامت حركة ترجمة مكثّفة للكتب اليونانية في شتى الموضوعات، خاصة الفلسفة، فعمل المسلمون على تنقيح هذه الكتب وتصحيحها والإضافة إليها، ولم يأخذوها على علاتها، بل نظفوها من كل شوائب الشرك، وكان المأمون يعطي كل من يترجم كتاباً من علوم الآخرين، وزن هذا الكتاب ذهباً،[3] وهناك العديد من الإنجازات الفلكية التي تمت في عهده، كرصد الكواكب، وتطوير آلات رصد النجوم،[4] وأثبت العلماء في عهده كروية الأرض، وعرفوا الإسطرلاب.[5] والأزياج الفلكية: التي هي عبارة عن جداول وبيانات حسابية تعتمد على قوانين عددية، تخص حركة الكواكب في السماء، مع حسبان حركاتها في كل زمان ووقت.[6]

وفي العهد العباسي أنشئ بيت الحكمة بأمر من الخليفة المنصور، [7] الذي جعل منه دارا للعلوم ومرصداً فلكياً ومكتبة عامة.[8]

ثالثاً: استخدامهم المنهج العلمي التجريبي، الذي يعتمد على المشاهدة والملاحظة، ثم جمع المعلومات وترتيبها، ومن ثم الإستنتاجات المدعّمة بالبراهين والأدلة، ولم يقفوا عند حدود النظريات، [9] وهذا جعلهم السباقين في إعطاء علوم الفلك أسماء تخصصية: فأطلقوا اسم علم الهيئة على العلم الذي يبحث بأشكال النجوم والكواكب وهيأتها، وعلم الفلك على العلم الذي مجاله البحث في الكون

---

[1]. (محمود ، (1996) ص56 بتصرف

[2]. المأمون :هو عبدالله بن هارون بن محمد بن عبدالله، (170–218هـ) سابع الخلفاء العباسيين، كان شيعياً محباً للعلم./المرجع: صلابي، علي محمد (1998) عصر الدولتين الأموية والعباسية، ط1، دار البيارق، الأردن،ص86.

[3]. جامعة القدس المفتوحة (2001) تاريخ الدولة العباسية، ط1، بدور دار نشر، عمان، ص393.

[4]. أمين، أحمد (بدون سنة نشر) ضحى الإسلام، ط10،دار الكتاب العربي، بيروت، ص273.

[5]. الإسطرلاب : كلمة يونانية تعني: مرآة النجوم. /المرجع: جامعة القدس المفتوحة (2000) الحضارة العربية الإسلامية، دون طبعة، بدون دار نشر، عمان، ص221.

[6]. برغوثي، عماد أحمد ، ونعيمي، حميد مجول (1996) نسبة إنجاز العلوم الطبيعية والكونية إلى العلوم الأخرى لدى علماء المسلمين (بحث)، جامعة آل البيت، معهد الفلك وعلوم الفضاء، المفرق، الأردن، ص12.

[7]. المنصور : هو أبو عبدالله بن محمد بن علي (95–158هـ) ثاني خلفاء العباسيين، وكان شديد الحب للعلم، خاصة علوم الفلك. /المرجع: حسن، علي، وسالم ، عبدالرحمن (بدون سنة نشر) موسوعة سفير، العصر العباسي في العراق، بدون ط، ج3، القاهرة، ص8.

[8]. (جامعة القدس المفتوحة ، (2001) ص393.

[9]. (محمود ، (1996) ص ص60،61 بتصرف.

وظواهره،[1] وأطلقوا اسم علم النجوم على العلم الذي يبحث في الحسابات التي تحدد أوائل الشهور بحساب سير النجوم لمعرفة الأوقات والأزمنة.

وهم بذلك أول من وضع حداً بين علم النجوم والتنجيم، فاعتبروا الأول علماً دراسته فريضة شرعية لازمة، ورفضوا التنجيم الذي تقوم صناعته على ادعاء معرفة الغيب من أجل معرفة حظوظ الناس في المستقبل، وذلك من خلال مواقع النجوم عند ولادتها، بحيث ينظر إلى النجوم، ويحسب مواقيت شروقها وغروبها، ويصدر بعدها أحكاماً على أحوال الناس المستقبلية، وهي ليست إلا أوهام.[2]

رابعاً: طلباً للأجر والثواب من الله – تعالى – بإخلاص النية في طلب العلم.

إنّ التطور العلمي الكبير الذي شهده المشرق الإسلامي في الفترة الزمنية الواقعة ما بين القرن الثاني الهجري وحتى بدايات القرن التاسع للهجرة، أدى إلى تراكم معرفي كبير، سواء في العلوم بمختلف أنواعها، أو في الفكر الفلسفي الوافد إلى بلاد الإسلام.

وهذا بدوره عمل على انقسام العلماء إلى قسمين:

الأول: تعامل مع العلوم الوافدة من الحضارات القديمة بحدود، فاقتبس من علومه، ما هو علم تجريبي وبنى عليه وطوره، ملتزماً التفكير فيما هو محسوس وترك ما هو غيب، وأما ما كان فكراً، فلم يرفعوه من أرضه، خاصة إذا كان فكراً مخالفاً للإسلام، [3] وعليه فأصحاب هذا الاتجاه من العلماء لم يؤثر التراكم المعرفي الفلسفي في تصورهم للكون، بل كان تصورهم مرتكزاً على ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وتوسعوا فيه من خلال تأثير التراكم العلمي، ولذلك نجد هؤلاء قد أبدعوا فيما أنجزوا من علوم فلكية وغيرها.

وأصحاب هذا القسم كثيرون، ونحن سنتحدث في بحثنا هذا عن أحد أشهر مفكري المسلمين من أصحاب هذا النهج: وهو العالم البيروني.

أما **القسم الثاني:** فهو الذي أخذ علوم الأمم القديمة كما هي على علاتها، بسبب انبهاره بها، وخاصة ما يتعلق بالفلسفة اليونانية، فسيطر الفكر الفلسفي على تصورهم للكون، [4] فقالوا في الكون

---

[1]. مؤسسة أعمال الموسوعة (1992) الموسوعة العربية العالمية، ط2، بدون دار نشر، بدون بلد نشر، ص3.

[2]. برغوثي، عماد أحمد، أبو سمرة، محمود أحمد، عفانة، حسام موسى (2002) صناعة التنجيم بين الإسلام والعلم والواقع، المجلة الفلكية، العدد الرابع، ص3.

[3]. (محمود ، (1996) ص63 بتصرف.

[4]. (محمود ، (1996) ص64 بتصرف.

ما هو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله، فَضَلّوا وأَضَلّوا، ومن أصحاب هذا الاتجاه: المفكران المسلمان: ابن رشد وابن سينا، وسنتناول تصورهما للكون في هذا البحث.
ونحن إنما وضحنا هذا التقسيم للعلماء المسلمين، لنبرز مدى تأثير التراكم العلمي على تصورهم للكون، وما نتائج هذا التأثير، ولإيضاح مدى تأثير تراكم المعرفة الفلسفية على تصور البعض الآخر للكون، وما هي النتائج الحتمية لهذه التأثيرات.

تصور البيروني للكون.

تعريف عام بشخصيته:

هو محمد أحمد أبو الريحـــان البيروني، من خوارزم،[1] كانت ولادتـــه ووفاتـــه بين عامـــيّ (362 ــ 440 هـــ)، اهتم بالعلم منذ صغره، فدرس الكثير من العلوم، وأبدع في الرياضيات والتاريخ والفلك.
درس الثقافة الهندية، وألف فيها كتاباً باسم "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، ولكنه لم يتأثر بهذه الثقافة، بل على العكس، دعا إلى الاستقلال في المنهجية العلمية، ورفض التقليد الأعمى، لذلك نجده اعتمد المنهج التجريبي في تحصيل المعرفة؛ لأنه كان يعتقد أن اليقين في العلم يأتي من إحساسات يؤلف بينها العقل المنطقي.
له عدة مؤلفات، منها: الإسطرلاب والأفلاك، والقانون المسعودي الذي جمع فيه بحوث الفلك وحساب المثلثات وصورة الأرض وأبعادها...
كتب عدة مقالات حول الأرقام الهندية، وبلغت مؤلفاته مئة وخمسون كتاباً ورسالة.[1]

---

[1]. خوارزم : هي بلد في منطقة جرجان، /المرجع: حموي،ياقوت (1997) معجم البلدان، ط 1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص252.

ويعتبر البيروني من أشهر علماء الفلك، وأكثرهم إبداعاً، ويعتمد على مؤلفاته كمراجع أساسية في هذا المجال حتى اليوم.

أما تصوره للكون: فكان أساسه الفكر القرآني، فهو يرى الكون مخلوقا له بداية وله نهاية، وليس أزلي الوجود، أو أبدي البقاء، وأن لحظة خلقه أمر غيبي لا يعلمه إلا الله .
وهو بذلك يرفض كل التقديرات الحضارية والعلمية لعمر الكون.[2]
ويرى أن الكون: خَلْقٌ عظيم ورائع، خلق لأجل الإنسان.[3]
ومما قاله البيروني:
أن الكون كله كروي الشكل، ومكون من طبقات اعتبر الأرض مركزها، وقسم الكون إلى قسمين: العالم العلوي (عالم النجوم والكواكب)، والعالم السفلي (أي ما تحت القمر بما فيها الأرض)، [4] لكن دون تقديس للعلوي على السفلي.
وقال: إن الأرض كوكبٌ يدور حول نفسه، فينتج عن هذا الدوران ظاهرتا الليل والنهار، وهو بذلك فسر الحركة اليومية.[5]
ثم رأى البيروني أن الأرض إنما تجذب ما فوقها من الأجسام؛ لأن فيها جاذبية هي المسؤولة عن هذا الجذب.[6]
وهذا يعني: أن البيروني قال بالجاذبية قبل نيوتن،[7] وعليه يجب نسبة الفضل إلى أهله.
وقال: إن الزمن عند الله لا يشبه ما نعرفه، بدليل قوله تعالى:
[وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ]،[1] وهنا نرى مدى اعتماده على القرآن الكريم في تصوراته.

---

[1]. كرملي، أنستاس ماري (بدون سنة نشر) نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، بدون طبعة، عالم الكتب، القاهرة، ص93 بتصرف.

[2]. (ميموني، وقسوم (2002) ص80.

[3]. (ميموني، وقسوم (2002) ص268.

[4]. (ميموني، وقسوم (2002) ص80.

[5]. راشد، رشدي (مشرف) (1997) موسوعة تاريخ العلوم العربية، بدون طبعة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص29.

[6]. كامل، فؤاد وآخرون (مترجمون) ومحمود، زكي (مراجع) (بدون سنة نشر) الموسوعة الفلسفية المختصرة، بدون طبعة، دار القلم، بيروت، 145.

[7]. نيوتن: هو اسحق نيوتن (1642–1727) ولد في قرية إنجليزية، وكان له نظريات في الفلك والرياضيات.../المرجع: (ميموني ، وقسوم (2002) ص127.

ويرى أن قوانين الكون لا بدّ وأن تكون ثابتة عبر الزمن، دون أن يمنع ذلك دورية التاريخ.[2]

هذه خلاصة تصور البيروني للكون، وكما لاحظنا: هي تصورات لم تخرج عمّا جاء به القرآن الكريم، ثم رأينا أن العلم أثر على تصوره؛ حيث كان يستخدم دائماً الأسلوب الاستقرائي فيما يشاهده من ظواهر كونية، لكن رؤيته دائماً كانت تخلو من الدلائل التي تستخدم كبراهين على صدق القول، ولا نعرف ما السبب، رغم محاولتنا البحث في ذلك، ولكن دون أن نحصل على إجابة.
وللبيروني إنجازات فلكية عظيمة، منها:

1 -القول بالمراحل الجيولوجية التي مرت بها الأرض، والتي مرت بمدد زمنية طويلة جداً، وهو بذلك سبق الغرب في وصف تكوين القشرة الأرضية، وما طرأ على اليابسة والماء من تطورات خلال أزمنة جيولوجية مختلفة، بل وكشف كيفية معرفة طبقات الأرض من خلال الحفريات.[3]
2 -حاول إيجاد علاقة رياضية لاستخراج محيط الكرة الأرضية، عرفت فيما بعد "بعلاقة البيروني"، وذلك بقياس زاوية انحطاط الشمس.[4]
3 -لاحظ العلاقة بين المد والجزر، وبين التغير الدوري لوجه القمر.[5]
4 -قال: إن الأرض لو كانت مسطحة، لتساوى على سطحها طول اليوم في كل مكان؛ لأن الشمس ستشرق ساعتها على جميع البقاع مرة واحدة[6]. وله إنجازات أخرى في علوم مختلفة.

---

[1]. سورة الحج، آية 47

[2]. (ميموني، وقسوم (2002) ص80.

[3].(محمود ، (1996) ص ص 199، 200 بتصرف.

[4]. برغوثي، عماد أحمد، وأبو سمرة، محمود أحمد، وعيسى، مازن سعيد، ونعيمي، حميد مجول (2004) أهم الإنجازات الفلكية لدى علماء المسلمين في الفترة من القرن الثامن الميلادي لغاية القرن الرابع عشر الميلادي، المجلة الفلكية، العدد الرابع، ص18.

[5]. (محمود ، (1996) ص200.

[6]. (عميرة ، (1998) ص6

تصور ابن رشد للكون.

تعريف عام بشخصيته:

هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، عربي من مواليد قرطبة في الأندلس، ولد عام: 520هـ وتوفي عام: 595هـ، كان محباً للعلم، فدرس الكثير من العلوم مثل: الفقه والفلسفة والطب تأثر بالفلسفات الإغريقية، خاصة بآراء "أرسطو"، وقد وضع كتاباً اسمه "تهافت التهافت" يرد فيه على الغزالي[1] الذي رفض التصور الفلسفي للكون.

حاول الجمع بين الشريعة الإسلامية، والفكر الفلسفي للحضارات القديمة؛ ليثبت وحدة المقصد لكل منهما.[2]

له مؤلفات عديدة، نُقل العديد من شروحاتها إلى العبرية، ومنها: "سعادة النفس"، و"الكليات"، "تهافت التهافت"، وغيرها.

---

[1] الغزالي: هو أبو حامد محمد بن محمد (450–505هـ) صوفي المذهب، تصدى للرد على الفلاسفة في كتابه "تهافت الفلاسفة"وله مؤلفات كثيرة من أشهرها: "أحياء علوم الدين". /المرجع: حنفي، عبد المنعم (2003) الموسوعة الصوفية، بدون طبعة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص445 بتصرف.

[2] . (كامل، ومحمود (بدون سنة نشر) ص16.

ظلت آراؤه علماً حياً في الفكر الأوروبي، حتى ميلاد العلم التجريبي الحديث، وشهد له الغرب كله بالعبقرية.[1]

أما تصوره للكون فكان مصبوغاً بالصبغة الفلسفية لشدة تأثره بالفلسفة الإغريقية، خاصة فلسفة أرسطو، وعليه فتصوراته كلها مناقضة للفكر الإسلامي.[2]

فقال: إن الكون قديم أزلي الوجود، وأبدي البقاء، موجود في زمان غير متناهي، لكنه محدود المكان: بمعنى أنه لا يزيد ولا ينقص (وهنا يرفض فكرة تطور الكون)، ثم يرفض فكرة خلق الكون من العدم، وأنه مخلوق من شيء ما في أقدم الأزمنة، والخلق متجدد؛ لأن الله يواصل إبداعه عبر الزمن.

وأما الله : فهو القديم الحقيقي، الموجد لكل الكائنات والحافظ لها بواسطة العقول المحركة للأفلاك. [3] وأنه المسبب لحركات الكون وأفعاله، وهو لا مسبب له.[4]

ويقسم ابن رشد الموجودات إلى ثلاثة أصناف، هي:

أولاً– أجسام الموجودات الكونية صغيرة وكبيرة: وهي موجودة من "المادة" التي هي مصدر الوجود الأزلي، وهي صادرة عن شيء هو الفاعل، والفاعل هو (الله) الموجود في زمن متقدم عليها.

ثانياً– **الله:** وهو الخالق الموجود لا عن شيء، ولا يتقدمه زمان، وهو الخالق القديم.

ثالثاً– **العالَمْ:** وهو كل ما عدا الأجسام كالفراغ، والعالم موجود من غير شيء (أي خلق من العدم)، ولم يتقدمه زمان، فهو قديم لا أول له؛ لأن الزمن نشأ من حركة العالم.[5]

واعتقد أن الأشياء تسير وفق قانون الأسباب الفانية، أي نحو ما تصبو إليه، وبذلك تتحول من حالة كامنة إلى حالة فاعلة، وتصبح الحركة من الأسفل إلى الأعلى.[6]

هذه خلاصة تصور ابن رشد للكون، ونرى الخرافة والتناقض تملأ هذه النظرية، والتأثير الفلسفي شديد الوضوح فيها، لذلك نجد أن هذا التصور مخالف تماماً لما جاء به القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة. فكيف لا؟ والفكر الفلسفي أساسها، وهو فكر قائم على الغموض وعدم الفهم لمقاصد مصطلحاته.

---

[1]. (منصور، محمد أحمد (2001) موسوعة أعلام الفلاسفة، ط1، دار أسامة، عمان، الأردن، ص14.

[2]. (ميموني، وقسوم (2002) ص83.

[3]. (ميموني، وقسوم (2002) ص83

6.شرف الدين، خليل (1982) ابن رشد، ط1، مكتبة الهلال، بيروت، ص38.

[5]. (شرف الدين، (1982)ص38 بتصرف.

[6]. (ميموني، وقسوم (2002) ص83.

وكانت رؤية ابن رشد هذه سببا في محاربة علماء المسلمين له، ورد كل آرائه، وقد تصدر الكثير منهم للرد عليه، وعلى رأسهم الإمام: أبو حامد الغزالي، الذي وضع كتاب "تهافت الفلاسفة" يرد فيه عليه وعلى أمثاله.

ونحن لن نتطرق لردود العلماء عليه، لأنه ليس موضع دراستنا، ومن يرد معرفة الردود فلينظر ردود الغزالي في "التهافت"، وغيرها من المراجع ذات العلاقة بالموضوع.

ونحن نرد على ما جاء به ابن رشد من فكر من القرآن الكريم.

فقوله: "إن الكون أزلي وقديم"، فقد نقضه القرآن الكريم بقول الله تعالى: **[يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ]**.[1]

فالآية توضح أن الكون: مخلوق، وله بداية خلق، فلفظ "يوم" يدل على زمن ابتدأ فيه خلق الله للوهذا نفي للأزلية: التي تعني أن الكون لا بداية لوجوده، وبما أن الكون له بداية إذن ليس أبدياً، بل له نهاية، ونهاية الكون حتمية كما ذكر الله تعالى:

[مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى ...]،[2] والأجل المسمّى كلمة دالة على وجود وقت محدد لنهاية الكون، لا يعلمه إلا الله.

ثم إن السنة النبوية الشريفة أثبتت أن الله – تعالى – هو الأزلي الوحيد، وكل ما عداه محدث. فقال ρ : "كان الله ولم يكن شيئاً معه..."،[3] أي أن الله هو الأزلي، وما عداه حادث بعد أن لم يكن.[4] وكل وكل آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الخلق، تذكر كلمة "خلق" كدليل على أن الكون مخلوق له نقطة بداية، وبالتالي له نهاية وليس أزلياً أو أبدياً.

ثم إن قوله بأزلية الخلق والخالق: هذا يعني نفي صفة "الهيمنة" لله التي أثبتها لنفسه، لأن الكون إن كان متلازم الوجود مع الله، إذن هو مستغن عن الله، وبالتالي لا هيمنة لله عليه، وهذا ما نفاه الله بالكلية، فقال تعالى: **[...الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ...]**.[5]

والله تعالى: أثبت لنفسه صفة الأول الذي لا قبل له، وصفة الآخر الذي لا بعد له، فقال: **[هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ]**.[6]

---

[1]. سورة التوبة، آية 36

[2]. سورة الروم، آية (8)

[3]. حديث صحيح ./ المرجع: (بخاري ، (1998) كتاب التوحيد، حديث 7418، ص425.

[4]. (إدريس ، (2001) ص134.

[5]. سورة الحشر، آية 2

[6]. سورة الحديد، آية 3

وقوله: إن الكون محدود، أي لا يتطور: فهو أمر مخالف لما جاء في القرآن الكريم، فالله تعالى أخبر أن الكون منذ لحظة خلقه وهو في تطور مستمر حتى النهاية التي لا يعلمها غيره، فقال سبحانه وتعالى: **[وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ]**.[1] فلفظة "الموسعون" تشير إلى أن الكون في حالة توسع وتطور دائم .[2]

إن التناقض الكبير الموجود في تصور ابن رشد للكون كفيل برفض هذه التصورات، إذ أن العقل السوي لا يقبل معلومات متناقضة حول مسألة واحدة، إذ كيف يقول ابن رشد: أن الكون أزلي، ثم يعود ليقول إنه مخلوق؟ وكلا المعنيين مضاد للآخر.

وهنا نرى كيف أدى دخول الفلسفة إلى تشوش الفكر، وجعله فكراً عشوائياً لا أهداف له سوى الجدل، والسير على مقولة: "خالف تعرف"، وابن رشد خالف الحق بعدما عرفه، مع أن هناك من يقول أنه تاب في آخر حياته، واعتذر عن كل ذلك.

ورغم ذلك، فقد كان له بعض الإنجازات الفلكية التي اعتمد فيها على العلم التجريبي .

فقال: إن حركة الأرض كروية، وشكلها أيضاً كروي، [3] وهو أول من اكتشف وقت عبور عطارد على قرص الشمس، فرصده وشاهده كبقعة سوداء على قرصها.[4]

واعترف ابن رشد: أن علم الفلك لم يكن في عصره علماً برهانياً؛ لأن ما فيه إذا كان يتفق مع الحسابات الفلكية فإنه لا يتفق مع صورة العالم السماوي بكليته، وطبيعته.[5]

---

[1]. سورة الذاريات، آية 47

[2]. (بارودي ، (بدون سنة نشر) ص14

[3]. جابري ، محمدعابد (1998) ابن رشد سيرة وفكر ، بدون طبعة ، مركز دراسات الوحدة ، بيروت ، ص 175

[4]. (جامعة القدس المفتوحة ، (2000) ص 221

[5].(جابري، (1998) ص 175

تصور ابن سينا للكون.

تعريف عام بشخصيته:

هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا، ولد عام 370 هـ م في أفشنة،[1] وتوفي عام428 هـ.
حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره، وكان نابغاً وذكياً منذ الصغر، عرف عنه حبه للعلم، فدرس مختلف العلوم من أدب، وفلسفة، وفلك، ولكنه أبدع في الطب، فما أن بلغ السادسة عشرة من العمر حتى غدا أعظم وأشهر أطباء عصره، وشهد له علماء الغرب بالنبوغ في هذا العلم، فقالوا: كان الطب ناقصاً فأكمله ابن سينا، وعرفوه بخصم يستحق الاحترام.[2]
درس الفلسفة حتى غدا من أشهر فلاسفة المسلمين، وتبنى الكثير من الفكر الفلسفي للحضارات القديمة خاصة الإغريقي، وسمي "مشائياً" أي يمشي على خطا غيره في الفكر، ورغم ذلك دعا إلى الاستقلالية في الفكر، ورفض التبعية المطلقة.[3]
له مؤلفات كثيرة منها: كتاب "الشفاء" ووضع فيه علوم كثيرة، تشمل المنطق، والطبيعيات والإلهيات...، واختصره في كتاب "النجاة"، وله كتاب "الإشارات والتنبيهات"، و"القانون في الطب".[4]

---

[1]. أفشنة: هي بلد موجود في إقليم بخارى. /المرجع: (حموي، 1997) ص187.
[2]. عبد العزيز، سعد (بدون سنة نشر) فلاسفة الإسلام، بدون طبعة، دار الشعب، القاهرة، ص ص16-23 بتصرف.
[3]. (شرفا ، (2003) ص13.
[4]. (محمود ، (1996) ص190

أما تصوره للكون فقد أثار خصومة كبيرة جداً ضده؛ لأنه بنى هذا التصور على الأسس الفكرية الفلسفية الوافدة من الحضارات القديمة، الأمر الذي جعل رؤيته للكون قريبة من الشرك، ومخالفة تماماً لما جاء به القرآن الكريم.

فقد حاول ــ كما فعل ابن رشد ــ أن يجمع بين الفكر الفلسفي الإغريقي وأصول الدين الإسلامي ليبرهن أن النتائج واحدة، فقال: إنّ الوجود كله صدر عن الأول، الذي هو واجب الوجود، وهو العقل الأول: (الله).

وعرفت هذه النظرة بنظرية "الفيض للوجود"، بمعنى أن كل موجود هو ناتج عن موجود غيره.[1]

وهو بهذه النظرية يقسم الوجود إلى قسمين:

واجب الوجود: وهو الذي وجوده ضروري بذاته ليستغني عن غيره ولإيجاد غيره، وهذا لا يكون إلا (الله) الذي هو: ليس صورة ولا جسم ولا مادة؛ بل عقل محض، تَعَقّل وتفكر في نفسه، فرأى أنه يستلزمه وجود العالم عنه، وهو بذلك العقل الأول المتصف بالقديم والحكيم، وهو علة الوجود الأولى للكون.

ممكن الوجود: وهو الذي يمكن أن يوجَد، ووجوده فيض عن غيره.[2]

من الواضح أن ابن سينا يعبر عن فكره باستخدام مصطلحات فلسفية مبهمة، ومثيرة للجدل .

وقد استند في نظريته هذه إلى عدة أمور:

أولاً– أن الموجودات في الكون تنقسم إلى ممكن وواجب، فالله وجوده واجب بذاته، والموجودات التي يبدعها ممكنة بذاتها، أي أن في طبيعتها أن توجد وأن لا توجد، أو ممكنة بذاتها واجبة بغيرها، وهي تكتسب وجودها من مبدأ مباين لذاتها، مثال: الرقم أربعة، لا يتم إلا باثنين مع اثنين، فهذا ممكن الوجود، لكن بغيره.[3]

وماذا عن الرقم أربعة لو كان ناتجاً عن واحد وثلاثة، أو ثلاثة وواحد؟ هل يمكن الوجود أم لا؟

ثانياً– أنه لا يصدر عن الواحد إلا واحد، وهذا يعني: أن الأول هو واحد وكل ما صدر عنه من وجود هو وجود واحد، والله لا يبدع إلا الوجود الأول الذي يفيض عنه موجودات أخرى.[4]

---

[1]. صليبا، جميل (1981) من أفلاطون إلى ابن سينا، ط2، دار الأندلس، بدون بلد نشر، ص84 بتصرف.

[2]. غالب، مصطفى (1983) موسوعة ابن سينا، ط4 ، مكتبة الهلال، بيروت، ص45.

[3]. (صليبا ، (1981) ص85 بتصرف.

[4]. (صليبا ، (1981) ص86 بتصرف.

مثال ذلك: أن الله الواحد خلق الشمس، لكنه لم يخلق النور الذي فيها.

ثالثاً– مبدأ الإبداع والتعقل، وهذا يعني أن الإبداع في الجواهر المفارقة إنما يكون ناشئاً من التعقل والتفكر.

فالله وهو العقل الأول عندما تعقل ذاته، أدى إلى أن يبدع غيره من الخلق، والأجسام المخلوقة هي عقول ثانية يصدر عنها عقولٌ ثالثة، وهكذا تستمر العقول في الفيض حتى تتوقف عند العقل العاشر، ومثال ذلك : أن الله تعقل نفسه فأبدع الشمس، ولكنه لم يبدع النور الصادر منها، فالشمس تعقلت نفسها ففاض عنها النور، والحرارة التي صدرت عن النور هو نتيجة تعقل النور لذاته، وليس من الشمس...وهكذا.

ونلاحظ: أن ابن سينا يستخدم لفظة "الإبداع" بدلاً من لفظة "الخَلْقْ"؛ وذلك لأنه يعتقد أن الموجودات هي قديمة، ووجودها ملازم لوجود الله دون فارق زمني، فالله إذن لم يخلقها، بل تعقل وجودها فأبدعها.[1]

لكن حقيقة استبدال لفظة "الخلق" بلفظة "الإبداع" ما هي إلا محاولة من ابن سينا للتوفيق بين الفلسفة القائلة بقدم العالم، والإسلام القائل بحدوثه، فاستخدام "الإبداع" ليفسر الفعل الإلهي،الذي هو أعلى درجة من الخلق حسب رأيه .[2]

واعتبر تقدم وجود الله على العالم لم يكن تقدما بالزمن، لأنه مزامن لوجود العالم، وإنما هو تقدم شرف وعلو؛ لذلك هو لم يخلق الكون في زمن سابق؛ بل أبدعه وهو موجود، [3] ومثال هذا: أن الإنسان لم يخلق الخشب لكنه أبدع في تشكيله، فصنع منه الكرسي والطاولة...

وخلاصة نظرية "الفيض": أن كل الموجودات ــ ممثلة بأعلى مراتبها وهو الله إلى أدناها ــ هي في حقيقتها عقول وتنتج عقولاً، فكل عقل موجود من عقل قبله إلى أن يصل إلى العقل الأول: وهو الله، وتستمر هذه العقول بالفيض حتى العقل العاشر، وهو العقل الفعال المدبر لأمر الكون.

---

[1]. شرف، محمد جلال (180) الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، ص 11 بتصرف.

[2]. ابن سينا، حسين عبدالله (1958) الإشارات والتنبيهات، تحقيق: سليمان دينا، ط 1، دار المعارف، القاهرة، ص116 بتصرف.

[3]. حر، محمد كامل (معد) (1991) ابن سينا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ص86،87 بتصرف.

ثم إن كل عقل يصدر عنه عقل ونفس، فيتكون العالم الأرضي والعالم العلوي (السماء)، وبذلك يكون العقل هو مبدأ النظام، والنفس هي القوة المحركة وفق النظام العقلي، والأفلاك هي المادة التي تقبل هذه الحركة.[1]

وعليه فهو يرتب الموجودات كالتالي:

الجواهر المفارقة: وهي العقول السماوية ومبدأ النظام الكوني.

الصور الروحانية: وهي نفوس الأفلاك ومبدأ الكمال والحركة.

الأعراض: وهي الكيفيات التي تتعاقب على الجوهر الواحد، من غير أن تؤثر على ماهيته، والله هو المحرك للكل على سبيل التشويق؛ لأنه غاية الغايات.[2]

والعقول العشرة هي:

1 -**العقل المفارق الأول:** وهو المعلول الأول.

2 -**العقل المفارق الثاني:** وهو الفلك الأقصى الذي يحرك العالم.

3 -**العقل المفارق الثالث:** ومعه فلك الكواكب والثوابت وفلك النجوم.

4 -**العقل المفارق الرابع:** ومعه فلك زحل.

5 -**العقل المفارق الخامس:** ومعه فلك المشتري.

6 -**العقل المفارق السادس:** ومعه فلك المريخ.

7 -**العقل المفارق السابع:** ومعه فلك الشمس.

8 -**العقل المفارق الثامن:** ومعه فلك الزهرة.

9 -**العقل المفارق التاسع:** ومعه فلك عطارد.

10- **العقل المفارق العاشر:** وهو العقل الفعال، ومعه فلك القمر.[3]

رابعاً- استند إلى أن العالم هو عالمٌ واحدٌ متصلٌ، والزمان والحركة أزليان.

خامساً- أن الكون في حالة تغير وتحول مستمر، ويسير بحركة دائرية، ولا يوجد فيه فراغ.[4]

---

[1]. (حر ، (1991) ص ص88-89 بتصرف

[2]. (حر ، (1991) ص ص89-90 بتصرف.

1. (غالب، (1983) ص48.

[4]. مروة، حسين (1980) النزعات المادية في الفلسفة العربية، ط3، ج2، دار الفارابي، بيروت، ص ص700-720 بتصرف.

وقال ابن سينا في الإنسان: إنه جسد ونفس، والنفوس تبقى بعد موت البدن إما في نعيم أو شقاوة، ثم إن النفس ليس لها وجود على بدنها، بل كلما حدث بدن صالح للحياة، حدثت له نفس خاصة به، ويكون البدن الحادث مملكة تلك النفس وآلتها.[1]

ويرى: أن الكون كله وجد لعمل مخصوص، ويسير وفق نظام دقيق وحكيم، ترعاه عناية الله.[2]

إنّ هذا التصور لابن سينا – كما أسلفنا – أثار جدلاً كبيراً ضده، حتى وصل إلى تكفيره من بعض علماء المسلمين، ومنهم ابن تيمية [3] الذي اتهمه بالإلحاد، ورد عليه الغزالي في "تهافت الفلاسفة" وعلماء آخرون،ونحن لن نتعرض لها، لأنها ــ كما قلنا ــ ليست موضع دراسة لدينا، لكننا سنعرض إبطال القرآن الكريم لما ذهب إليه ابن سينا:

فنظرية "الفيض" التي قال بها ابن سينا، نظرية لم يقل بها أحدٌ من علماء الأمة ولا الأنبياء، ولا الصحابة، ولا أمّة عظيمة من الأمم، وفيها من الإلحاد والشرك ما يجعلها مرفوضة لأهالي العقائد السماوية.[4]

والقرآن الكريم أبطل هذه الأفكار بما يلي :

فقول ابن سينا: (الله عقل) مخالف تماماً لصفات الله – تعالى – التي أكد القرآن الكريم أن الخلق لا يستطيعون معرفتها، ولا معرفة صيغة وجوده سبحانه، فقال تعالى: **[وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا]**،[5] فالآية تؤكد أن الله لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، [6] فكيف لابن سينا أو غيره أن يجعل لله صيغة وهيئة؟!

وأما قوله: الموجودات واجبة الوجود، وممكنة الوجود: فهذا أيضاً يخالف ما قاله القرآن الكريم: من أن الخلق صفة خاصة بالله فقط؛ لأن مقولته هذه تعني: أن الله – وهو واجب الوجود – يتقدم بممكنات الوجود، أي أن الخلق الممكن هو السبب في وجود الخالق الواجب الوجود، وذلك من أجل

---

[1]. فروخ، عمر (1979) تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، ص ص416،417 بتصرف.

[2]. (فروخ ، (1979) ص414 بتصرف.

[3]. ابن تيمية : هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني، المعروف بابن تيمية، ولد عام 661هـ، وتوفي عام 728هـ، كان سلفياً يعتمد القرآن الكريم والسنة الشريفة ، هاجم أهل البدع من الفلاسفة والصوفيين، وله كتاب "عقيدة أهل السنة". /المرجع:(شرفا ، (2003) ص6 بتصرف.

[4]. قول لابن تيمية.

[5]. سورة طه، آية 110

[6]. طحاوي، أحمد سلامة (1981) أصول العقيدة الطحاوية، شرح: علي بن أبي العز الأذرعي، ط 1، مكتبة الإخاء، قلقيلية، فلسطين، ص26.

أن يوجده، وهذا يقود إلى أن الخلق الممكن الوجود هو الذي أوجد الله وخلقه، وهذا مخالف تماما لما ورد في القرآن الكريم الذي ذكر[1] أن الخلق هي صفة لله وحده، لا يشاركه فيها أحدٌ من خلقه، وأنه خلق كل شيء، ولم يخلقه أحد، فقال تعالى: **[أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ]**.[2]

وقوله: أن الله "عقلاً" والموجودات عقولاً، فهو هنا يشبه الله بالمخلوقات (كونه عقلاً مثلهم) والقرآن الكريم يبطل ذلك فيقول: إن الله تعالى أثبت لنفسه صفات لكنها لا تشبه أحد من خلقه، وكلها صفات كمال لا نقص فيها: **[لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ]**.[3] وهو – سبحانه – متعالٍ عن الأضداد والأنداد: **[وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ]**،[4] ووصف ابن سينا لله يحمل معنى يصف الله بالعجز عن عن خلق كل الوجود؛ لأنه يخلق الوجود الأول فقط، وأما باقي الموجودات فتصدر عن بعضها بعض، وليس عن الله، وهذا تعطيل لصفة القدرة المطلقة لله سبحانه، والقرآن الكريم أثبت عكس ذلك، فقال: **[وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا]**.[5]

أما قوله: بأزلية الكون، فهو مخالف للقرآن الذي أخبر: أن الكون مخلوق، والأزلية صفة لله وحده: **[وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ]**.[6]
فالآية توضح: أن الله كان قبل الخلق كله، إذن لا تلازم.

هذه خلاصة الرد الموجز على تصور ابن سينا للكون، والذي يبرز فيه مدى تأثره بالفلسفة الإغريقية القائمة على الخرافات، والظلمة للمفاهيم.
وعليه يتضح لنا مدى التأثير السلبي للفكر الفلسفي الإغريقي على عقول هؤلاء مما أدى إلى هدم عقيدتهم، وإدخالهم في متاهات الإلحاد والشرك بقصد أو بدون قصد.
وهذه الأفكار السوداوية حول الخلق والخالق، كان لها أثرٌ إيجابي ــ دون قصد لإيجاده ــ وهو: أنّ الكثير من علماء المسلمين أخذوا يبحثون في الآيات الكونية في القرآن الكريم من أجل الرد على

---

[1]. ابن رشد، محمد بن أحمد (ت: 595هـ) (1982) تهافت التهافت، تحقيق: سليمان دينا، ط 2، ج2، دار المعارف، مصر، ص ص440–447 بتصرف.

[2]. سورة الرعد، آية 16

[3]. سورة الشورى، آية 11

[4]. سورة الإخلاص، آية 4

[5]. سورة فاطر، آية 44

[6]. سورة هود، آية 7

هؤلاء، مما أدى إلى إنعاش علم التفسير للقرآن، من خلال الدراسة المعمقة الدقيقة لهذه الآيات، وإبراز حقيقة الكون للناس كما ذكره القرآن الكريم، وإبطال كل ما جاء من غيره.

ومن إنجازات ابن سينا الفلكية قوله: إن الأرض غير ساكنة، بل تتحرك وتدور حول نفسها، وقال : إن الضوء يسبق الصوت من خلال دراسة ظاهرتي البرق والرعد.[1]

تقديم

بالرغم من التطور العلمي الكبير في شتى ميادين العلوم، إلا أن العقل يبقى قاصراً عن الإحاطة بالمعرفة؛ بسبب النقص الذي يتصف به البشر، وأنهم لن يصلوا إلى الكمال الذي هو صفة إلهية. والله – تعالى – أخبر عن هذا العجز البشري، فقال: **[وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا]**.[2]
وقد اقتضت حكمة الله في عدم إعطاء الإنسان تمام المعرفة، ليبقى عقله في حالة تدبر وبحث في أسرار هذا الكون العظيم، للتعرف على عظمة الخالق من خلال الخلق.
وبالفعل انطلق العقل في تفحص وتدبر مكنونات الكون في محاولات كثيرة للكشف عن حقائقه، وأخذ علماء الكون يقدمون تفسيرات تلو الأخرى لنشأة الكون وتطوره ونهايته، ومع ذلك ظل العلم قاصراً عن معرفة الحقائق على سبيل اليقين؛ بل كان دائماً يعرض المعلومة على أنها يقين، فيفاجأ بعد حين بأنها لم تكن إلا ظناً أبطل يقينه نظريات علمية لاحقة.
والعلماء أنفسهم اعترفوا بهذا، فقال أحدهم: "إن معرفتنا ليست إلا قطرة بجانب بحر، وأن البحر هو جهلنا، ومهما يكن من يقين أو عدمه حول كثير من الأشياء، فإن المُشاهَد محاط بكون آخر أكبر منه".[3]

---

[1]. (جامعة القدس المفتوحة ، (2000) ص221.

[2] سورة الإسراء، آية 85
[3] (عميرة، (1989) ص9

ويفهم من ذلك: أن ما يتوصل إليه العلم في شأن الكون هو نظريات ظنية الدلالة تفتقر إلى. اليقين، وهو دائم التطور ليس له كلمة أخيرة وما سنعرضه في هذا الفصل من أقوال العلماء في شأن الكون، هو نظريات قابلة للرد في حال ثبوت صحة غيرها.

وتعتمد دراستنا في هذا البحث على عرض ما توصل إليه العلم الحديث في شأن نشأة الكون وتطوره ونهايته، مع بعض التحليلات التي يقتضيها البحث، دون ذكر أي مقارنات مع القرآن الكريم، أو أي تصور آخر؛ لأنه ليس مدار بحث لدينا .

التصور العلمي لمادة الكون:

من الطبيعي قبل أن يبدأ الإنسان بدراسة شيء ما، لا بدّ من دراسة أصل وجوده، والعلماء حاولوا معرفة "المادة" التي نشأ منها الكون، فبحثوا كثيراً، ووضعوا نظريات مختلفة لتفسير هذه المادة.

ومما توصلوا إليه في ذلك قولهم: إنّ المادة التي تشكل منها الكون: هي جسيمات تتكون من الكوارك[1](التي هي أصل البروتـــون [2]والنيوتـــرون)، [3] واللبتونـــات المشتملة على الإلكترونـــات[4] والنيوتريونات، والتي هي جسيمات تخرق كل شيء، وتشتمل أيضاً على

---

[1]. الكوارك: هي إحدى مكونات المادة الأساسية، وتجمعاتها تشكل النيوترونات والبروتونات في النواة الذرية. /المرجع: كلوز، فرانك (1994). النهاية، الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، ترجمة: د.مصطفى إبراهيم فهمي، ط1، سلسلة عالم المعرفة، رقم 191.

[2]. البروتون: أحد الجسيمات المكونة للنواة ويحمل شحنة موجبة، ويعطي النواة شحنتها الكهربائية، وهو يتكون من ثلاث كواركات.

[3]. النيوترون: وهو زميل البروتون في النوى الذرية، وهو بلا شحنة كهربائية.

[4]. الإلكترون: جسيم أولي ذو شحنة سالبة، وأحد مكونات الذرة، وهو ما يحمل الكهرباء خلال الأسلاك.

البوزونات[1] التي تحمل قوى بين الجسيمات، وتضم الفوتونـــات [2] والغليونـــات وجسيمات (زاد) دبلوف، والغرافتـــون التي يتنبأ العلماء بوجوده.[3]

ويعتقد العلماء: ضرورة وجود مادة أخرى سمّوها: "المادة الناقصة" أو "المادة السوداء" الغير مرئية، وغير مرصودة، وهي أكثر من المادة العادية التي تتفاعل مع الضوء، وحجة العلماء في ذلك: أنه يلزم وجود كتلة مادية ناقصة تزيد على الكتلة الفعلية المرصودة من أجل انتظام حسابات كثيرة، كحساب سرعة دوران المجرات، وحساب استقرار مدارات الكواكب حول المجرات.... ويتصور العلماء: أن هذه المادة تتواجد في وسط حشود ضخمة من المجرات أو حولها أو في المسافات الخيالية بين المجرات، ويظنون أن هذه المادة تشكل تسعة أعشار مادة الكون.[4]
ويصف "نيوتن" المادة التي هي أصل الكون: بأنها جزيئات مصمتة وكتل صلبة لا تخترق، قابلة للتحول، وأنه بالرغم من صغر حجمها، إلا أنها ملائمة للهدف الذي وجدت لأجله.[5]

وقد دعم العلماء نظرية نيوتن : أن المادة قابلة للتحول أو التحلل إلى مواد أو طاقات أخرى.
فقال "أينشتاين"[6]في ذلك: إن أجزاء الذرة قابلة لأن تتحول إلى طاقة، والطاقة إلى مادة، وهذه القابلية القابلية للتغير مرهونة بالظروف التي جعلتها في هيئة معينة، وزوال هذه الظروف المفروضة على المادة يؤدي إلى تحولها إلى هيئة أخرى، وهذا يعني: أن التغير الذي يصيب المادة ليس ذاتياً، بل مفروضاً عليها من الغير.[7]
وقد قال العلماء: إن هذه المادة ليست أزلية بل محدثة، وقد وصف العالم: "جورج لوماتر"[8]هذه المادة المادة بأنها غازية عظيمة الكثافة واللمعان والحرارة.[1]

---

[1]. البوزيترون: ضديد الإلكترون، يحمل شحنة كهربائية موجبة، ويظل مستقراً حتى يلاقي أحد الإلكترونات فيفني أحدهما الآخر إلى "إشعاع كهرومغناطيسي".

[2]. حزمة من الإشعاع الكهرومغناطيسي، وحامل قوة مغناطيسية. /المرجع لجميع التعريفات (كلوز، 1994) ص ص334–336.

[3]. (قبيسي ،(1995) ص20 بتصرف.

[4]. (قبيسي ، (1995) ص21 بتصرف.

[5]. (إدريس ، (2001) ص76 بتصرف.

[6]. أينشتاين : هو عالم فيزيائي، ألماني (1879–1955م) شارك بتجديد الفيزياء، وكان وجودياً، وضع نظرية النسبية الخاصة والعامة. / المرجع:(ميموني ، وقسوم (2002) ص163.

[7]. (إدريس، جعفر (2001) ص ص76–77 بتصرف.

[8]. جورج لوماتر: عالم وجودي وقس بلجيكي (1894–1966)، له عدة نظريات في الكون أهمها: الانفجار العظيم. /المرجع: (ميموني، وقسوم (2002) ص179.

هذا هو التصور الأخير للعلم حول مادة الكون، ولكن العلماء اختلفوا في وقت تواجد هذه "المادة"، فانقسموا إلى فريقين:

الأول: وهم فريق العلماء "الوجوديين" [2] الذين يقولون بأزلية المادة، وأنها غير مخلوقة، ولا خالق لها، ومن هؤلاء العالم "أينشتاين" الذي حاول بنظرياته أن يثبت أزلية كل الوجود.

الثاني: وهم الفريق القائل: أن "مادة " الكون مخلوقة من العدم، أي من لا شيء، وقد عرضوا عدة براهين على ذلك، منها:

نظرية "أينشتاين" "تحول المادة وتحللها"، فقالوا إن قابلية المادة للتحلل أو التحول بفعل يقع عليها من غيرها وليس عملاً ذاتياً يعني: أنها ليست مستغنية عن غيرها؛ بل محتاجة له، وكل ما هو غير مستغن عن غيره فهو مخلوق وله خالق.[3]

والطريف: أن هذه النظرية صادرة عن "أينشتاين" الذي كان يحاول إثبات أزلية الوجود، والنتائج تكون عكس ما يريد، فتثبت حدوث الوجود .

ومن استدلالاتهم أيضاً: أن المادة مهما كبرت أو صغرت فهي قابلة للفناء، وكل ما هو قابل للفناء حادث له بداية وله نهاية يتحكم فيها الغير هو خالقها، وهو الله.[4]

وقالوا أيضاً: بما أن الكون نفسه غير أزلي، فكذلك مادته غير أزلية، والكون ليس أزلياً لاعتبارات كثيرة نخص منها: ما رآه العلماء من إمكانية لتحديد عمر الكون من خلال ظاهرة اتساعه التي تدل على أن هناك لحظة معينة بدأ فيها الكون، وبالتالي فهو حادث وليس مخلوق.[5]

---

[1]. (بارودي، بدون سنة نشر) ص9.

[2]. الوجوديون : هم الذين لا يؤمنون بأن الكون مخلوق وله خالق، بل يؤمنون بأزلية الكون. /المرجع: (إدريس، (2001) ص77.

[3]. (إدريس ، (2001) ص77.

[4]. (إدريس ، (2001) ص77 بتصرف.

[5]. حسب النبي، منصور (1997) الكون والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ط 3، دار الفكر العربي، القاهرة، ص340 بتصرف.

التصور العلمي لنشوء الكون "الانفجار العظيم":

بعد أن عرضنا تصور العلم "للمادة" التي هي أصل الكون، ننتقل للتعرف على كيفية انبعاث هذا الوجود من هذه المادة.
يعتبر وجود الكون من المعضلات الكبيرة، التي استعصى على العلماء معرفة كيفية ولادة هذا الخلق العظيم من رحم تلك المادة، التي لا يكاد يعرف لها حجم من شدة صغرها.
وبعد دراسات عديدة استنفذت جهود مئات العلماء لعشرات السنين، والخروج بنظريات عديدة، كانت تحظى بالقبول تارة، وبالرفض تارة أخرى، توصل العلماء للإجماع على تبني نظرية "الانفجار العظيم" كأفضل تفسير يقبله العقل لنشوء الكون.

وهذه النظرية ظهرت إلى النور عام (1927م) حينما أعلن العالم "جورج لوماتر" عن نظرية جديدة تفسر نشوء الكون، سمّاها **(Big bang)** أو الانفجار العظيم، وقال فيها:
إن الكون بكل أبعاده المادية والزمنية [1] نتج عن انفجار عظيم لكتلة غازية عظيمة الكثافة واللمعان والحرارة[2] في وقت قصير جداً، مما أدى إلى تفتت هذه الكتلة وقذف أجزائها في كل اتجاه، ثم تحولت إلى كتلة غازية كبيرة ذات حرارة عالية جداً، وأخذت هذه الكتلة تدور حول نفسها بسرعة

---

[1]. (يحيى ، (2003) ص2
[2]. (بارودي، بدون سنة نشر) ص9

هائلة[1] نتج عنها انفصال أجزاؤها عن بعضها بعضاً ليتشكل منها عناصر الكون، وبذلك تكون الوجود.

وبعد تقبل العلماء لهذه النظرية بدأوا يدرسون مراحل التكوين، التي شبهوها بالولادة، فعبروا عن مادة الكون "بأصل مادة الخلق" الموجودة في رحم الكون، ثم المخاض، فالولادة الكونية.
وقالوا إن الكون مرّ بستة مراحل هي:
أولاً– مرحلة الجرم الابتدائي الأولي، [2] الذي بدأ منه الخلق (أي المادة المكونة للكون) حيث كانت مادة الكون وروحها في حيز لا يكاد حجمه يعادل شيئاً، ولم يكن كل من الزمان والمكان موجودَيْن بعد، وفي هذه اللحظة كانت كل الذرات للنجوم والكواكب والسماء...، وكل خلايا الكون والخلق كامنة في هذه المادة، ذات الكثافة الشديدة التي تكاد تكون لا متناهية.[3]
فالعلم هنا يذكر: أن الزمان والمكان لم يكونا موجودين قبل خلق الكون، وأنهما وجدا مع ولادة الكون، ونحن نخالف هذا القول بالكلية؛ لأن القرآن الكريم والسنة النبوية ذكرا أن الزمان والمكان وجدا قبل خلق السماوات والأرض، وسنتناول هذا الأمر في الفصل اللاحق.

ثانياً– مرحلة انفجار الجرم الابتدائي وبدء توسع الكون، [4] وفي هذه اللحظة بدأت كثافة المادة بالتحرر رويداً رويداً، وبعد جزء صغير جداً من الثانية بدأ انفجار المادة؛ حيث كانت الحرارة عالية جداً لدرجة أنها لم تسمح للذرات الكامنة من الترابط، فتفرقت أجزاؤها في كل اتجاه، ليبدأ الكون بالتمدد السريع مع تناقص في درجات الحرارة.[5]

ثالثاً– مرحلة السماء الدخانية، فبعد الانفجار شكلت الجزيئات الناتجة عن الانفجار دخاناً كثيفاً مظلماً وعالي الحرارة، وتخلقت عن هذا الدخان العناصر المختلفة عبر تخلق المادة والمادة المضادة، وتكونت نويات الأيدروجين والهيليوم وبعض الليثيوم.[6]

---

[1]. (عميرة، (1998) ص55 بتصرف
[2]. (نجار، 2004–أ) ص165.
[3]. كريك، فرنسيس (1988) صيغة الحياة، (لم يذكر المترجم)، ط1، عالم المعرفة، الكويت، ص32 بتصرف.
[4]. (نجار، 2004–أ) ص165.
[5]. (كريك، 1988) ص32
[6]. (نجار، 2004–أ) ص165، بتصرف يسير.

ونحن نرى: أن الدخان الذي انتشر بعد الانفجار، إنما هو الذي كان يُكون الجرم الابتدائي حيث كان الدخان متكاثفاً، وبعد الانفجار انتشر، وهذا الدخان أصله من الماء، كما سنبين في الفصل الأخير.

رابعاً– مرحلة انفصال دوامات من الغلالة (السحابة) الدخانية، وتكثفها على ذاتها بفعل الجاذبية، لتكوين كل من الأرض وباقي الأجرام التي تحمل نفس عناصر مادة الكون "الأم"، وهنا يدلل العلماء على وحدة الأصل للكون.[1]

خامساً– مرحلة دحو الأرض، وتكوين أغلفتها الغازية والمائية والصخرية، وبدء تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض، وتكون المحيطات والبحار والأنهار والقارات والتربة والماء، وتسوية سطحها، وخزن الماء فيها، وتكون الجبال التي هي آخر ما تكون على الأرض.

سادساً– المرحلة الأخيرة: وهي مرحلة خلق الحياة من أبسط صورها على مختلف مستوياتها.
وقال العلماء: إن مراحل الخلق هذه، كانت عبر مدد زمنية طويلة جداً، تستغرق ملايين السنين.[2]

وقد طرح العلماء عدة دلائل يرون أنها تثبت صحة الانفجار العظيم، منها:

حركة التباعد الظاهرة بين المجرات التي عرفوها من خلال انحراف طيفها نحو اللون الأحمر، وهذا يدل على أن الكون في حالة توسع دائم، الأمر الذي يعني: أن الكون كان حجمه أصغر فأصغر، إلى أن كان نقطة تقترب من الصفر عندما بدأ الانفجار.
والطيف الأحمر: صفة للمجرة المبتعدة عنا، وبما أن اللون الأحمر هو المنبعث من المجرات بشكل دائم، يدل على أنها في حالة تباعد مستمر عنّا، [3] وسنتناول هذا الأمر بالتفصيل عندما نتحدث عن تطور الكون.

واستدلوا أيضاً: ببقايا الإشعاع الكوني، ففي عام (1984م) أعلن العلماء أن تركيز العناصر في الجزء المدرك من الكون يشير إلى أن الجرم الأولي الذي بدأ به الكون، كان له إشعاعاً حرارياً

---

[1]. جمل، عبد الباسط، الجمل، داليا صديق (بدون سنة نشر)، موسوعة الإشارات العلمية في القرآن الكريم والسنة النبوية، بدون طبعة ، دار غريب، القاهرة، ص24.
[2]. (نجار، 2004–أ) ص165.
[3]. (إدريس، 2001) ص84 بتصرف

يشبه إشعاع الأجسام المعتمة، وأن هذا الإشعاع تناقصت شدته مع استمرار تمدد الكون وتبرده، ويوجد في صفحة السماء بقايا منه على شكل ضوضاء لاسلكية، وللتأكد من هذا الأمر أرسلت وكالة ناسا الفضائية الأمريكية عام (1989م) مركبة فضائية خصيصاً لدراسة بقايا هذا الإشعاع، وعادت بنتائج تبين وجوده، مع التقاط صور له، وفسروا: أن هذا الإشعاع هو السبب في الأزيز المنتظم الذي يعج به الكون.[1]

إن هذه النظرية تحمل الرد البليغ على القائلين بأزلية الكون، وأنه ليس حادثا، فالانفجار العظيم هو بداية للكون، وكل من كان له بداية فهو مُحدَث، وله مُحْدِث.
فسبحان الله، أعداء الله يشهدون له بالوحدانية والخلق من حيث لا يعلمون!

التصور العلمي لتطور الكون وتوسّعه:

اعتقد العلماء حتى بدايات العصر الحديث: أن الكون ثابت ومستقر منذ نشأته، إلى أن جاء العالم "أينشتاين" بنظرية "النسبية العامة" التي تشرح طبيعة الجاذبية؛ حيث أشارت هذه النظرية إلى أن الكون غير ثابت، فهو إمّا يتمدد أو ينكمش وفقاً لعدد من القوانين المحددة له.[2]
وقد توصل العلماء إلى أن الكون ليس ساكناً ومستقراً؛ بل متحرك ومتطور، وأطلقوا على هذه الظاهرة : ظاهرة تطور الكون وتوسعة.
وبرهنوا نظريتهم بعدة دلائل، منها:
أولاً– حركة تباعد المجرات عن بعضها بعض، وبعدها عنّا بسرعة هائلة، وكان العالم "هابل" [3] وضع قانوناً يشرح فيه هذا التباعد عام 1929م، والذي سمي "بقاعدة هابل"، ويقول هذا القانون: إن سرعة ابتعاد المجرات عن بعضها بعض يتناسب طردياً مع بعدها عنا.[4]

---

[1]. (نجار، 2004–أ) ص ص101،102 بتصرف.

[2]. (نجار، 2004–أ) ص85 بتصرف.

[3]. هابل: عالم فلك أمريكي (1889–1953م) قام بأرصاد كونية كبيرة، عرف من خلالها أن الكون في تطور دائم. المرجع: (ميموني، وقسوم 2002) ص152.

[4]. نعيمي، حميد مجول (2000) الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، ط1، مكتبة الرائد العلمية، عمان، ص86.

وفسّر العلماء هذه الظاهرة بأنها ناتجة عن اتساع المكان دون تغير في حجم المجرات، وباتساعه يزداد البعد بين الأجرام الحالة فيه، وهم يمثلون لذلك بعلامات تضعها على بالون، ثم ينفخ فيه، فكلما ازداد حجم البالون ازداد البعد بين تلك العلامات، من غير أن تكون هي قد تحركت، وهكذا تفعل المجرات مع فارق واحد: هو أن علامات البالون يزداد اتساعها باتساع البالون، أما المجرات فلا يحدث في حجمها تغير بسبب هذا التباعد.[1]

ثانياً- إنزياح الطيف نحو اللون الأحمر، وبهذا الإنزياح تم تفسير حركة التباعد للمجرات، فقال العلماء: إنّ الضوء يتكون من عدة ألوان، فكلما اقترب الضوء نحونا شاهدنا اللون الأزرق، وكلما ابتعد مصدره عنّا شاهدنا اللون الأحمر، وعللوا ذلك: أن الضوء مكون من موجات، فاندفاع مصدره نحونا يجعل موجاته تتلاحق وتتضام، وبما أن أقصر موجاته هي أسرعها وصولاً إلينا، فإن اقترابها يجعلها تتلاحق وتتضام فيغلب اللون الأزرق، وأما تباعدها فيجعل التضام في الاتجاه الآخر بالنسبة لنا فتكون الغلبة للون الأحمر، ومعنى وجود احمرار في ضوء الشيء، يدل على أنه يبتعد عنّا، وكلما زاد الاحمرار زاد البعد، وقد تمكن العلماء من خلال التلسكوب الدقيق من مشاهدة حمرة كهذه في أطياف الضوء الواصل إلينا من آفاق الكون البعيد يزداد بعداً عنّا، وقاسوا سرعة هذا التباعد فوجدوها تساوي 30.0000كم/ث، وهي سرعة رهيبة ومستمرة.[2]

وعندها عرفوا أن الكون ليس له مركز؛ [3] لأنه في حالة توسع دائم لا يشمل حجم المجرات ولا محتوياتها، بل هو توسع مكاني فقط.[4]

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الأمر هو: إلى أي مدى يبقى هذا التمدد؟
والإجابة على السؤال نذكرها في نهاية البحث عند التحدث عن نهاية الكون في العلم.

وبعد التعرف على التطور الذي حصل ويحصل للكون، أخذ العلماء يبحثون في أسرار هذا الكون من كل جوانبه، ونستعرض فيما يلي الدراسات لبعض جزئيات الكون كما رآها العلماء.

الشكل الهندسي للكون وطبقاته:

---

[1] .(إدريس،2001) ص82.

[2] .(عبد الحليم، 2000) ص11

[3] .(نعيمي، 2000) ص86

[4] .(إدريس، 2001) ص85

توصل العلماء إلى أن شكل الكون كروي، واستدلوا على ذلك بما يلي:
أولاً– إن شكل وحدات الفضاء الذري (البروتون والنواة) كروي.
ثانياً– إن أشكال وحدات الفضاء الكوني كلها كروية، كالشموس وتوابعها.
ثالثاً– إن الكون هو وحدة في الفضاء اللانهائي، وهذا يدلل على أنه كروي
رابعاً– أدت الحسابات الفلكية الرياضية إلى القول: إن الشكل الواضح للكون هو كروي.[1]

والكون بكرويته يتكون من سبع طبقات مغلقة، مكور بعضها على بعض بشكل يشبه البصلة، وأكثف طبقات السماء هي القريبة من مركزها، ثم تخف الكثافة كلما اتجهنا نحو المحيط الكوني، وهي ليست طبقات صلبة كتيمة؛ بل طبقات من النجوم تفصل بينها السنين الضوئية، [2] وأما طبقات الأرض، فتزداد كثافتها كلما كانت الطبقة قريبة من مركز الأرض، وتخف كلما ابتعدت عن المركز باتجاه الطبقة المحيطة (الهواء)، وهذه الطبقات ليست كَتِيمَة كما يهيأ لنا؛ بل نوى وكهارب تكدست بأعداد رهيبة الكثرة، خاضعة لأنظمة محددة لا تتجاوزها، وهي متباعدة فيما بينها.[3]

أما السماء: فقال العلماء إنها تشمل كل ما يحيط بالأرض من جميع أقطارها، ابتداءً من الغلاف الجوي الذي يرتفع بنحو (300كم) فوق سطح الأرض وكأنه بحر من الهواء حولها، ثم الفراغ الكوني الذي تسبح فيه ملايين الأجرام السماوية في أعماقه السحيقة وهي تتجاذب فيها، وتتحرك في تماسك واتزان في طبقة بعد طبقة.[4]
وتوصل العلم إلى أن السماء كانت دخاناً عند بدء تكونها، وتتكون من سبع طبقات من النجوم تفصل بينها سنين ضوئية.[5]
واستخدموا لفظة "البناء المحكم" للتعبير عن تركيب السماء، والأجرام هي لبنات هذا البناء التي تحكم الجاذبية روابطها، وتتصف السماء بالظلمة التامّة؛ لأن الضوء الصادر من الشمس لا يرى بذاته، ولكن بالانعكاس والتشتت على المرئيات، كذرات الهواء ودقائق الأتربة الموجودة بالغلاف الجوي، وهذه العناصر تنعدم في الفضاء.[6]

---

[1]. قاسم، محمود (1986) الإسلام والحقائق العلمية، ط1، دار الهجرة، بيروت، ص95 بتصرف.
[2]. السنة الضوئية: هي المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة واحدة. /المرجع: (قبيسي ، (1995) ص13.
[3]. (قاسم، 1986) ص91
[4]. عبدالصمد، محمد كامل (1990) الإعجاز العلمي في الإسلام، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص85.
[5]. قنديل، محمد حسن (2000) مواقف وإعجازات وقدرة الله البديع ، ط1، مكتبة بستان المعرفة، مصر، ص14.
[6]. (حسب النبي، 1997) ص353 بتصرف.

ولبنات هذا البناء رفع بعضها فوق بعض بقوى: هي نوع القوة الطاردة المركزية، التي تتعادل مع الجاذبية، وهذه القوة الطاردة ناشئة عن الدوران في مسارات شبه دائرية، أو قطاعات ناقصة، وهي بمثابة الأعمدة المقامة بالفعل، ولكنها غير مرئية.[1]

أما المجموعة الشمسية والنجوم والكواكب، فقد ذكر العلماء أنها ظهرت في الكون مع الانفجار العظيم. إذ أنها تكونت من السديم (الدخان)، فتشكلت المجرات أولاً، ثم حصل فيها انفجار نتج عنه "الشموس"، وعن الشموس انفصلت الكواكب، وعن الكواكب انفصلت الأقمار.[2]
والمجموعة الشمسية كغيرها من أجزاء الكون، تكونت من سحابة كروية من الغاز والأتربة كانت تدور ببطء، وتحت تأثير الجاذبية أخذت هذه السحابة الغازية تنكمش وهي تدور بسرعة متزايدة، حتى أصبحت أكثر تفلطحاً نتيجة القوة المركزية الطاردة، وهنا بدأت تنفصل عن هذه الكتلة الغازية سحب أو دوامات من المادة، كانت بمثابة أنوية للكواكب، وبدأت الكتل الغازية المنفصلة بالانكماش، مما أدى إلى رفع درجة حرارة السديم إلى مستوى سمح ببدء الاندماج النووي بين ذرات الأيدروجين وتحولها إلى هيليوم في باطن السديم، ورفع الضغط الذي ولد طاقة هائلة رفعت درجة حرارة السديم حتى أصبح مستعراً كالشمس، ثم حصل توازن في حجم النجم نتيجة تساوي قوة الانكماش بالجاذبية نحو الداخل مع قوة التمدد الحراري نحو الخارج، الذي وضح السحابة التي انكمشت إلى شمس مستقرة الحجم تدور حولها الكواكب التي انفصلت عنها ككتل صغيرة من الغاز والأتربة، وكانت ملتهبة فبردت.
وتعتبر الشمس نجما متوسطا الحجم، وهي مركز المجموعة الشمسية (مجموعة درب التبانة) ومسؤولة عن حركة جميع الكواكب، وهي مصدر للضوء والحرارة لجميع الكواكب.[3]
والكواكب أصغر من الشمس بنسب متفاوتة، وهي غير ملتهبة، وتحوي مقادير هائلة من الصخور والمعادن، ويحيط بمعظمها أغلفة جوية متباينة التركيب، وتعكس ضوء الشمس الساقط عليها بدرجات متفاوتة، متوقفة على طبيعة سطحها وتراكيب أغلفتها الجوية فتبدو مضيئة، وهذا يعني: إبطال نظرية أن الكواكب مضيئة بذاتها.[4]

وأما الأرض: فهي أكثر عناصر الكون إثارة لاهتمام العلماء، باعتبارها مسكن الإنسان، فذكر العلماء: أن الأرض كانت في الأصل جزءاً من الشمس، ثم انفصلت عنها مندفعة في الفضاء، ورغم

---

[1]. فندي، جمال الدين (بدون سنة نشر) القرآن الكريم والعلم، بدون طبعة، دار المعرفة، القاهرة، ص288 بتصرف.
[2] . (جمل، بدون سنة نشر) ص27 بتصرف
[3]. (حسب النبي، 1997) ص ص349، 350 بتصرف
[4]. (عبد الصمد، 1990) ص61 بتصرف.

أن الشمس حاولت استرجاعها من خلال قوة الجذب، لكن تعادل قوة الطرد مع قوة الجذب منعت عودتها لتأخذ مدارها المعد لها حول الشمس،[1] وأما الشكل الهندسي لها فهو إهليجي.[2]

وكانت الأرض عند انفصالها كتلة ملتهبة، ثم أخذت تبرد رويداً رويداً بسبب خروج الماء من باطنها، الذي قذفته الحمم البركانية على سطح الأرض، حيث كان الماء ذائباً في السيلكات المنصهرة الموجودة داخل الحمم البركانية، وكانت هذه السيلكات موجودة في الصخور المنصهرة أثناء مرحلة الحرارة العالية، وبعد قذفه مع الحمم البركانية لم يستقر على سطح الأرض لشدة حرارتها، فغادر الأرض على شكل أبخرة كثيفة، تجمعت في سماء الأرض، ومن شدة كثافتها منعت ضوء الشمس من الوصول إلى الأرض، وهذا يعني أنه لم يكن هناك نور على الإطلاق، باستثناء بعض ومضات البرق الهاربة من بين السحب، وبفعل البرق والرعد نزل المطر من السحب بغزارة أدت إلى إيجاد طوفان مائي على الأرض، سرعان ما عاد إلى السماء على شكل أبخرة عندما لامس سطح الأرض الملتهب، وبقيت هذه الدورة هكذا إلى أن بردت الأرض تماماً واستقر الماء عليها.[3]
ثم بدأت السلاسل الجبلية بالتكون، فاندفعت من قاع المحيط الأولي الغامر للأرض، وكانت أول يابسة ظهرت من الغلاف الصخري للأرض هي أرض مكة، وظلت اليابسة في نمو إلى أن تكونت القارة الأم التي انقسمت إلى سبع قارات، وأخذت تنزاح متباعدة عن بعضها بعض إلى أن وصلت إلى مواقعها الحالية، ولا تزال في حركة مستمرة إلى اليوم.[4]
وبعد ذلك بدأت تظهر صور الحياة الأرضية الباكرة في الماء، فبدأ خلق النبات، ثم الحيوان، فالإنسان[5] الذي خلق بعد أن جهز كوكب الأرض لاستقباله.

---

[1]. (عميرة، 1998) ص57 بتصرف.
[2]. (جمل، بدون سنة نشر) ص28
[3].(حسب النبي ، (1997) ص356 بتصرف
[4]. نجار، زغلول (2004–ب) النبات في القرآن الكريم، ط1، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة، ص126 بتصرف.
[5]. (نجار، 2004–ب) ص126 بتصرف.

إن هذا المختصر للتصور العلمي لتطور الكون أمرٌ يبقى تحت دائرة البحث والنظريات التي من الممكن إبطالها في حال ظهور معلومات أخرى تلغي السابق وتثبت اللاحق، فالعلم كما عرفنا لا كلمة أخيرة له.

التصور العلمي لنهاية الكون:

لم يصل العلماء إلى يقين لنهاية الكون؛ لأنهم لم يتوصلوا إلى معرفة المدى الذي يبقى الكون يتسع فيه، إلا أنهم وضعوا عدة احتمالات لنهايته، وهي:

الاحتمال الأول: ويقترح فيه علماء الفلك والفيزياء أن يكون الكون لا حدود له، عندها سيستمر في التمدد، دون نهاية، ويسمّى الكون بهذه الحالة: الكون المفتوح.
ويعلق الباحث زغلول النجار على هذا الاحتمال بالقول: إن الهدف من هذا الاحتمال هو الهروب من الاعتراف بالخلق وبالآخرة، وذلك من خلال افتراض أن قوة الدفع إلى الخارج ستستمر بمعدلات أقوى من قوى الجاذبية التي تشد الكون إلى الداخل في اتجاه مركزه.
ويرى النجار خطأ ذلك؛ لأن استمرار تمدد الكون يؤدي إلى خفض درجة حرارته بالتدريج حتى تنطفئ جذوة نجومه بانفجاره، وفقدان النجوم من طاقتها يجعل إمكانية استمرار الكون في الاتساع إلى ما لا نهاية أمراً مستحيلاً.[1]

الاحتمال الثاني: أن يكون محدوداً ومغلقاً على نفسه مثل الكرة، وهذا يخضعه لعدة احتمالات:
الأول: أن يستمر وجود الكون إلى الأبد، عندها سوف يتلاشى تمدده بالتدريج بمرور الزمن، بسبب قوى الجاذبية المعوقة، ودون معرفة ما يحصل بعد ذلك.

---

[1]. (نجار، 2004-أ) ص189 بتصرف.

الثاني: وهو نموذج "الكون المتذبذب" بغير بداية ولا نهاية، فيبقى الكون في هذه الحالة بين التكدس والانفجار، أي بين الانكماش والتمدد في دورات متتابعة غير متشابهة إلى ما لا نهاية، تبدأ بمرحلة التكدس على الذات، ثم الانفجار والتمدد، ثم التكدس مرة أخرى...وهكذا.

ويرفض النجار هذه النظرية؛ لأنه لا يوجد ما يثبت هذه النظرية، وكل ما ذكر من فرضيات رفضتها الملاحظات العديدة في الجزء المدرك من الكون.[1]

الثالث: إن الكون سينكمش، فتزيد حرارته مما يؤدي إلى تبخر كل ما فيه.[2]

وواضح سيطرة الخيال العلمي في هذا الاحتمال، وخاصة أنه يفتقد للبراهين، وإن تَبَخر الكون فأين يذهب هذا البخار؟!

الاحتمال الثالث: هو أن يكون الكون مفتوحاً بدون حدود، فتبقى عملية التمدد دون توقف إلى أن يصل الكون إلى المراحل النهائية: وهي فناء الكون وموته؛ لأن الإشعاعات تستمر في فقدان الطاقة خلال عمليات الزحزحة نحو الطيف الأحمر، وعندها ستتمركز جميع المادة الكونية داخل نجوم المرحلة الأخيرة من التطور، فيصل الكون إلى مرحلة عدم انتقال الحرارة في أجزائه، فتسكن حركته المتزنة إلى الأبد.[3]

وعلى كل حال فهو اقتراح يخلو من البراهين العلمية، على الرغم من أن هناك من قال: أن الكون بعد موته سيفنى؛ لأن جسيم البروتون يتفكك تلقائياً، ثم يتحلل كل شيء في هذا الكون، ولن يبقى إلا مادة الوجود الأصلية.[4]

الاحتمال الرابع: وهو الذي يتوقع فيه العلماء تباطؤ سرعة توسع الكون مع الزمن، فتتفوق قوى الجاذبية على قوة الدفع، فتبدأ المجرات في الاندفاع إلى مركز الكون بسرعات متزايدة، لامّة ما بينها من مختلف صور المادة والطاقة، فيبدأ الكون في الانكماش والتكدس على ذاته، فيطوي الزمان والمكان (حسب النظرية) حتى تتلاشى كل الأبعاد أو تكاد، وتتجمع كل صور المادة والطاقة المنتشرة في أرجاء الكون حتى تتكدس في نقطة متناهية في الضآلة، تكاد تصل إلى الصفر أو العدم، ومتناهية في الكثافة والطاقة إلى الحد الذي تتوقف عنده كل قوانين الفيزياء المعروفة، فيعود

---

[1]. (نجار، 2004–أ) ص ص191، 190 بتصرف.

[2]. (قبيسي، 1995) ص46 بتصرف.

[3]. (حسب النبي، 1997) ص89 بتصرف.

[4]. (قبيسي، 1995) ص46 بتصرف.

الكون إلى حالته الأولى (جرم أولي) ويعرف هذا النموذج "بالكون المغلق" وتسمّى عملية التجمع "بالانسحاق الشديد" وهي معاكسة لعملية الانفجار العظيم.[1]

وهذه النظرية هي التي أجمع العلماء على قبولها لما فيها من براهين تجعلها مقبولة للعقل، لكننا لم نجد في هذه النظرية ما يشير إلى عودة الكون إلى دورة كونية جديدة، فهي تقف عند حد عودة الكون إلى الجرم الابتدائي.

هذا ما قاله العلم في الكون نشأة وتطوراً ونهاية، وكلها تبقى احتمالات ظنية ما لم تثبت، والكون بما فيه خاضع للبحث العلمي كما يقول الدكتور يوسف محمود في كتابه سيسمولوجيا العلم: إن تفكير الإنسان محصورٌ في المحسوسات، وهي شاملة للمادة الكونية كاملة، [2] ونحن نزيد على ما قاله محمود: أن الكثير من الأمور لا يكفي فيها العقل، بل لا بدّ من خبر الوحي لتعلقها بالغيب.

المبحث الأول: مقدمة في علم التفسير:

يعتبر علم التفسير أشرف العلوم وأعلاها منزلة، لأنه العلم الذي يقود إلى فهم كتاب الله، وبالتالي تطبيقه حسب أوامر الله ونواهيه، وهو علم ضروري للمسلمين، بسبب تباين المستويات العقلية للناس، الأمر الذي يلزم أهل العلم توضيح ما يصعب على الناس فهمه من مقاصد الله في آياته. ويلزمنا في هذا الفصل التعرف على علم التفسير، لنعلم كيف فسر العلماء الآيات الكونية وفقاً لتطور عصور التفسير.

المطلب الأول: معنى التفسير في اللغة والاصطلاح:

للتفسير معنيان أحدهما يؤدي إلى الآخر وهما:

المعنى اللغوي: "ويعني الإيضاح والتبيين، وهو مأخوذٌ من الإبانة والكشف".[3]

المعنى الإصطلاحي: هو ناتجٌ عن المعنى اللغوي، لأنه "يبحث في إيضاح وبيان مراد الله من كتابه المنزل على نبيه محمد – ρ– وبيان معاني آياته، واستخراج أحكامه وحِكَمِه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والبيان، وأصول الفقه، والقراءات، ومعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ".[4]

---

[1]. (نجار، 2004–أ) ص ص191،192 بتصرف.

[2]. محمود، يوسف (2000) سيسمولوجيا العلم والتكنولوجيا، ط1، دار وائل للطباعة والنشر، عمان، ص232.

[3]. (أنيس، وآخرون 1972) ص688، باب فسر

[4]. (ملاح، 2002) ص897 بتصرف.

وقد وضع العلماء شروطاً لمن يفسر القرآن الكريم، ومنها: صحة العقيدة، فيلزم المفسر أن يكون مستقيم العقيدة، وصافي الإيمان، وأن يكون تقياً، وعالماً باللغة العربية، والسنة النبوية، والقراءات، والناسخ والمنسوخ، وأن يتصف بالذكاء والفهم... إلى غير ذلك من الشروط التي لا يقبل تفسير المفسر بدون توافرها.[1]

المطلب الثاني: نشأة علم التفسير وتطوره:

نشأ علم التفسير على يدي رسول الله – ρ – باعتباره المفسر الأول للقرآن الكريم، ولم يكن عندئذٍ وجود أي قواعد أو أسس أو شروط للتفسير؛ لأن الحاجة لا تدعو إلى ذلك ما دام الرسول ρ موجوداً.[2] وبعد أن توفي النبي – ρ – وأصبح هناك تباعد بين عهده وعهد من بعده من الأجيال، اقتضت الحاجة إلى وضع قواعد وشروط للتفسير، لذلك نجد أن التفسير للقرآن الكريم قد مرّ بعدة مراحل، كانت مناهج التفسير خلالها تتطور وفقاً لتطور الظروف في العصور التي يمر فيها، وأهم هذه المراحل:

أولاً– عهد الصحابة الكرام: تميز التفسير في عهدهم بالبساطة، والنقل بشكل شفوي عن النبي ρ بكل أمانة ودقة، ولم يتأثر هؤلاء بأي علم أو معرفة وافدة؛ لأن الفطرة لا زالت سليمة.

وكان هدف التفسير في هذا العهد تثبيت العقيدة في النفوس، وإبراز عظمة الله وقدرته من خلال خلقه.

وأشهر مفسري الصحابة: عبد الله بن عباس [3] (رضي الله عنهما) الذي لقب بحبر الأمة، وترجمان القرآن الكريم لغزارة فقهه وعلمه، وذلك ببركة دعاء النبي ρ : "اللهم فقهه في الدين وعلمه

---

[1]. (ملاح، 2002) ص ص89،90،91 بتصرف كبير.

[2]. (ملاح، 2002) ص92 بتصرف.

[3]. ابن عباس : هو عبدالله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبي (ρ) ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكان من أعظم المفسرين للقرآن الكريم، توفي عام 68هـ. / المرجع: خالدي، صلاح عبد الفتاح (2001) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط1، دار القلم، دمشق، ص241.

التأويل"،[1] حتى غدا أشهر المفسرين إلى يومنا هذا، ولا يوجد مفسر في القديم أو الحاضر إلا وينقل عنه.

وقد فسّر القرآن الكريم بالقرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، واللغة والشعر.[2]

ثانياً- عهد التابعين: وهم تلامذة الصحابة، وامتداد لهم، والتفسير في عهدهم لم يخرج عمّا قاله الصحابة، وكذلك تناقله التابعون عمّن قبلهم مشافهة.

وبالرغم من أنّ هذا العهد تميز ببداية تسرب الإسرائيليات والفلسفات القديمة إلى الإسلام من خلال أهل الكتاب والأعاجم الذي دخلوا الإسلام، إلا أن هذه المعارف لم تؤثر في تفسير التابعين للآيات الكونيـــة، لقرب العهد من الصحابة الكرام والنبي الهادي (ρ)، [3]وأشهر مفسري هذا العهـــد: سعيد بن جبير،[4] الذي عرف عنه الورع والإجلال والهيبة في تفسير آيات الله.[5]

ثالثاً- عهد التدوين: وهو العصر الذي بدأ فيه تدوين التفسير وغيره من العلوم، فقد بقي التفسير يتناقل مشافهة في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين حتى بداية هذا العهد.

ومرّ تدوين التفسير في هذا العصر بعدة تطورات: فكان بداية يدون بذكر كامل سند الذين رووا التفسير عن رسول الله –ρ – وهذا أدى إلى حماية التفسير من العبث والوضع.

ثم أصبح بعد ذلك يذكر المفسرون التفسير بدون ذكر السند، وهذا الأمر أدى إلى ظاهرتي الوَضَع والنقل عن الإسرائيليات في تفسير الآيات.

ثم نهج المفسرون نهجاً آخر: وهو التفسير الذي يرجح التفاسير بعضها على بعض من خلال العقل، وذلك اعتماداً على اللغة، والسياقات القرآنية الكريمة، وكل ذلك أدى إلى تنوع التفاسير، كالتفسير بالرأي الذي غلب على مناهج المفسرين حتى العصر الحاضر، أو التفسير باللغة، وغير ذلك .

والتفسير بالرأي اعتمد على التفسير بالمأثور عن النبي –ρ – ولم يلغه، بل سار موازياً له.[6]

---

[1]. ابن حنبل ، أبو عبدالله أحمد بن محمد (ت: 241هـــ) المسند، شرح: أحمد محمد شاكر، ط 1، 20 جزء، دار الحديث، القاهرة، مسند ابن عباس، حديث (4024) ص ص159–160.

[2]. (خالدي ، (2001) ص24 بتصرف

[3]. ذهبي، محمد حسين (بدون سنة نشر) التفسير والمفسرون، بدون طبعة، بدون دار نشر، ط1، حلوان، مصر، ص15 بتصرف.

[4] . سعيد بن جبير: هو أبو محمد سعيد بين جبير بن هشام، تابعي أكثر الرواية عن ابن عباس، فسر القرآن الكريم بالمأثور، توفي عام 95هـــ. /المرجع: ذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت: 748هـــ) سير أعلام النبلاء، تحقيق: محب الدين العمروري، ط1، دار الفكر، بيروت (1996) ص287 بتصرف.

[5]. (ملاح ، (2002) ص94.

[6]. (ذهبي ، (1996) ص104 بتصرف.

وقد أبدع المفسرون في عصر التدوين، مما أدى إلى أن يركن العلماء إلى التفاسير المدونة في هذا العصر، الأمر الذي قاد إلى تجميد التفسير لقرون عدة، والاكتفاء بالاختصار أو التعليق، وذلك بحجة: "ليس بالإمكان أفضل مما كان".

طبعاً هذا أمر خطير، لأنه اتهام للقرآن الكريم بالعجز، وهو الذي لا تنقضي عجائبه، فهم رجال ونحن رجال، وهو قرآن كريم معجز لكل زمان ومكان، لذلك نقول: أنه بالإمكان أكثر مما كان.

وأشهر مفسري هذا العصر، الطبري،[1] القرطبي،[2]
ابن كثير،[3] وهناك من تأثر بالفلسفات الوافدة إلى الحضارة الإسلامية، مثل: الرازي،[4] والبيضاوي.[5]
والبيضاوي.[5]

ونحن سنتناول أقوال المفسرين قبيل عصر التدوين، أي بعد عصر التابعين حتى قبيل عصر النهضة الحديثة، وليس أقوال المفسرين الذين وجدوا في هذا العصر فقط، وإنما أدرجنا المفسرين الذين هم خارج هذا العصر في قائمة مفسري العصر لقرب العهد بينهم، ولعدم الإطالة فيما لا داعي له

رابعاً: التفسير في عصر النهضة الحديثة، أو ما يعرف بعصر التجديد: [6] وهذا العصر بدأ في النصف الثاني من القرن العشرين، عندما بدأ المسلمون ينهضون من الجمود والركون إلى من

---

[1]. الطبري : محمد بن جرير الطبري، (224–310هـ) مفسر ومؤرخ، له كتاب: "جامع البيان" في التفسير، وقد تأثر بمنهجه في التفسير بالفلسفة. /المرجع: (ذهبي، 1996) ج11، ص291.

[2]. القرطبي : أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (678–756هـ) مفسر ومحدث، فسر القرآن الكريم بالرواية، له كتاب: الجامع لأحكام القرآن الكريم./المرجع: (ذهبي، 1996) ج17، ص ص101–102 بتصرف.

[3]. ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء، ابن كثير (700–774هـ) فقيها ومفسراً، له كتاب: تفسير القرآن العظيم، وقد فسر القرآن الكريم بالمأثور. /المرجع: زحيلي، محمد (بدون سنة نشر) ابن كثير الحافظ المفسر، بدون طبعة سلسلة أعلام المسلمين بدون رقم ، دار القلم، دمشق، ص394 بتصرف.

[4]. الرازي : هو محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي ولد عام (544هـ) مفسر ومتكلم وأصولي، تأثر في نهجه التفسيري بالفلسفة، له مؤلفات في التفسير أشهرها: "مفاتيح الغيب في تفسير القرآن العظيم". /المرجع: كحالة، عمر رضا بدون سنةنشر، معجم المؤلفين، بدون طبعة، ج11، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص79.

[5]. البيضاوي : هو ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي، توفي عام (685هت) فسر القرآن الكريم بالرأي حسب اللغة العربية، وضع مؤلفه "أنوار التنزيل" وذكر فيه بعض العلوم الفلكية والطبيعة في تفسيره للآيات الكونية. المرجع/: كفافي، عبد السلام (1972) في علوم القرآن الكريم دراسات ومحاضرات، ط1، دار النهضة العربية، بيروت.

[6]. التجديد : هو إحياء العمل بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، بمحاولة فهم الفروع المستجدة بإرجاعها إلى أصولها من الكتاب والسنة. /المرجع: بلاغ (2005) النهضة في الوطن العربي، البدايات والآفاق، بدون ذكر دولة الموقع. http://www.balagh.com/islam/ip0owuf7.htm, 1.09.2005

سبقهم في شتى ميادين الحياة،[1] فبدأ المفسرون المسلمون يدعون إلى العودة إلى آيات القرآن الكريم، واستخراج ما فيها من كنوز لم يتوصل إليها السلف، وإبراز أن القرآن الكريم كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه، وبدأ في هذا العصر ظهور بدايات تفسير الآيات الكونية تفسيراً علمياً إشارياً، بناء على ما توصل إليه العلم من معارف جديدة كان لها أصل في آيات القرآن الكريم.
ومن أوائل من دعا إلى هذا النهج هو المفسر طنطاوي جوهري،[2] حيث وضع كتابه "الجواهر" الذي

أشـــار فيه إلى لطائـــف القرآن الكريم العلميـــة، ثم ظهر مفســـرون آخـــرون في هذا العصر منهم:
محمـــد أبو زهرة،[3] سيد قطب .[4] ومحمد متولي الشعراوي .

خامساً: التفسير العلمي في العصر الحاضر:

بداية لا نستطيع أن نطلق على هذه المرحلة، أنها مرحلة تفسير للقرآن الكريم بالشروط اللازمة للتفيسر والمفسر، بل هي مرحلة توسع المسلمون فيها في معاني الآيات الكونية باستخدام الإشارات العلمية التي في هذه الآيات ومحاولة التوفيق بينها وبين العلوم الحديثة.
والأساس الذي يقوم عليه هذا التفسير هو: محاولة فهم دلالة الآيات الكونية في القرآن الكريم في إطار المعرفة العلمية المتاحة للعصر.[5]
وقد اختلف العلماء في قبول أو رد هذا النوع من التفسير، فمنهم من أيده، ومنهم من رفضه.
أما المؤيدون فحجتهم في ذلك:

---

[1]. (بلاغ، (2005)، إنترنت.

[2]. جوهري: هو طنطاوي جوهري (1870–1940م) من مصر، درس في الأزهر، اهتم بتفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً إشارياً، ألف كتابه "الجواهر" وذكر فيه فنون عصرية، وأساطير فلسفية. /المرجع: زركلي، خير الدين (2002) الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، ص203.

[3]. أبو زهرة: هو محمد بن مصطفى أبو زهرة (1898–1974م) من مصر، اهتم بالعلوم وخاصة التفسير، له مؤلف "زهرة التفاسير"./المرجع:أبو زهرة، محمد (بدون سنة نشر) زهرة التفاسير، بدون طبعة، دار الفكر، القاهرة، ص 3–11 بتصرف.

[4]. قطب : هو سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (1906–1966م) اهتم بالعلم والسياسة، كتب عدة مقالات أدبية وسياسية، وله كتاب في التفسير "في ظلال القرآن الكريم" اعتمد فيه على الوجدانيات، أي إبراز الانفعالات الإيمانية خلال التفسير./المرجع: خالدي، عبد الفتاح (1986) مدخل إلى ظلال القرآن الكريم، ط 1، دار المنارة، جدة، ص ص17–26بتصرف.

[5] (نجار، 2004–أ) ص72.

أن القرآن الكريم مليء بالآيات التي تدعو إلى تحصيل المعرفة النافعة، وضرورة إعمال الإنسان لجميع حواسه وعقله من أجل التعرف على الكون، واكتساب المعارف التي تقود إلى معرفة الله وتزيد الإيمان به، وتوظيف هذه المعلومات في حسن فهم كتاب الله.

ويستدلون أيضاً: بأن القرآن الكريم يرفض الجمود والتقليد للآراء الخاطئة الموروثة، والحكم بالظن والهوى، ويطالب الإنسان دوماً بتأسيس الأحكام على الدليل العقلي، وهذا كله من أخص خصائص المنهج التجريبي في دراسة الكون وما فيه.

ويستشهدون بتكريم القرآن الكريم للعلم والعلماء في كثير من آياته.

ويستدلون أيضا : بنعي القرآن الكريم للغافلين عن التفكر في السماوات والأرض، ووصفه إياهم كالأنعام أو أضل، وينادون بضرورة توظيف المعارف العلمية المتاحة لفهم الآيات الكونية في القرآن الكريم التي تربط دائماً بين الإيمان بالله والنظر فيما خلق، وخاصة أن القرآن الكريم يتناول الكليات تاركاً التفاصيل لاجتهاد الإنسان... وهناك أدلة أخرى لا مجال لذكرها.[1]

أما المعارضون فيقولون: إنّ التفسير العلمي هو نوع من التفسير بالرأي حسب الأهواء، وأن القرآن الكريم هو كلام الله الثابت، والعلوم المكتسبة متغيرة، ولا يجوز مقابلة الثابت بالمتغير، وقالوا: إن العلوم الكونية انطلقت في زماننا من منطلقات مادية بحتة، لا تؤمن بما فوق المدرك من صور المادة والطاقة، ولذلك تصاغ أحياناً صياغات منافية لأصول الدين.

وقالوا: إن تفسير الآيات تفسيراً علمياً أدى إلى تحميلها ما لا تحتمله، أو أن ألآخذين به توسعوا في الآيات أكثر من اللازم، مما أدى إلى إعطاء آيات القرآن الكريم من المعاني ما لا تعنيه .[2]

وقد تصدى للرد على المعارضين العديد من علماء المسلمين ومنهم : زغلول النجار في كتابه السماء .

ونحن مع القائلين بالتفسير العلمي، لكن ضمن الشروط التي وضعها العلماء كضوابط للأخذ بهذا التفسير، والذي فيه فوائد جمّة تخدم الدعوة إلى الله، خاصة أنه حصيلة تجارب علمية متتالية صاحبت النهضة الحديثة.

وأهم هذه الشروط:

أولاً: مراعاة شروط التفسير العامة، من معرفة للغة العربية والفقه والحديث وعلوم القرآن الكريم...[3]

ثانياً: أن يتصدر لهذا التفسير ذوو الاختصاص، وليس أي أحد.

ثالثاً: أن لا يخالف معاني اللغة العربية، بحيث يكون التفسير مطابقاً للمعنى اللغوي، والنظم القرآني.[1]

---

[1] (نجار، 2004– أ) ص ص(57–61) بتصرف.

[2] (نجار، 2004–ب) ص ص(17–18) بتصرف.

[3]. عك، خالد عبد الرحمن (1994) أصول التفسير وقواعده، ط3، دار النفائس، بيروت، ص207 بتصرف.

رابعاً: عدم إقحام الآيات بمعانٍ لا تحتملها، ولا يمكن لكلام الله أن يحتملها، ومثال هذا الإقحام : تفسير قوله تعالى: **[خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ...]**[2] بأن النفس الواحدة : هي الإلكترون في الذرة، وزوجها الذي خلق منها: "البروتون"، وهذا تعسف لا تدل عليه الألفاظ ولا السياق.[3]

خامساً: عدم الأخذ بما لا زال فرضيات علمية لم تزل موضع أخذ ورد بين أهل الاختصاص من العلماء، والعمل على جر القرآن الكريم لتأييد تلك الفرضية؛ لأن كتاب الله أحكمت آياته، [4] وهو لا يخضع لأسلوب حديث، ولا لأسلوب قديم، وإنما تفسره الحقائق التي يثبتها البحث العلمي المستند إلى الأصول الإسلامية، والعقول المستقيمة.[5]

سادساً: أن لا يكون الفهم العلمي مبطلاً للأفهام السابقة، حيث تتهم الأمة كلها منذ عهد الصحابة، بل الرسول –ρ – نفسه بأنهم لم يكونوا قادرين على فهم المعنى، وأن كل ما ورد عنهم باطل، وأن المعنى الصحيح هو فقط ما أورده الباحث الجديد، بل يجب أن يكون المعنى إضافة متممة لما سبق دون إبطاله،[6]

لأن القرآن الكريم كما أخبر النبي ــ ρ ــ في الحديث النبوي الشريف :

"لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد".[7]

سابعاً: أن يكون مراعياً للتأليف بين الآيات وتناسبها ومؤاخاتها، فيربط بينها لتكون وحدة موضوعية متكاملة.[8]

ثامناً: التحذير من أن يتعرض التفسير العلمي لأخبار وشؤون المعجزات، والابتعاد كل البعد عن الغيبيات التي لا يمكن للعقل القول فيها؛ [9] لأنها غيب مطلق من محض علم الله الذي استأثر به لنفسه، كقضايا الروح، وحياة البرزخ، وموعد الساعة...[10]

---

[1]. عباس، فضل حسن، وعباس سناء فضل (2001) إعجاز القرآن الكريم، ط4، دار الفرقان، عمان، ص268.

[2]. سورة النساء، آية 1

[3]. قرضاوي، يوسف (2001) العقل والعلم في القرآن الكريم، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص286.

[4]. (عباس،ف،وعباس،س، (2001) ص268.

[5]. عرجون، محمد الصادق (1966) القرآن الكريم العظيم وهدايته، ط1، دار الإتحاد، مصر، ص163.

[6]. (قرضاوي (2001) ص286.

[7]. ترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت 279هـ) سنن الترمذي، ط 1، مكتبة المعارف للنشر، الرياض 1417هـ، حديث رقم: (2906)، باب فضل القرآن الكريم، ص650.

[8]. (عك، 1994) ص224.

[9]. (عباس، ف،وعباس، س(2001) ص268

[10]. (نجار، (2004–ب) ص19.

إن هذه الضوابط تجعل من التفسير العلمي أمراً مقبولاً في الدعوة إلى الله، من خلال بيان عظيم قدرة الله في الخلق.

وأهم نتيجة للتفسير العلمي: هو ظهور علم آخر يعتني بإظهار أسبقية القرآن الكريم في الكشف عن المعلومة بفترة طويلة قبل العلم، وذلك لبيان إعجازه العلمي، وسمي هذا العلم: "بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم".

وقد واجه هذا العلم أيضا رفضاً من قبل كثيرين من الذين رأوا أن "الإعجاز": إنما هو الأمر الخارق، الذي لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله، لا في الماضي ولا في الحاضر ولا المستقبل، وبما أن العلم استطاع معرفة هذه المعلومات، إذن هي ليست خارقة، وعليه فلا يوجد ما يعرف بالإعجاز العلمي للآيات القرآنية الكريمة ..

وردّ العلماء على ذلك: بأن المقصود بالإعجاز العلمي غير ما فهموه، وعرف القائلون بالإعجاز العلمي بأن المقصود منه : هو إظهار صدق الرسول محمد – ρ – بما جاء به الوحي إليه من علم إلهي ثبت تحققه، ويعجز البشر عن نسبته إلى محمد –ρ – أو إلى أي مصدر بشري في عصره.[1]

والهدف منه التدليل على أن القرآن الكريم من عند الله ولا يمكن أن يكون من قول البشر.

ونحن مع هذا المفهوم الذي يحمل معنى التحدي والذي يوظف في الحقائق الثابتة التي لا يعلمها إلا أهل العلم والاختصاص.

ومن الرائع أن الإعجاز العلمي والتفسير العلمي يبرزان "ألفاظ القرآن الكريم" بمعنى أكثر شمولية واتساعاً، بالرغم من أنها ألفاظ محدودة المبنى، واسعة المعنى تحاكي كل عصر بما يناسب ظروفه.

ومن أهم العلماء الذين عملوا في مجال الإعجاز العلمي في هذا العصر: الدكتور زغلول النجار، العالم بعلوم الأرض، ورئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة الشريفة، والدكتور حميد مجول النعيمي، أستاذ الفيزياء الفلكية في معهد الفلك وعلوم الفضاء في جامعة آل البيت الأردنية، وآخرون.

ونحن سنستعين بآرائهم فيما يتعلق بالدلالات العلمية لإشارات الآيات الكونية في القرآن الكريم في المبحث الثاني.

وعلى ضوء ما تقدم، سوف نعرض أقوال المفسرين في الآيات الكونية وتطورها عبر عصور التفسير حتى يومنا الحاضر، ثم نستعرض ما قاله علماء المسلمين في الإشارات العلمية لهذه

---

[1]. (خالدي، 1992) ص260.

الآيات. وبعد ذلك نوضح استنتاجاتنا في كيفية تأثير التراكم العلمي على تفسير الآيات الكونية، دون الجمع أو المقارنة بين ما يقوله القرآن الكريم وما أتى به العلم، لأنه ليس محل دراستنا.

لقد تجاوزت الآيات الكونية في القرآن الكريم أكثر من ألف آية في شتى الموضوعات، ونحن سنتناول في بحثنا الآيات الشاملة للكون كله والتي تتحدث عن أصل مادة الكون ونشأته وتطوره ونهايته.

وهذه الآيات هي:

أولاً: الآية التي تشير إلى أن أصل مادة الكون ماء: وهي قوله تعالى:

[...وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...].[1]

ثانياً: الآيتان اللتان تشيران إلى نشأة الكون، وهما:

قوله تعالى: **[أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...]**[2]

وقوله تعالى: **[ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ...].**[3]

ثالثاً: الآية التي تشير إلى أن الكون في حالة تطور دائم، وهي قوله تعالى: **[وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ].**[4]

رابعاً: الآية التي تشير إلى نهاية الكون، وهي قوله تعالى: **[يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ].**[5]

---

[1] سورة هود، آية (7)

[2]. سورة الأنبياء ، آية 30

[3]. سورة فصلت ، آية 11

[4]. سورة الذاريات ، آية 47

[5]. سورة الأنبياء ، آية 104

المبحث الثاني: أقوال المفسرين في تفسير الآيات الكونية عبر عصور التفسير:

سوف نستعرض في هذا البحث ما قاله علماء التفسير في الآيات الكونية السابقة الذكر، لنرى مدى تأثير التراكمات العلمية والفلسفية على مناهج المفسرين في تناول هذه الآيات في كل عصر من عصور التفسير، حيث كان كل عصر يتميز بظروف تختلف عن غيره، كان لها الأُثر في تطور مناهج المفسرين في تفسير الآيات.

المطلب الأول:

أقوال المفسرين في قوله تعالى: **[...وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...]**. والتي تشير إلى أصل مادة الكون: وهو الماء.

وخير ما نبدأ به الحديث النبوي الشريف الذي فسر الآية : بأن الله – تعالى– كان في الأزل قبل كل شيء، ثم خلق الماء وجعل العرش فوقه، فروى البخاري في الصحيح :

"عن عمران بن حصين – رضي الله عنهما – قال: "دخلتُ على النبي – ρ – وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم، فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم. قالوا: قد بشرتنا، فأعطنا مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله. قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر، قال: كان الله، ولم يكن غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السماوات والأرض، فناد منادٍ: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت، فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني تركتها".[1]

فتفسير النبي –ρ – لهذه الآية من خلال الحديث الشريف، يحمل أصولاً كونية علمية مهمة:

---

[1] حديث صحيح /المرجع : (بخاري ،1998) كتاب بدء الخلق ،حديث 3191 ، ج2، ص 311

أولاً: أن الله ــ تعالى ــ وحده الأزلي، فلفظة "كان" تفيد الأزلية، ولفظة "يكُنْ" تفيد الحدوث وهذا ردٌ على الملاحدة والفلاسفة والوجوديين وغيرهم ممن قالوا بأزلية العالم.

وهو برهان على أن الله هو الخالق، فبما أنه الأزلي وكل ما بعده حادث، إذن هو المحدث للخلق، وهذا واضح في الحديث النبوي الشريف الذي يبين أن الله خلق الماء والعرش والكتاب والقلم... .

ثانياً: يبين الحديث : أن الكون ليس أول الخلق، بل سبقه خلق آخر، كالماء والعرش والقلم... .

وأجاب ابن عباس (رضي الله عنهما) عندما سئل عن قوله تعالى: **[وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ]** على أي شيء كان الماء؟

قال: على متن الريح .[1]

وأما سعيد بن جبير وعدد من مفسري التابعين، فقالوا في تفسير الآية: هذا بدء خلقه قبل خلق السماوات والأرض.[2]

نلاحظ هنا: أن الصحابة والتابعين لم يزيدوا في تفسيرهم على ما قاله النبي – ρ – من أن الكون سبقه خلق.

وفي عصر التدوين، نجد أن المفسرين تباينوا في تفسير الآية، فمنهم من قال بما قال به الصحابة والتابعون، مثل ابن كثير الذي قال: إن الآية تشير إلى أنه لم يكن من الخلق إلا الماء، وعليه العرش وعلى العرش الله.[3]

بينما القرطبي ظهر تأثره بالإسرائيليات، فبعد أن قال بما قاله الصحابة: من أن الله خلق العرش والماء قبل خلق السماوات والأرض، زاد ما نقله عن كعب الأحبار الذي كان يهودياً قبل إسلامه فقال: "إن الله خلق ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة، فصارت ماءً يرتعد من مخافة الله، فلذلك

---

[1]. طبري، محمد بن جرير (ت، 310هـ) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، ج1، دار سويدان، بيروت، 1967، ص39. وهو حديث صحيح على شرط الشيخان ولم يخرجاه./ المرجع: حاكم، أبي عبدالله محمد بن عبد الله النيسابوري، (ت: 405هـ) المستدرك على الصحيحين، بدون طبعة، مجلد 2، بدون دار نشر، بدون بلد نشر، (2002) كتاب التفسير، سورة هود، ص27.

[2]. طبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ) جامع البيان عن تأويل القرآن ، بدون طبعة، لجنة التراث الإسلامي، بيت المقدس، ج10، ص240.

[3]. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء الحافظ (ت: 774هـ) تفسير القرآن العظيم، بدون طبعة، دار الفكر، بيروت، 2002، ص653.

يرتعد الماء إلى الآن وإن كان ساكناً، ثم خلق الريح، فجعل الماء على متنها، ثم وضع العرش على الماء"[1] وقد تفرد كعب الأحبار بهذه الرواية.

فالمعلومة الغريبة فيما رواه كعب هو "خلق الماء من ياقوتة خضراء... إلى قوله: وإن كان ساكناً"،[2] فهذا لم يرد في التفاسير كلها باستثناء القرطبي.

وأما البيضاوي فيقول في تفسير الآية: أن الماء أول حادث، وكان على متن الريح، [3] والبيضاوي أيضاً لم يزد على ما قاله الصحابة، لكن التوسع الكبير الذي طرأ على تفسير هذه الآية هو ما قاله الطبري مسترشداً بالأثر الوارد في بدء الخلق:

> "حدثني محمد بن سهل بن عسكر قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال: حدثني عبد الصمد بن معقل، قال: سمعت وهب بن منبه يقول: إن العرش كان قبل أن يخلق الله السماوات والأرض على الماء، فلما أراد أن يخلق السماوات والأرض، قبض من صفاة الماء قبضة، ثم فتح القبضة، فارتفعت دخاناً، ثم قضاهن سبع سماوات في يومين، ودحا الأرض في يومين، وفرغ من الخلق في اليوم السابع".[4]

يشتمل هذا الحديث على معلومة مهمة لم يقل بها السابقون وهي: أن السماوات والأرض تشكلت من دخان صعد من الماء، وهذا يعني أن أصل الكون من الماء، الذي ارتفع منه دخان، تشكّل منه الكون وسنتحدث عن هذا الأمر بالتفصيل عندما نخلص إلى الاستنتاجات.

وفي عصر النهضة نجد تطوراً آخر في تفسير هذه الآية، ومن ذلك : ما فسره محمد رشيد رضا في قوله تعالى: **[..وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء ...]** من أنّ العرش هو: السرير، واعتبر هذا العرش مركز نظام الملك، ومصدر التدبير له، وأن وجود العرش على الماء ليس كوجود السفن على ظهر

---

[1]. قرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري (ت: 756هـ) الجامع لأحكام القرآن الكريم، ط1، ج9، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1986، ص8.

[2]. لم أعثر له على تخريج في كتب الحديث، باستثناء ما ذكره القرطبي في تفسيره.

[3]. بيضاوي، ناصر الدين عبد الصمد بن عمر (ت: 685هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط 1، دار البيان العربي، مصر، 2002، ص450.

[4] (طبري، 1967) ج1، ص39، والأثر رجاله ثقات روى عنهم البخاري ومسلم. /المرجع: حاكم، أبو عبد الله محمد بن عبدالله (ت: 405هـ) المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم وتبيين ما أشكل من أسماء الرجال في الصحيحين، تحقيق: د: إبراهيم بن علي بن محمد آل كليب، بدون طبعة، ج1+ج2، مكتبة العبيكان، الرياض، (2002) ، ص ص521،548.

الماء، ومع ذلك فقد ذكر أمراً مهماً في تفسير الآية، وهو: أن الماء هو مادة الخلق، وجعله أصلاً لجميع الأحياء.[1]

فهو في ذلك يعتقد أن الماء أصل الخليقة كلها بشكل عام، ثم يخصص خلق الأحياء المعروفة لنا منه.

ولنا وقفة في هذا الأمر فيما بعد.

ويقول سيد قطب: **[وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء]** أي أنه عندما خلق الله السماوات والأرض، وإبرزهما إلى الوجود في شكلهما الذي انتهيا إليه، كان هناك الماء، وكان عرشه – تعالى– عليه.[2]

وهو لم يحدد أيهما سبق في الخلق الماء أم العرش؟ ولكن ليس هذا المهم، بل المهم أنه أكد وجود خلق قبل السماوات والأرض، دون أن يخوض في أي تفاصيل حول وجود هذا الخلق، واعتبره أمراً غيبياً لا يجوز الخوض فيه.

والشيخ الشعراوي توقف في تفسير هذه الآية عند ظاهرها، واعتبر ما فيها أمورا غيبية، وأن الذي أخبر بها هو الصادق.[3]

فقطب والشعراوي اتفقا على وجود غيبيات فيما تحمله هذه الآية من معلومات، ونحن إذ نؤيدهما في بعض ما ذهبوا إليه كعدم الخوص في كيفية العرش، وكيفية وجوده فوق الماء، غير أننا نؤيد أن الآية تتحدث عن مبدأ الخلق قبل الكون.

بعد هذا الاستعراض لتفسير هذه الآية عبر عصور التفسير المختلفة، نلحظ أن هناك اتفاقاً جوهرياً بين كافة المفسرين في أن مبدأ الخلق لم يكن الكون، بل مخلوقات أخرى: كالماء والعرش والقلم... ثم ظهر لنا بوضوح أثر الإسرائيليات في المنهج.

لقد أثارت هذه الآية اهتماماً كبيراً لدي؛ حيث لفتت انتباهي إلى معانٍ جديدة، بناء على المعطيات التفسيرية السابقة، الأمر الذي أدى إلى استنتاجات هامّة، وقد يكون الآخرون تطرقوا لها بالإشارة المختصرة، أو أنهم لم يتطرقوا لها البتة، وتتضمن هذه الاستنتاجات ما يلي:

أولاً: إن الماء هو أصل مادة الكون، ودلائل ذلك:

أ– ما روى أبو هريرة أنه قال: "يا نبي الله، إذا رأيتك قرّت عيني، وطابت نفسي، فأخبرني عن كل شيء، قال: كل شيء خلق من ماء".[1]

---

[1] رضا، محمد رشيد (1999) تفسير القرآن الحكيم، (المنار) ط1، ج12، دار الكتب العلمية، بيروت، ص15.

[2] (قطب، 2002)، ج12، ص1858.

[3]. شعراوي، محمد متولي (1991) تفسير الشعراوي، ط 1، مجمع البحوث الإسلامية، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، الأزهر، مصر، ص6326.

ولفظة "كل شيء" تعني كل موجود دون تخصيص، ولعل – والله العليم– قوله تعالى: **[وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ]**[2] تحمل نفس المعنى إذا اعتبرنا أن كل ما في الوجود له حياة.

فبما أننا لم نؤت علم كل شيء، فما المانع أن يكون كل مخلوق هو حي، لكن بشكل لا نعلمه.

فإن قيل إن هذا مخالف لما جاء به العلم الذي اعتبر شروط الحياة للكائن: هي العمليات الحيوية، كالتكاثر، والتنفس والتغذية...،

نجيب :إن ما جاء به العلم من معلومات هو من نتاج العقل البشري الذي يتصف بالنقص، والعلم يأخذ بما يخضع للتجربة فقط، ولا يعترف بما هو خارج التجربة، ومثال ذلك: عدم اعترافه بالروح لعدم قدرته على إخضاعها للتجربة، بينما القرآن الكريم أخبر عن وجودها.

وهذا يعني عدم اعتراف العلم بكثير من الغيبيات التي ذكرها القرآن الكريم؛ لأنها خارج قدرة العقل، وهنا يقع التعارض بين العلم والدين، وفي هذه الحالة نأخذ بما جاء به القرآن الكريم ونترك غيره.

وحياة الكون كله ــ حتى اللحظة ــ لم يعرف العلم منها إلا حياة الإنسان والحيوان والنبات.

وهذا لا يعني أن الحياة هي صفة بهذه المخلوقات فقط؛ بل صفة عامة لكل الخلق، وهذا ما ورد في صريح الآية السابقة التي عممت معنى الحياة لكل الوجود، ولم تخصصه، ومما يؤيده قوله تعالى: **[وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ]**،[3] وهذا دليل واضح على أن كل مخلوق له حياة، بصفات لا نعلمها، بدليل تسبيحها لربها، والآية تؤكد تسبيح الخلق كله لله ــتعالى ــ على الحقيقة لا المجاز، بطريقة لا يعلمها إلا هو سبحانه.

ثم إن سنة الله في المخلوقات كلها أن يكون لها بداية ونهاية، وجعل هذه البدايات والنهايات للمخلوقات مختلفة من مخلوق لآخر في الكم والكيف، فمثلاً: الإنسان له نهاية تكون بخروج الروح من الجسد، وهذا أمر مختلف عن النهاية عند النبات، الذي يموت بأسباب أخرى لكونه ليس له روح.

وعدد سنين حياة الإنسان تختلف عنها عند الحيوان، والنبات، إذن ما المانع أن تكون بداية ونهاية كل مخلوق ــ آخر ــ غير الإنسان والحيوان والنبات بشكل مختلف لا نعرف ماهيته؟ وما المانع أن تكون الفترة بين البداية والنهاية هي مدة الحياة له؟ خاصة وأن العلم نفسه قال: إن النجوم لها ولادة وموت، وتعيش بينهما فترة حياة طويلة الأمد.

---

[1]. (ابن حنبل ، (1995) مسند أبي هريرة، حديث رقم 7919 ، ص53.

[2]. سورة الأنبياء، آية 30

[3]. سورة الإسراء، آية 44

وعليه إن كان ما قلناه مقبولاً في شأن حياة الكون، فهذا يعني: أن أصل مادة الكون هي الماء، بدليل تواجد الماء بنسب مختلفة في كل كائن، ومنها الصخور والحجارة التي يوجد نسبة من الماء في بنائها، والله العليم.

وقد رجح الباحث حسين العمري مقولة: أن مادة الكون هي الماء.[1]

ب- الأثر الذي أخرجه الطبري في تاريخه، وقد مرّ ذكره "... ثم قبض من صفاة الماء قبضة، ثم فتح القبضة فارتفع دخاناً، ثم قضاهن سبع سماوات...".

والشاهد في هذا الأثر: أن الدخان من الماء، والكون قد تشكل من الدخان، كما سيأتي معنا، وهذا يعني أن الماء هو مادة الخلق، حيث خلق الله الماء وخلق منه الدخان، ثم تشكل الكون من الدخان المتكاثف... وسنبين ذلك فيما بعد.

وفيما روي عن ابن عباس تفسيره لقوله تعالى: **[ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ...]**[2] أنه قال:

> "إن الله ــ تبارك وتعالى ــ كان عرشه على الماء، ولم يخلق شيئا غير ما خلق من قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما فسماه سماء، ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين، فخلق الأرض على حوت، والحوت هو النون الذي ذكره الله في القرآن، والحوت في الماء، فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسي عليها الجبال، فالجبال تفخر (تعلو) على الأرض. "[3]

والقول واضح فيه أن الكون أصل مادته الماء.

---

[1]. عمري، حسين يوسف (2004) خلق الكون بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية، (بحث علمي رقم 19/14) الكرك، ص5.

[2]. سورة البقرة، آية 293.

[3]. بيهقي ،أحمد بن الحسين بن علي(458 هـ) الأسماء والصفات، بدون طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت باب بدء الخلق ، ص 379

وقال الألباني إسناده جيد ،وهم: (عبد الله بن عباس وابن مسعود ، وغيرهم من صحابة الرسول (ρ)) / المرجع : ذهبي ، ش ، م، (1401 هـ) مختصر العلو للعلي الغفار ، محمد ناصر الدين الألباني (المحدث) ط1 ، المكتب الإسلامي ، بدون بلد نشر ، ص 54

ثانياً: الاستنتاج الثاني هو: أن الزمان والمكان وجدا قبل خلق الكون، وسيبقيا بعد نهاية الكون بدليل:

أ- قوله تعالى: **[وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ]** فلفظة "على" تفيد ظرف المكان، بمعنى فوق، وهذا يعني أن العرش موجود في مكان فوق الماء، ولكن بدون تحديد لكيفية التواجد.

ب- قول ابن عباس: "أن الماء على متن الريح" وهذا القول يفيد أن الماء تواجد في مكان ما على الريح.

ج- قوله (ρ): "لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي"[1]. فهذا الحديث يدل على وجود المكان والزمان قبل خلق الكون، فكلمة "فوق" ظرف مكان تدل على أن الله جعل الكتاب في مكان ما فوق العرش.

أما الزمان: فالكلمات "قضى" و"كتب" و"غلبت" كلها أفعال حدثت في زمن ما، والعلم نفسه يقول لا بدّ لكل فعل من زمان ومكان لحدوثه، وهذا يؤكد وجود الزمان والمكان قبل خلق الكون، فأفعال الله هذه كانت قبل الخلق للكون.

د- وقوله (ρ) : "إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء".[2]

فلفظة "قبل" تفيد الزمان وقوله: "خمسين ألف سنة" واضح التعبير فيه عن الزمن، وهذه العبارة تدل أيضاً على أن الزمن كان موجوداً بالتتالي وليس بكلمة كن فيكون.

والزمان والمكان لن ينتهيا بانتهاء الكون بدليل وجود الجنة والنار وهما أمكنة، فالخلود فيهما هو زمان، مع اختلاف المعايير لتلك الأزمنة والأمكنة عما نعرف.

ثالثاً: إن الكون كله "حي" ولكن بكيفية لا نعلمها، وليست الحياة مقتصرة على الإنسان والحيوان والنبات، وذلك للدلائل التي ذكرناها عندما تحدثنا عن كون الماء أصل مادة الكون، مع إضافة الدليل من قوله تعالى: **[ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ]**.[3]

---

[1]. حديث صحيح/ المرجع: (بخاري ، (1998) كتاب بدء الخلق ، حديث 3194 ، 312

[2]. مسلم ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ) صحيح مسلم ، طبعة منقحة ، مجلد واحد ، دار ابن الهيثم ، القاهرة (2001) كتاب القدر حديث 2653، ص 674

[3]. سورة فصلت ، آية 11

فالتزام السماوات والأرض بأمر الله بالقول أنهما ستأتيا طائعتين، لدليل على أنهما في حالة حياة وتعيا تماماً ما تؤمران به، وإن كنا لا ندرك ماهية هذه الحياة فهذا لا يعني عدم وجودها.
والقرآن الكريم والسنة المشرفة يحتويان على كثير من الدلائل الأخرى تثبت حياة الكون، ووجود الزمان والمكان قبل خلق الكون وأنهما لن ينتهيا بعد انتهاء الكون.

المطلب الثاني:

أقوال المفسرين في قوله تعالى: **[أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا..]**،[1] وهذه الآية فيها إشارة إلى نشأة الكون.
وقوله تعالى: **[ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ...]**[2] وتشير الآية إلى تشكل الكون من الدخان.

بعد عرض أقوال المفسرين في الآية التي تشير إلى أصل مادة الكون، نتحول الآن إلى التعرف على ولادة الكون من خلال الآية التي تشير إلى ذلك، وإلى التعرف على كيفية تشكله من الدخان.

يقول ابن عباس في تفسير قوله تعالى: **[أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...]**. أن السماوات كانت رتقاً (أي ملتصقا بعضها ببعض) فلا تمطر، والأرض رتقا لا تنبت، فلما خلق للأرض أهلاً فتق هذه بالمطر، وفتق الأرض بالنبات.[3]
ويفهم من تفسير ابن عباس: أن السماوات والأرض لم تكونا ملتصقتين (أي ليستا كتلة واحدة) بل كانتا منفصلتين عن بعضها بعضا، وأن الرتق كان يخص كل منهما على حدة، بمعنى أن السماوات كانت رتقاً لوحدها وتم فتقها بالمطر، والأرض كانت رتقاً أيضاً لوحدها وفتقها كان بالنبات.
وكان دليل ابن عباس هو نهاية الآية : **[وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيءٍ حَيّ]** أي أن نزول الماء من السماء إلى الأرض أدى إلى خروج النبات منها.

---

[1]. سورة الأنبياء، آية 30
[2]. سورة فصّلت، آية 11
[3]. (ابن كثير،(2002) ص1213.

أمّا سعيد بن جبير فقد توسع في تفسير الآية فقال: إن السماوات والأرض كانتا (رتقاً) أي ملتصقتين، ثم فتقهما الله بفصلهما عن بعضهما، فرفع السماء، وأبرز الأرض منها.[1]

وجاء هذا التوسع نتيجة زيادة الوعي لدى الناس، بعد تثبيت العقيدة في النفوس، فأخذ المفسرون يتطرقون إلى تفصيلات أكثر في تفسير الآيات، بعد التأكد من أن الناس لن ينشغلوا بهذه التفصيلات عن الهدف الأساسي للآية وهو إبراز عظمة قدرة الله في الخلق.

ولما جاء عصر التدوين، أعمل المفسرون عقولهم في فهم الآية وتفسيرها.

فابن كثير فسرها بالقول: "إن السماوات والأرض كانتا رتقاً: أي الجميع متصل بعضه ببعض، ومتراكم بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر، ففتق الله هذه من هذه، فجعل السماوات سبعاً، والأرض سبعاً وفصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء، فأمطرت السماء، وأنبتت الأرض".[2]

فابن كثير انتهى بما ابتدأ به ابن عباس وزاد عليه وعلى ابن جبير بأن وضح شكل الرتق الذي كان بين السماوات والأرض، فقال: إن السماوات والأرض كان بينهما رتق عام، ثم فتقه الله بفصلهما عن بعضهما، وفي كل منهما رتق خاص فتقه الله بالمطر للسماء والإنبات للأرض، وتوسع أكثر عندما فصّل بناء الكون بعد الفتق العام، فجعل الله السماوات سبعاً ثم فصل بين السماء الدنيا والأرض بالهواء.

أما البيضاوي من نفس العصر فقال: إن السماوات والأرض كانتا مرتوقتين، أي مضومتين وملتحمتين فكانتا شيئاً واحداً وحقيقة واحدة متحدة، "ففتقهما" الله بالتنويع والتمييز، ثم انفتقت السماوات بالتحريكات المختلفة حتى صارت أفلاكاً، ومنها الأرض التي تنوعت أقاليمها وأحوالها وطبقاتها، ثم فتق السماء بالمطر والأرض بالنبات.[3]

ويتضح جلياً مدى التطور الكبير الذي دخل على تفسير الآية عند البيضاوي، ومدى تأثره بالعلوم السائدة في عصره، فأدخل ألفاظاً تعبيرية جديدة على تفسير الآية، تعطي معانٍ أكثر تفصيلاً.

وفي عصر النهضة نجد أن تفسير الآية دخل طوراً آخر من التوسع والتفصيل، بسبب تأثير التراكم العلمي في مناهج المفسرين.

فطنطاوي جوهري فسر الآية بقوله: إن السماوات والأرض كانتا ملتحمتين ومتصلتين، ففصلهما الله وأزال اتحادهما، واسترشد بالعلوم كدليل، فقال: إن الشمس كانت أشبه بالنار فانفصلت الأرض

---

[1]. (ابن كثير، (2002) ص193.

[2]. (ابن كثير، (2002) ص1212.

[3]. (بيضاوي، (2002) ج2، ص69.

عنها، وكذلك كل الأجرام بسبب سرعة جريان الشمس حول نفسها، وأن السماوات بما فيها من أفلاك انفصلت عن العالم الأرضي الذي أخذ شكله النهائي بعد الانفصال.[1]

وقد برز بوضوح تأثر الجوهري بالعلوم الحديثة في منهجه في التفسير، فاستخدم العلم ليفصل عملية الرتق والفتق.

وأما محمد أبو زهرة، فيضيف تفصيلاً آخر على تفسير الآية فيقول: إن السماوات والأرض كانتا شيئاً واحداً كالدخان، وهو يذكر هنا الماهية التي كان عليها الكون قبل التشكل، ثم ذكر صفة هذا الدخان بقوله: إنه لم يكن دخاناً كالذي نعرفه، والذي نتج عن استعمال النار من الحطب أو نحوه من حطام، واستدل بما قاله العلم في شأن هذا الدخان الذي يُسمّى (بالسديم)، [2] ويظهر بوضوح تأثر أبو زهرة بالعلم في منهجه في التفسير.

وأما سيد قطب، فقد اكتفى بالتفسير الشرعي، فقال: نستيقن بحقيقة أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما، لأنها حقيقة قرآنية، لكن لا نعرف كيف كان الفتق بين السماوات والأرض.[3]

من خلال عرض أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية، لاحظنا مدى التطور الذي طرأ على مناهج العديد منهم في تفسيرها، وذلك بسبب تأثير التراكم العلمي حول الكون، مما دفع المفسرين إلى الاستدلال بالعلوم، خاصة أن الناس أصبحوا أكثر وعياً وإدراكاً لما يقال لهم.

وقد يأتي زمن آخر، يتوسع المفسرون أكثر في معاني هذه الآية وفقاً لظروف ذلك الزمن.

بعد التعرف على الآية التي تتحدث عن نشأة الكون، نأتي الآن للوقوف على أقوال المفسرين في تفسير قوله تعالى :[**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ...]** والتي تشير إلى تشكل الكون بعد الانفصال من الدخان.

يقول ابن عباس في تفسر الآية: إن الله ارتفع إلى السماء وهي دخان الذي تكوّن من بخار الماء، فأمرها الله بإخراج ما فيها ممّا خلق من المنافع، فأجابتا بالطوع.

ووضح مفسرو التابعين أن هذا الدخان: هو بخار الماء الذي صعد من الأرض بعد تشكلها.[4]

---

[1]. جوهري، طنطاوي (1347هـ) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، ط 1، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ص ص189، 190 بتصرف.

[2]. (ابو زهرة، بدون سنة نشر) ج6، ص ص2375، 2376 بتصرف.

[3]. (قطب، (2002) ج18، ص ص2375، 2376.

[4]. ابن كثير، ع (1998) تفسير القرآن الكريم العظيم، تقديم: عبد القادر الأرناؤوط، ط 2، مكتبة دار السلام، الرياض، ص103.

وفي عصر التدوين كان هناك تفصيلاً أكثر عند بعض المفسرين، فقال ابن كثير: "إن الدخان هو من تنفس الماء حين تنفس بعد خلقه، فجعل منه سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سماوات، ثم جمع إليها خلق الأرض."[1]

وهذا ذهاب من ابن كثير إلى أن أصل الكون ماء.

وفي تفصيل آخر ذكر البيضاوي صفة الدخان، فقال: إن الله قصد نحو السماء وهي دخان ظلمائي، فخلق منها السماوات والأرض.[2]

وفي عصر النهضة برز تطورٌ كبير في تفسير الآية، فقال جوهري: إن الله قصد إلى السماء، وهي مادة غازية نارية أشبه بالدخان أو السحاب المنتشر، فتكونت منها العوالم كلها من شمس وقمر ونجوم وأرضين...، وذلك بسبب سرعة دوران هذه السحابة حول نفسها، مما أدى إلى انفصال أجزاؤها عن بعضها البعض وتكون الخلق.[3]

فهذه التفصيلات في التفسير هي من نتيجة تراكم علوم الكون في هذا العصر.

ويؤكد سيد قطب في تفسير الآية ما قاله جوهري من استدلال بالعلم، فقال: إن الله توجهت إرادته إلى خلق السماوات من الدخان، واسترشد بما قاله "أحمد زكي" في كتابه "مع الله في السماء" : "إن نظرية الخلق تقول: إن المجرات كانت غازا وغبارا، تكونت بتكثفهما النجوم".[4]

---

[1]. (ابن كثير، (1998) ص103

[2] (بيضاوي، (2002) ج2، ص350.

[3]. (جوهري، (1347) ج19، ص90.

[4]. (قطب، (2002) ج5، ص3114 بتصرف

بعد هذا العرض لما قاله المفسرون في هاتين الآيتين يتضح لنا كيف أن مناهج التفسير كانت تتأثر بالتراكم العلمي، مما يحمل المفسرين على التوسع في تفسير الآيات باستدلالهم بالعلوم لإثبات بلاغة ألفاظ القرآن الكريم وصلاحها لكل زمان.

وملخص ما جاء في الآيتيأن الله – تعالى – نشر الدخان المكثف من خلال فتق (الرتق للجرم)، وبعد انتشار الدخان، تشكلت سحابة دخانية عظيمة تشكل منها الكون

وعلى ذلك فالمعادلة التي تتحدث عن مادة الكون ونشأته وتشكله، المستنتجة من أقوال المفسرين هي:

أصل مادة الخلق ماء ← (نتج عنه) **دخان** ← (تحول إلى) **كتلة واحدة متكاثفة (رتقا)** ← (انفصل عن بعضه) **، لينتشر** ← (دار بسرعة ائت) **إلى تشكل الكون.**

المطلب الثالث:

أقوال المفسرين في قوله تعالى **:[وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ]**[1]وتشير الآية إلى تطور الكون وتوسّعه.

تحمل هذه الآية لفظة تشير بوضوح إلى أن الكون غير مستقر، وهو في حالة توسع دائم، وهذه الكلمة هي "لموسعون"، فماذا قال المفسرون فيها؟

قال ابن عباس: "إنا لموسعين" : أي قادرون على أكثر من ذلك، وقد وسعنا أرجاءها (السماء) ورفعناها بغير عمد كما هي، والمقصود: أي قادرون وبوسعنا فعل كل شيء مهما عظم، وهو لإثبات طلاقة قدرته سبحانه، ولابن عباس قولٌ آخر في تفسير الكلمة تفيد أن الله لموسع الرزق على الخلق[2]بالمطر للامتنان على البعاد، بدليل قوله تعالى **:[وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ]**[3] فيتناسب إتمامها بـــ"لموسعون" للمبالغة في المنّ.

وقوله: وسعنا أرجاءها، أي لجاعلون بينها وبين الأرض سعة مكانية.[4]

وابن عباس ذكر في تفسيره عدة معان: منها ما هو فلكي للتذكير بعظمة قدرة الله، ومنها ما يختص بنعم الله على خلقه للامتنان عليهم وبيان سعة رحمته.

---

[1]. سورة الذاريات، آية 47

[2]. (ابن كثير، (1998) ص303

[3]. سورة الذاريات، آية 22

[4]. ألوسي، أبو الثناء محمود (ت: 1270هـ) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم العظيم والسبع المثاني، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985، ص17.

وذهب التابعون في تفسير الآية مذهب ابن عباس في إبراز عظمة قدرة الله في الكون، فقالوا: "إن الله ذو قدرة في خلق السماء، وما الأرض وما يحيط بها من هواء وماء بالنسبة للسماء إلا كحلقة في فلاة."[1]

وبعيد عصر التدوين نجد أن بعض المفسرين ذهبوا إلى أبعد من سابقيهم، فابن كثير قال في معنى "لموسعون": أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي.[2]

وهذا التفسير هو نفس الذي قاله ابن عباس في واحد من تفسيراته للآية، إلا أن ابن كثير كان له قصد فلكي وهو القول: أن الله خلق الكون ولم يبقه على حاله، بل جعله متطوراً وواسعاً، لكنه تحدث عن التوسعة بصيغة الماضي، على اعتبار أنها تمت.

وقد يكون هذا تجميد للآية التي تدل لفظة "لموسعون" فيها على أن التوسع كان ولا زال وسيبقى إلى ما شاء الله.

وأما الطبري ففسر "لموسعون" أي لذو سعة (قوة وقدرة) بخلقها وخلق ما شئنا أن نخلقه، واستدل بقوله تعالى: **[عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ]**.[3]، أي كل حسب طاقته وقدرته.[4]

فالطبري لم يتعرض لأي معنى فلكي، بل أعطى الآية معنى يبرز فيه قدرة الله تعالى في الخلق.

وعليه، لم يطرأ تطور في تفسير هذه الآية في هذا العصر إلا عند ابن كثير كما أوضحنا، ولكن ليس بتمام المعنى كما أشرنا إلى ذلك.

والملفت للانتباه أن الفلسفة التي كان لها تأثير في ذلك العصر، لم تؤثر في مناهج المفسرين في تفسير هذه الآية، وخاصة أن الفكرة الفلسفية حول الكون تقول: أنه ثابت ومستقر.

وابن كثير في تفسيره خالف هذا المفهوم تماماً، ولو كان بدون قصد.

وفي عصر النهضة عصر المعلومات، لم يطرأ تفسير معرفي على الآية، فنجد جوهري يقول: "لموسعون"، أي موسعون ما بين السماء والأرض (أي توسعة مكانية) والغريب : أن طنطاوي اعتمد في تفسير الآية على من قبله بالرغم من ولعه بالتفسير العلمي، فهو لم يستدل بأي من العلوم في تطوير المعنى، وقد يكون السبب أن العلم لم يقل كلمته الأخيرة بشأن عدم ثبات الكون.[5]

وسيد قطب فسر الآية بما يدل على عظمة قدرة الخالق في خلق الأشياء بأحجام متفاوتة، فقال: "إنا لموسعون" : أي أن النجوم ذات الأحجام الهائلة لا تعدو أن تكون ذرات متناثرة في الفضاء

---

[1]. (صابوني، (1984) ص565.

[2]. (ابن كثير، (1998) ص1255

[3]. سورة البقرة، آية 236

[4]. (طبري، بدون سنة نشر) ص6 بتصرف.

[5]. (جوهري،(1347هـ) ج23، ص119

الرحيب، وله تفسير آخر مغاير تماماً يدل على سعة السماء المكانية وهو: أن مخازن الأرزاق الواسعة قيل إنها موجودة في السماء.[1]

هذا ملخص أقوال المفسرين في تفسير "إنا لموسعون" ولم تضف المعرفة العلمية أي معانٍ جديدة للآية، مع العلم أن هذه الآية في زمننا هذا يستدل بها بكثرة على نظرية توسع الكون، ولعل السبب كما أسلفنا هو أن العلم لم يقل كلمته الأخيرة في شأن توسع الكون فيما مضى.

المطلب الرابع:

أقوال المفسرين في قوله تعالى: **[يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ].**[2] وتشير الآية إلى نهاية الكون.

تعتبر هذه الآية من الآيات الجامعة، التي تتحدث عن نهاية الكون، وإعادة خلقه.

ونحن نرى– والله العليم – أنها نهاية تبديل للكون، لا نهاية فناء، وسنتبين ذلك من خلال أقوال المفسرين في هذه الآية.

يرى ابن عباس أن المقصود بقوله تعالى: **[يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ ...]** هو أن الله – تعالى– يطوي السماوات كما تطوى الصحيفة، وهو طي يشمل السماوات والأرض وما فيها من خليقة، واستدل بقوله تعالى: **[وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ]**،[3] أي مضمومات ومجموعات بقدرته دون تكييف لهذا الجمع والطي.

أما معنى "السجل"،فيما روي عن ابن عباس فيها عدة معانٍ منها: أنها اسم لصحابي كان يكتب للنبي (ρ) الوحي، وقد أنكر الطبري هذه الرواية؛ لأن أصحاب النبي – ρ – كلهم معروفون، ولم يعرف بينهم من يحمل هذا الاسم،[4] ومنها: أن السجل هو الملك الموكل بطي كتب بني آدم إذا رفعت إليه، وهو موجود في السماء الثالثة، وإليه ترفع أعمال العباد ــ بواسطة الحفظة الموكلين بالخلق ــ كل خميس واثنين.[5]

ومنها: أن السجل هو الصحيفة.

---

[1]. (قطب، (2004) ج6، ص3385 بتصرف يسير.

[2]. سورة الأنبياء، آية 104

[3]. سورة الزمر، أية 67

[4]. (ابن كثير، (1998) ص347

[5]. (قرطبي، (1986) ج11، ص347

وخلاصة تفسير ابن عباس: أن الله سيضمّ السماوات والأرض بما فيهما وما بينها إلى بعضهما البعض، ليصبح الكون كله كالصحيفة المطوية المضمومة إلى بعضها، وهذا يعني النهاية للكون وإعلان يوم القيامة، وكل ذلك في وقت لا يعمله إلا الله.

ولم يزد التابعون في تفسيرهم لهذه الآية على ما جاء به ابن عباس.

وفيما بعد، كان هناك بعض التفصيل في منهج بعض المفسرين، ومنه: ما قاله القرطبي في وصف ذلك الطي للكون، فذكر الطي هو: الإخفاء والتعمية والمحو لمعالم السماء وشكلها، فتطمس نجومها وتتساقط وتتناثر عن مواقعها.[1]

فالقرطبي يصف شكل الطي بناء على وصف الآيات الكونية لأهوال القيامة.

وفي عصر النهضة، بقي تفسير الآية كما فسره السابقون دون إضافات أو تأثير معرفي، فنرى أن أبي زهرة يقول: إن السماء بكواكبها ونجومها تطوى (تضم) مما يؤدي إلى تناثرها.[2]

وشبه سيد قطب الطي بطي خازن الصحائف صحائفه، وعند هذا الطي يكون قضي الأمر، وطوي الكون الذي كان يألفه الإنسان، وإذا بعالم جديد وكون جديد.[3]

وقطب هنا يقول: بنهاية تبديل للكون لا نهاية فناء.

وخلاصة أقوال المفسرين في هذه الآية هو: حتمية نهاية الكون بإعادة تجميعه وضمّ بعضه إلى بعض.

ولكن: هل هذه النهاية للكون هي نهاية تبديل، أم نهاية فناء؟

والإجابة تكمن فيما قاله المفسرون في الجزء الثاني من الآية السابقة وهو قوله تعالى:

[كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ].

فيقول ابن عباس: أن الإعادة تكون عندما يطوي الله السماء فيعيدها إلى الهلاك والفناء فلا تكن شيئاً.[4]

وفي تفسير آخر له: أن الإعادة تعني: إعادة الخلق عراة حفاة غرلاً [5] كما بدأ خلقهم أول مرة في بطون أمهاتهم، واستدل بقوله (ρ): "إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً، كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين، ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم...."[1].

---

[1]. (قرطبي، (1986) ج11، ص347

[2]. (أبو زهرة، بدون سنة نشر) ج9، ص4925

[3]. (قطب، (2004) ج3، ص2399.

[4]. (قرطبي، (1986) ج11، ص348

[5]. غُرْلاً: بدون ختان./ المرجع: (بخاري، 1998) ج3، كتاب تفسير القرآن الكريم، ص228 في المتن.

وابن عباس في تفسيره الأول: تحدث عن إعادة الكون لما كان عليه بشكل عام، وفي التفسير الثاني: خصص الإنسان بكيفية عودته بعد الموت.

وذهب التابعون إلى ما قاله ابن عباس دون أي تفصيلات أو زيادات.

وفي عصر التدوين كانت التفاسير متباينة، فالرازي في "مفاتيح الغيب" يذكر معنى قوله تعالى: **[كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ]:** أن الله يعدم الأجسام بالكلية ثم يعيد إيجادها بعينها مرة أخرى لأن الله شبه الإعادة بالابتداء، وبما أن الابتداء لم يكن تركيباً لأجزاء متفرقة؛ بل الوجود بعد العدم، وجب أن يكون الحال في الإعادة كذلك.[2]

والرازي لم يبين ما المقصود بالأجسام، هل هي كل ما في الكون من أجسام؟ أم أنها الأجسام البشرية؟

وهنا نرى أنه يرجح نهاية الفناء التام، ثم الإعادة للأجسام لما كانت عليه عند بداية خلقها الأول دون تغيير أو تبديل في الشكل، وهذا يشير إلى دورة كونية جديدة.

والطبري له نفس رأي الرازي من أن الإعادة هي إعادة فناء، فيقول: نعيد الخلق كما كنّا، ولا شيء غيرنا قبل أن نخلق شيئاً، كذلك نهلك الأشياء، فنعيدها فانية حتى لا يكون شيء سوانا.[3]

ولكن دون أن يذكر الطبري، هل هناك دورة كونية جديدة أم لا؟

أما القرطبي، فله رأي آخر فيقول: أن الله يفني السماء، ثم يعيدها مرة أخرى بعد طيها وزوالها،[4]بدليل قوله تعالى: **[يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ...]**[5]

ويظهر لنا بوضوح: أن القرطبي يرى النهاية نهاية تبديل من خلال دورة كونية جديدة بعد إعادة تجميع الكون إلى نقطة الرتق، ثم فتقه مرة أخرى لينشأ عنه كوناً آخر مغاير للكون الأول.

وقد أكد هذه الفكرة مفسروا عصر النهضة، فيقول أبو زهرة في ذلك: أن الله يطوي السماء ويزلزل الأرض لتغيير الكون، وذلك بالإنشاء ثم الإزالة، ثم الإعادة كشأن الله دائماً في بدء الخلق ثم إعادته.[6]

ولكن سيد قطب اختصر تفسير الآية بالتأكيد على ضرورة النهاية للكون كَسُنَّة من سنن الله في خلقه[1] دون أن يبين نوع هذه النهاية، هل تبديل أم فناء؟

---

[1].حديث صحيح (بخاري، (1998) ج3، حديث (4740) كتاب تفسير القرآن الكريم، تفسير سورة الأنبياء، ص228.

[2]. رازي، محمد بن عمر بن حسن فخر الدين (ت: 606هـ) مفاتيح الغيب، تقديم: محيي الدين الميس، ط 1، ج11 المكتبة التجارية، بيروت، 1995م، ص ص229، 230 بتصرف.

[3]. (طبري، بدون سنة نشر) ص11

[4]. (قرطبي، (1986) ج11، ص348.

[5]. سورة إبراهيم، آية 48

[6]. (أبو زهرة، بدون سنة نشر) ج9، ص4925 بتصرف.

بعد هذا العرض لأقوال المفسرين في آية البدء والإعادة، نجد أن الأكثرية تتبنى فكرة أن النهاية هي نهاية تبديل لا فناء، ونحن مع هذا الرأي، بدليل قوله تعالى: **[يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ...]**.

فبعد أن يعود الكون إلى نقطة البداية تكون الساعة قد قامت، فيموت الخلق ليعاد إحياؤهم في كون آخر اختلفت فيه المقاييس الزمانية والمكانية. والله أعلم بالصواب.

مع تسليمنا بحتمية نهاية الكون، فمتى تكون هذه النهاية؟

لقد أجاب الله – تعالى– على هذه السؤال بكل وضوح عندما قال في كتابه العزيز:

[يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ].[2]

فزمن النهاية أمر موقوف على الله تعالى، لكنه أخبرنا بمقدمات تدل على هذه النهاية، وهي علامات الساعة الكبرى، التي تبدأ بطلوع الشمس من المغرب بدلاً من المشرق، ودليل ذلك قوله(ρ) فيما روي عن أبي ذر قال:

"قال النبي – ρ– لأبي ذر حين غربت الشمس: "تدري أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: **[وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ]** ".[3]

---

[1]. (قطب، (2004) ج18، ص2399 بتصرف.

[2]. سورة الأعراف، آية 187

[3]. حديث صحيح ./ المرجع : (بخاري، (1998) ج2، كتاب بدء الخلق، حديث رقم (3199) ص314.

فالحديث فيه إشارة واضحة إلى أن أول علامات نهاية الكون هو طلوع الشمس من المغرب، ولكن دون معرفة اللحظة الحاسمة التي تبدأ فيها النهاية، لأن ذلك أمر لا يعلمه إلا الله.

وبذلك نكون قد انتهينا من عرض أقوال المفسرين في الآيات الكونية الجامعة لأصل مادة الكون ونشأته وتطوره ونهايته، ورأينا كيف كان للتراكم المعرفي العلمي تأثيراً في مناهج المفسرين في تفسير الآيات، واتضح لنا كيف يؤدي دخول الفلسفة ــ المفتقدة إلى الدليل ــ إلى الفكر إلى إفساده، بينما دخول العلم إليه يعمل على إصلاحه.

وبقي لنا أن نحاول التعرف على آراء العلماء المسلمين من فيزيائيين وفلكيين في الإشارات العلمية لهذه الآيات، وكيف أثر التراكم العلمي على تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الإشارات العلمية للآيات الكونية في القرآن الكريم.

المطلب الأول:

الإشارات العلمية في قوله تعالى: **[وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيءٍ حَيّ]**.[1]

لقد وضحنا في المبحث السابق استنتاجنا بأن الكون كله حي، وأن أصل مادته من الماء، وذلك من خلال هذه الآية، والآن نعرض قول علماء المسلمين في الإشارات العلمية الموجودة فيها.

يقول الدكتور زغلول النجار: أن الآية تشير إلى أن الماء وجد على الأرض قبل كل الخلائق، وذلك لتكون الأرض صالحة للحياة، ثم خلق الله كل صور الحياة الأرضية الباكرة في الماء، على اعتبار أنها أنسب البيئات لاستقبال الحياة، ثم خلق الله النبات، فالحيوان، وأخيراً الإنسان وهو المخلوق الأهم الذي جعل كل شيء مسخرٌ لخدمته.

والماء هو العنصر الأساسي لبناء أجساد كل الكائنات الحية، ومساعدها على الاستقرار بالقيام بمختلف النشاطات كالتغذية، والتكاثر، والتنفس.... وكلها لا تتم إلا بالماء.[2]

من الواضح أن مفهوم الكائن الحي عند النجار: هو الذي يتصف بصفات معينة: كالنمو والتكاثر... وأن الماء هو عنصر تركيب أساسي فقط في هذه المخلوقات التي خلق الماء لأجلها.

ونحن نقول: إن العلم عرف جزءاً من الأحياء، ولم يعرف كل الأحياء، وعرف بعض صفات الأحياء، ولم يعرفها كلها، ولكن القرآن الكريم أعلمنا أن الحياة هي صفة لكل مخلوق، سواء عرفنا نحن كيفية حياته أم لا.

---

[1] . سورة الأنبياء ، آية 30

[2]. (نجار،(2004–ب) ص ص117–130 بتصرف.

فالآية أشارت إلى أن "كل شيء حي" ولفظة "كل شيء" تعني: كل موجود، ولم تخصص الحياة كصفة خاصة فقط بالإنسان والحيوان والنبات.

ولو ركنا إلى العلم في قبول الأشياء أو ردها، لخالفنا القرآن الكريم والسنة الشريفة في كثير من الأمور التي لم يعترف بها العلم، ومثال ذلك: أن العلم لا يعترف بالروح، بينما القرآن الكريم أكد وجودها، فلو أخذنا ما قاله العلم وتركنا من جاء به القرآن الكريم، لكان ذلك رفض لكمال المعرفة الصادرة عن الله تعالى، وقبول لنقص المعرفة الصادرة عن البشر، وهذا كفرٌ محض، لذلك نحن لا نستغني عن الوحي بتاتاً لإكمال الصورة المعرفية للأشياء، وعليه فإننا نرى أن الآية تشير إلى أن الكون كله حي ومخلوق من الماء، والله أعلم.

وقد رجّح بعض الباحثين المعاصرين أن أصل مادة الكون هي الماء، مثل الباحث حسين العمري الذي[1] استرشد بقوله تعالى: **[وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء]** ليدلل على صحة قوله دون أن يقدم أي تفصيلات في ذلك.

وعلماء التفسير أقروا بوجود الماء قبل خلق الكون عندما فسروا **[وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء]** وعرضوا أحاديث نبوية فيها إشارة إلى أن الماء أصل مادة الكون، ولكن هؤلاء العلماء لم يخوضوا

---

[1]. (عمري، (2004) ص5 بتصرف.

بأي تفصيلات حول هذا الموضوع، لأن ورعهم كان يجعلهم يتحسبون من الخوض في آيات الله، خوفاً من أن يقولوا في كلام الله ما لا يحتمله، واكتفوا بدراسة الماء كجزء من الكون.

ومع التراكم العلمي الكبير، أصبح بالإمكان التوسع في تفسير الآيات، وهذا ما لاحظناه عند مفسري عصر النهضة، فاستخرجوا من كنوز هذه الآيات وغيرها معاني مضيئة هي بمثابة منارة لكل باحث عبر الأزمنة.

المطلب الثاني:

الإشارات العلمية في قوله تعالى: **[أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...]**،[1] تعالى وقوله: **[ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ...]**.[2]

إن هاتين الآيتين تتحدثان عن الكيفية التي كان عليها الكون قبل وجوده، وتبين الهيئة التي كان عليها قبل تشكله.

ولعلماء المسلمين رأي في الإشارات العلمية الموجودة في هاتين الآيتين، ونبدأ بعرض آراء العلماء في قوله تعالى: **[أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...]**.

يقول الدكتور زغلول النجار: إن هذه الآية تشير إلى أن الكون مخلوق له بداية، فقد كان جرم ابتدائي واحد، وهو يمثل مرحلة (الرتق) ثم أمر الله بفتق هذه الجرم الابتدائي فانفتق (مرحلة الفتق) وتحول إلى سحابة من الدخان.[3]

ومن العلماء من زاد بعض التفصيلات على دلالة الآية العلمية فقالوا: هناك إشارة تبين أن التركيب الأساسي للكون هو واحد في الجميع، فقد حوى عناصر كالهيدروجين والكربون، والغبار الكوني (السديم) وجميعها كانت (رتقاً) أي متكتلة ومتجمعة حول نواة واحدة لها جاذبية، تمّ (فتقها) أي فصل بعضها عن بعض لتشكل أجراماً سماوية تسبح في الفضاء.[4]

وأما الدكتور النعيمي فإنه يتبنى نظرية الانفجار العظيم كأقوى مرشح لتفسير الآية، فيقول: "إن الانفجار هو الفتق للأرض عن السماوات، ثم تجزئة السماوات إلى مكوناتها الفضائية".[5]

هذا خلاصة قول علماء المسلمين في إشارة هذه الآية الكريمة، وقد استندوا إلى أقوالهم هذه إلى المعلومات العلمية التي اعتبروها ثابتة، وخاصة أنها لا تتعارض مع مفهوم الآية، وما توصل إليه العلماء في شأن بداية خلق الكون ليس بأمر غيبي لا يمكن معرفته؛ لأن الله – تعالى– هو الذي

---

[1]. سورة الأنبياء، آية 30

[2]. سورة فصلت، آية 11

[3]. (نجار ، (2004–أ) ص95 بتصرف.

[4]. سليمان، محمد أحمد (1978) القرآن الكريم والعلم، ط2، دار العودة، بيروت، ص54.

[5]. (نعيمي ، (2000) ص45.

أخبر عن إمكانية معرفة بدء الخلق ونهايته، من خلال دعوته للناس للتفكر في الكون للتعرف على عظمته – سبحانه– في الخلق بداية ونهاية، فقال تعالى:
[قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ].[1]

وبعد استعراض آراء العلماء في إشارة آية "ولادة الكون"، نستعرض فيما يلي آراءهم في الآية التي تشير إلى تشكل الكون من الدخان بعد خلقه.

بقول الدكتور النجار: أن الآية تشير إلى أن الجرم الابتدائي عندما انفجر تحول إلى سحابة من الدخان خلق منها السماوات والأرض وكل الأجرام السماوية، وأن هذا الدخان مكون من إشعاع وجسيمات أولية تمددت وتبردت بسرعات فائقة حتى تحولت إلى غلالة من الدخان متراكم بعضها فوق بعض.[2]

وأما الدكتور مصطفى الدّباغ: فاعتبر لفظة "الدخان" – الواردة في الآية– إشارة إلى أن الغازات التي ملأت الفضاء بعد الانفجار العظيم (كالهيدروجين، والهيليوم): هي عبارة عن غاز يتصف بالخفة والسخونة والظلمة وسرعة التفكك، وأن هذا الغاز انفصلت أجزاؤه عن بعضها بعض، لتتشكل منه الأجرام السماوية الحالية.[3]

ويضيف الدكتور مصطفى حسين: إن إشارة "الدخان" – في الآية– تعتبر أفضل مرادف لخليط الغبار والغاز الساخن الذي انتشر في الفضاء وتكاثف ليكون "السديم" الذي نشأت عنه الأجرام.[4]

ويعتبر الدكتور حميد النعيمي أن الإشارة العلمية التي في الآية: هي تعبير عن قيام الله – تعالى– بخلق السماء وبنائها من الدخان بعد (الفتق)، أي بعد الانفجار العظيم، ووصف هذا الدخان بأنه سديم كبير مؤلف من الغازات والأتربة وليس بخاراً فقط.[5]

والباحث حسين العمري وصف هذا الدخان : بأنه إشعاع وجسيمات أولية انتشرت وعلت، وتكونت منه السماء أي بنيت.[6]

إن ما عرضناه من آراء للعلماء في الإشارة العلمية للآية، يظهر إجماعهم على أن الكون تشكل من الدخان الناتج عن الفتق للجرم الابتدائي.

---

[1]. سورة العنكبوت، آية 20

[2]. (نجار، (2004–أ) ص141 بتصرف يسير.

[3]. دباغ، مصطفى (1982) وجوه من الإعجاز القرآني ، ط1، مكتبة المنار، الأردن، ص92 بتصرف.

[4]. حسين، مصطفى (1987) مع القرآن الكريم في الكون إعجازاً وهداية، ط 1، بدون دار نشر، بدون بلد نشر، ص11 بتصرف.

[5]. (نعيمي ، (2000) ص91 بتصرف يسير.

[6].(عمري ، (2004) ص5

وقد لخص وحيد الدين خان الإشارات العلمية الواردة في الآيتين السابقتين بما يلي:

"إن المادة كانت جامدة وساكنة في أول الأمر، حيث كانت على صورة غاز كثيف متماسك (مرحلة الرتق) ثم حصل انفجار شديد في هذه المادة المتكاثفة (وهي مرحلة الفتق) فبدأت هذه الغازات الناتجة عن الانفجار تتمدد وتتباعد أطرافها؛ لأن الجاذبية بدأت تقل تدريجياً، ثم تحول الغاز إلى مادة تشكلت منها الأجرام الكونية كلها".[1]

إن ما قاله العلماء من دلالة هاتين الآيتين لهو دليل آخر على أنّ أصل الكون ماء صدر عنه دخان تكاثف في حيز صغير جداً، ثم انتشر ليتشكل منه الكون.

وهذا يظهر واضحاً فيما قاله وحيد الدين خان: من أن الدخان كان متماسك (رتقاً)، وقد بينا في فصل سابق كيف تكاثف هذا الدخان ومن أين أتى.

[1]. خان، وحيد الدين (1981) الإسلام يتحدى، ط6، دار البحوث العلمية، بدون ذكر بلد النشر، ص145.

المطلب الثالث:

الإشارات العلمية في قوله تعالى: **[وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ]**.[1]

وتشير الآية إلى تطور الكون وعدم ثباته.

ذكر علماء المسلمين: أن الآية تحمل إشارة علمية مهمة تبين أن الكون في حالة توسع دائم.

فقال الدكتور النجار: إن الآية تبين أن الكون منذ اللحظة الأولى لولادته وهو في حالة توسع مستمر حتى قيام الساعة.

واستدل على هذا التوسع من خلال عودة الكون إلى حالته التي بدأ منها عندما يأذن الله بالنهاية، فيبدأ الكون بالعودة بشكل عكسي إلى ما كان عليه "جرم ابتدائي" حيث تلتقي كل صور المادة والطاقة، والزمان والمكان – حسب رأيه– في نقطة واحدة من خلال عملية الانسحاق العظيم.[2]

وأضاف الدكتور نعيمي: أن التمدد والتوسع هو مكاني لا يشمل حجم المجرات أو محتوياتها.[3]

ويرى الباحث إبراهيم عويمر: أن هذا التوسع في حركة مستمرة، لكنها آخذة بالتباطؤ إلى أن تتوقف.[4]

أما الدكتور عبد المجيد الزنداني، فله إضافة تبين: أن الاتساع دائم سواء في تكوين مدن نجومية جديدة باستمرار أو في تباعد المدن النجومية في استمرار.[5]

---

[1]. سورة الذاريات، آية 47

[2]. (نجار ، (2004–أ) ص ص87،88 بتصرف.

[3]. (نعيمي ، (2000) ص88 بتصرف.

[4]. (عويمر ، (2001) ص140

[5]. زنداني، عبد المجيد (1985) توحيد الخالق، ط1، دار السلام، جدة، ص56.

إن فيما قاله العلماء ردًا قويا على القائلين بأزلية الكون، لأن هذا التوسع أثبت أن للكون نهاية كما كان له بداية، وفيه رفض لكل النظريات الفلسفية والعلمية التي تعتمد فكرة ثبات الكون.

المطلب الرابع:

الإشارات العلمية في قوله تعالى:

[يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ]،[1]وتشيرالآية إلى نهاية الكون.

تعرفنا في مبحث سابق على أقوال المفسرين في هذه الآية حول إشارتها بنهاية الكون نهاية تبديل.

أما العلماء فقالوا: إن هذه الآية تشير بشكل واضح إلى أن الكون بما فيه سينتهي.

فقال النجار في ذلك: أن الله – تعالى– سوف يطوي (أي يضم ويجمع) كل ما في الكون من مختلف صور المادة والطاقة، والزمان والمكان – حسب رأيه– على هيئة جرم ابتدائي ثانٍ– سمّاه الرتق الثاني– شبيه تماماً بالجرم الابتدائي الأول الذي كان (رتق أول) ونشأ عنه الانفجار العظيم للكون الحالي، وأن الجرم الثاني سوف ينفجر بأمر الله كما انفجر الجرم الأول، ثم يتحول إلى سحابة من الدخان كما تحول الجرم الأول، وعندها يخلق الله من هذا الدخان أرضاً غير أرضنا الحالية، وسماوات أخرى بشكل آخر وهذا وعدٌ من الله ذكره في آخر الآية، وعندها تبدأ الآخرة التي لها سنن وقوانين مغايرة لما في الدنيا.[2]

والنجار هنا يرجح فكرة دورة كونية أخرى، ولكن دون تحديد إذا ما كان الكون سيبقى هكذا على شكل دورات كونية متتالية إلى ما لا نهاية، أم أنها دورة كونية أولى وثانية فقط.

ويرجح أيضا فكرة الكون البديل لا الكون الفاني.

وللباحث إبراهيم عويمر تفصيلات أكثر في إشارة الآية فيقول: "أن الكون رغم توسعه وانتفاخه فهو في حالة انغلاق، أي أنه في حالة توسع وانغلاق في ذات الوقت، وهو أشبه ما يكون بكتاب مفتوح

---

[1]. سورة الأنبياء، آية 104

[2].(نجار ، (2004–أ) ص ص1992،193 بتصرف.

أخذ بالانغلاق بنفس الوقت حيث كانت بدايته كتلة واحدة، وستعود كتلة واحدة، وهذا ما وعد به الله".[1]

عويمر لم يذكر أي شيء عن دورات كونية جديدة، بل اكتفى بذكر أن الكون له نهاية حتمية لأن الله وعد بذلك.

أما الدكتور النعيمي : فيعتبر أن الآية تشير إلى أن يوم القيامة هو نهاية الكون تتبدل فيه أشكال وهيئات الأجرام، ولم يأخذ بفكرة دورة كونية جديدة على سبيل اليقين بل قبلها على سبيل الظن، وذلك لأنه اعتبر ذلك أمراً غيبياً لم يخبر عنه النص القرآني، وعلمه عند الله وحده.

وخلاصة قول النعيمي: أن الكون نهايته تكون يوم القيامة يتم فيها تبدل الأشكال الكونية، ولكن دون انسحاق عظيم، أي دون عودة إلى جرم ابتدائي.[2]

ونحن لا نتفق مع النعيمي فيما ذهب إليه من عدم وجود دورة كونية جديدة، بل نؤيد فكرة دورة كونية أخرى، وذلك بدلالة الآية الكريمة: **[يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ...]**،[3] وبدلالة الآية الكريمة **[كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ...]**.[4] فكلتاهما تشيران إلى أن الكون سيعود لدورة كونية ثانية بعد الانسحاق العظيم.

ولربما تحمل الآيات معنى: أن التبديل للأجرام يكون خلال عملية النهاية تمهيداً للقيامة، ودون انسحاق عظيم يعيد الكون للجرم الابتدائي، لكننا نرجح الرأي الأول للعلماء، والله أعلم بالصواب.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل عملية الانسحاق العظيم تستغرق مدة زمنية طويلة كما في الانفجار العظيم؟

إن الإجابة على هذا السؤال لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، والنبي – ρ – أخبرنا أن النفخة الأولى التي يموت على إثرها كل الخلق، يتبعها نفخة ثانية يعادون بعدها إلى الحياة، والفترة الزمنية بين النفخة الأولى والثانية والتي يتم تغيير الكون خلالها، قد تستغرق مدة زمنية قصيرة أو طويلة.

فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله(ρ) :

---

[1]. (عويمر ، (2001)، ص140

[2]. (نعيمي ، (2000) ص ص 93 ، 96 بتصرف

[3]. سورة إبراهيم ، آية 48

[4]. سورة الأنبياء ، آية 104

"ما بين النفختين أربعون"، قال: أربعون يوماً؟ قال: "أبيت"، قال: أربعون شهراً؟ قال: "أبيت"، قال: أربعون سنة؟ قال"أبيت"، قال: ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب ومنه يركّب الخلق يوم القيامة".[1]

وبذلك نكون قد وقفنا على أهم أقوال العلماء في دلالة الإشارات الكونية في آيات "مادة الكون" ونشأته وتطوره ونهايته.

رسم توضيحي يبين خلاصة دراستنا لأصل مادة الكون ونشأته وتطوره ونهايته، وعودته في دورة كونية جديدة.

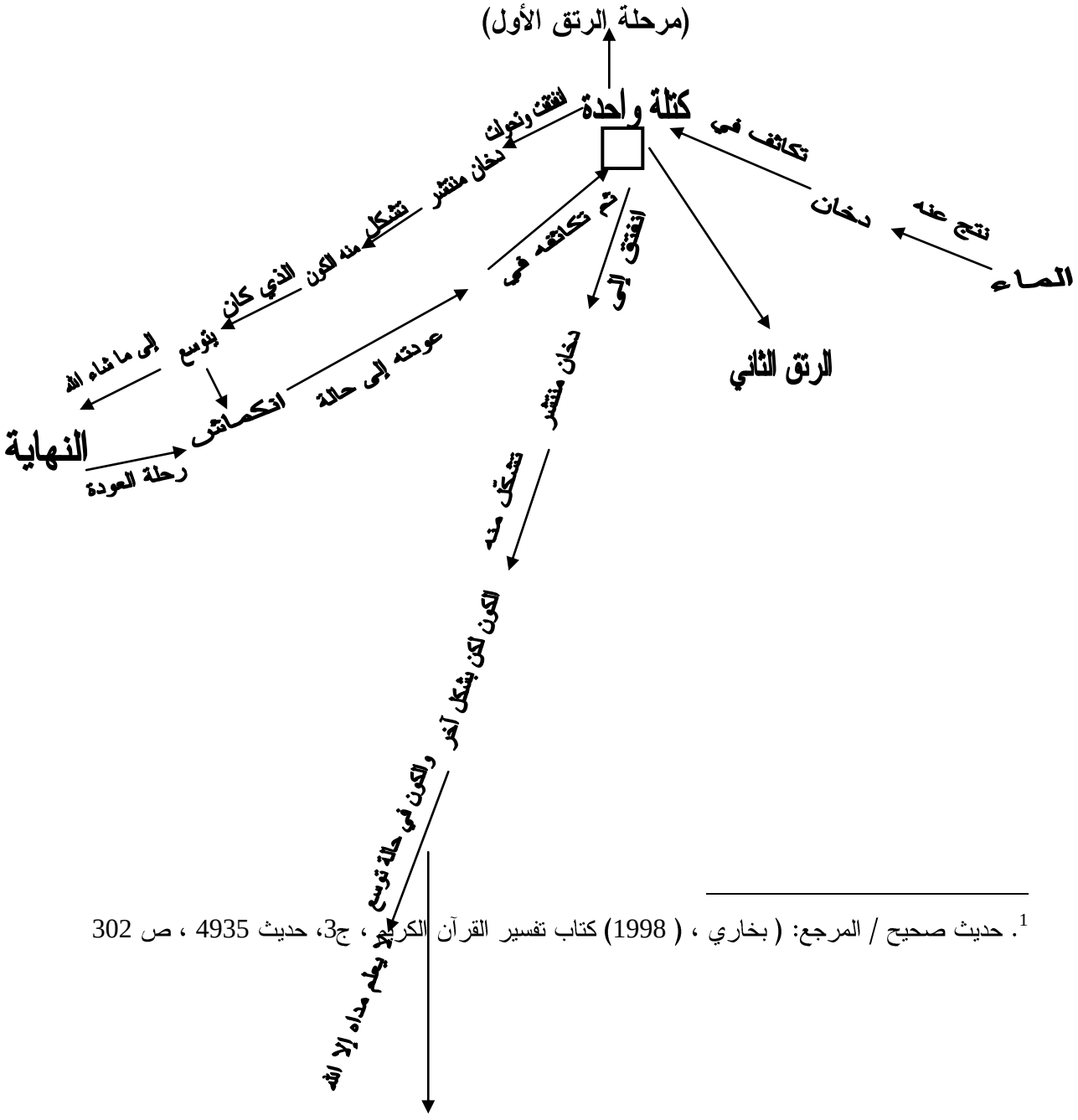

[1]. حديث صحيح / المرجع: (بخاري ، (1998) كتاب تفسير القرآن الكريم ، ج3، حديث 4935 ، ص 302

إلى هذه النقطة تنتهي دراستنا، ولم نجد ما يؤكد نهاية أخرى
وعودة إلى بدء آخر (أي دورات كونية متتالية) أو كون متذبذب

شكل (5:1) خلق الكون منذ تكونه من الماء حتى الدورة الكونية الثانية

المبحث الرابع: أثر التراكم العلمي على تفسير الآيات الكونية.

إن من أهداف هذه الدراسة محاولة التعرف على مدى تأثير التراكم العلمي على مناهج المفسرين في تفسير الآيات الكونية.

وقد لاحظنا أن هناك تأثيرا كبيرا للتراكم العلمي على مناهج المفسرين، لكنه تأثير أدى إلى التوسع في فهم معاني الألفاظ للآيات الكريمة، وليس تغييراً أو إلغاء لما قال به المفسرون عبر عصور التفسير المختلفة، لأن أي إلغاء لهذه المعاني يعني اتهام صفوة الأمة منذ عهد النبي – ρ – بقصور الفهم، وهم أهل القرآن الكريم وحفظته والعالمين به وبعلومه.

وعليه فالعلم ساهم في تفصيل المعاني لا إلغائها، فكل مفهوم جديد يكمل ما قبله بما يعين الناس على فهم كتاب الله بشكل أكبر وأوسع.

ولن تتوقف عجائب هذا الكتاب العظيم، فكل يوم نستخرج معانٍ أكثر تفصيلا من ألفاظ تزداد إعجازاً وتألقاً، وما يقال به اليوم قد يكون نقطة في بحر الغد.

وفيما يلي نستعرض تأثير التراكم العلمي على تفسير الآيات الكونية:

أولاً– أدى التراكم العلمي إلى فهم الآيات فهماً دقيقاً، وإزالة الإشكالات عنها، ولاحظنا كيف ساهم تطور تفسير الآيات من خلال الإشارات العلمية إلى تفتح مدارك الناس، وزيادة قدرتهم على استيعاب معاني الآيات بدون تشويش.

ثانياً– إن تسارع المعلومات دفع المسلمين إلى العودة إلى دراسة آيات القرآن الكريم بدقة أكبر، وعناية أكثر، وذلك في محاولة للبحث عن أسرار الكون في هذه الآيات، وهذا بدوره عمل على إخضاع الآيات الكونية لكثير من التفحص خلال البحث لفهم تلميحات الآيات وإشاراتها.[1]

ثالثاً– كان للتقدم العلمي في علوم الكون دوره في إثراء التوسع في الآيات الكونية، وجعلها تنطق بما تعني لأن العلماء أخذوا يدرسون ويبحثون في شتى العلوم الشرعية واللغوية والعلمية ليستطيعوا تفسير الآيات.

رابعاً– عمل التراكم العلمي على صياغة تفسير الآيات الكونية صياغة إعجازية، فأبرزت الآيات أن فيها ما يجعل أهل كل عصر يفهموا منها معنى من المعاني، يدل على شيء من أشياء الكون، وستبقى هذه المعاني تتسع باتساع دائرة المعرفة الإنسانية في تكامل لا يعرف التناقض.[2]

خامساً– أدت زيادة المعرفة العلمية إلى تفسير الآيات بما يناسبها من حقائق العلم بتحفظات خاضعة لشروط، من أجل عدم زعزعة إيمان الناس بالقرآن الكريم، ومن أجل إزالة الأوهام والشكوك التي برؤوسهم حول كثير من الإنجازات العلمية، ومن أجل إقناع الغير.[3]

سادساً– كان للتراكم العلمي فضل كبير في تنظيف الكثير من التفاسير من الأساطير الفلسفية والإسرائيليات، التي تسربت إلى مناهج التفسير بتأثير من الذين دخلوا الإسلام من أصحاب الملل والعقائد والفلسفات الأخرى.

سابعاً– أصبحت الآيات الكونية وسيلة للدعوة إلى الله، خاصة في أوساط علماء الغرب الذين كانوا يبهرون عندما يعلموا أن ما توصلوا إليه من معلومات ذكرها القرآن الكريم قبلهم بقرون عديدة، وهذا الأمر دعاهم لدراسة القرآن الكريم من أجل البحث والعلم، وتكون النتيجة أنهم يسلمون، ومن الأمثلة على هؤلاء:

الطبيب الفرنسي "موريس بوكاي" الذي دخل الإسلام بعد تشريحه لجثة فرعون، واكتشافه أنه مات غرقاً، فأخبره أحد زملائه أن القرآن الكريم يقول نفس المعلومة، فأخذ يدرس القرآن الكريم بدقة، مما أدى إلى إعلان إسلامه، بل وأصبح داعياً إلى الله من خلال إبراز صدق معلومات القرآن الكريم بالنسبة للتوراة والإنجيل والعلوم.

ثامناً– أدى التراكم العلمي إلى إبطال زيف الفلسفات الوجودية، التي تنفي حدوث الكون وتعتبره أزلياً، فما جاءت به العلوم أكدت أن الكون له بداية ونهاية، وليس أزلي الوجود، ولا أبدي البقاء وهذه المعلومات كلها موجودة في القرآن الكريم، فصدقها العلم، ورفض الفلسفة. [4]

---

[1]. مسلم، مصطفى (2004) مباحث في إعجاز القرآن الكريم، ط2، دار القلم، دمشق. ص162.

[2].(نجار ، (2004–أ) ص55 بتصرف يسير.

[3].(قرضاوي ، (2001) ص291 بتصرف.

[4]. (رازي ، (1995) ص162 بتصرف.

تاسعاً– من النتائج العظيمة للتراكم العلمي، أنه أدى إلى تفسير الآيات تفسيراً عسكرياً حربياً، وذلك بالامتثال لأمر الله للنظر في الكون والبحث فيه، ومعرفة أسراره، الأمر الذي يؤدي إلى امتلاك المسلمين قوة علمية تمكنهم من السيطرة على الأرض من خلال الفضاء، مما يدخل الرهبة في قلوب عدوهم ومثال ذلك، إرسال الصواريخ والأقمار الصناعية لكشف أحوال الأرض ومعرفة كل ما يحاك من مؤامرات للإسلام وأهله.[1]

وعليه فإن الآيات الكونية أصبحت تفسر بشكل يوازي التفسير الحربي للآيات التي تتحدث عن الجهاد، وتدعو لمحاربة الأعداء بكل وسائل القوة.

وقوله تعالى: **[وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ...]**.[2]، يدعو إلى ضرورة اتخاذ كل أشكال القوة التي ترهب الأعداء، ودراسة الكون من أجل تسخيره في محاربة الأعداء من ضمن هذه الأسلحة.

وأنشئ بناء على ذلك ما يعرف بالتفسير السياسي، الذي يقوي مكانة الإسلام ودولته، وعليه فإن العلوم العسكرية الفضائية أمر واجب لا يتم الواجب إلا به.[3]

عاشراً– عمل التراكم العلمي على القضاء على الجمود الذي أصاب التفسير في شتى مجالاته اللغوية والأدبية، والفقهية، والكونية...[4]

فازدياد المعرفة العلمية أوجد نشاطاً تفسيرياً عظيماً لا يمكن إنكاره؛ حيث انكب علماء المسلمين ومفسريهم على آيات القرآن الكريم يدرسونها ويبحثون فيها، ثم يستخرجون كنوزها الفقهية والعلمية واللغوية العظيمة.

حادي عشر– إن تأييد العلـــوم لما جاء في القرآن الكريم، أدى إلى إظهار كذب اليهـــود والنصارى في ادعاءاتهم أن التوراة والإنجيل كتب مقدسة، حوت معلومات كونية مصدرهـــا الوحي، حيث تناقضت هذه المعلومات مع آيات القرآن الكريم ومع العلـــوم التي أقرت بصدق القرآن الكريم.

ثاني عشر– أدى التراكم العلمي إلى تحقيق وعد الله بأنه سيكشف للناس أسرار الخلق.

فالله – تعالى– وعد بذلك في قوله: **[سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ...]**[5]

---

[1]. نجار، عبد الحليم (1985) مذاهب التفسير الإسلامي، ط3، دار اقرأ، بيروت، ص381 بتصرف.

[2]. سورة الأنفال، آية 60

[3]. (نجار ، (1985) ص381 بتصرف.

[4]. (ذهبي ، بدون سنة نشر) ص495 بتصرف.

[5]. سورة فصلت، آية 53

ثالث عشر– كشف التراكم العلمي زيف كثير من الذين حاولوا إثبات عدم صلاحية القرآن الكريم لكل العصور وخاصة عصر العلم هذا، بحجة أن التقادم الزمني للقرآن يبطل فاعليته، ومن أمثال هؤلاء: مصطفى محمود، الذي حاول أن يجعل القرآن الكريم خادماً للعلم، وليس العكس.[1]

بمعنى: أن كل معلومة في القرآن الكريم عارضها العلم ترفض، وكل معلومة في القرآن الكريم وافق عليها العلم تقبل، بينما الأصل هو: قبول كل معلومة علميه لا تخالف القرآن الكريم، ورفض كل معلومة تتناقض مع القرآن الكريم، فالقرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكل العلوم خادمة لعلومه وليس العكس.

رابع عشر– إن من أعظم إنجازات التراكم العلمي هو: إظهار حقيقة أن العلم في الكثير من معارفه لا يستغني عن الدين الإسلامي في إتمام الحقائق.[2]وهذا جلي فيما استنتجناه من أن أصل مادة الكون هو الماء، فالقرآن الكريم هو الذي أخبر عن وجود الماء قبل خلق الكون، بينما العلم بدأ دراسته من نقطة نشأة الكون، أما ما وراء ذلك لم يعرفه العلم، بينما القرآن الكريم أعلم الناس به.

خامس عشر– أدت المعرفة العلمية إلى توفير بيانات منحت العلماء القدرة على ترجيح بعض التفاسير على بعض في المضمون، وهذا يعني: أن النص القرآني قد أحاط بالتفسير العلمي قديماً وحديثاً مهما كان.[3]

سادس عشر– أدى التراكم العلمي إلى ظهور ما يعرف بالتفسير العلمي الإشاري، والإعجاز العلمي، ورغم الإيجابيات الكثيرة لهذين الفرعين من العلوم، إلا أن المتوسعين في التفسير العلمي أساؤوا في فهم القرآن الكريم؛ لأنهم اعتبروا أن القرآن الكريم يشتمل على كل العلوم بما فيها العلوم البحتة، واستدلوا بقوله تعالى: **[مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ]**،[4] وهم بذلك يجردون القرآن الكريم من كونه كتاب هداية يشتمل على إشارات علمية، وجعلوه كتاباً علمياً، وهذا مخالف لحقيقة القرآن الكريم كونه كتاب هداية.

ومن السلبيات الناتجة عن ظهور هذين العلمين هو: تصدر العديد من الهواة وأشباه المتعلمين للاشتغال بالتفسير الإشاري دون دراية أو علم، الأمر الذي أدى إلى نشر معلومات مغلوطة يحكمها الهوى، فاختلط الأمر على الناس، وأصبحت المعلومات عندهم مشوشة غير واضحة.

لكن هذا الأمر لا يخيفنا كثيراً، فكتاب الله محفوظ من الخطأ والتحريف بتكفل الله – تعالى– بحفظه.

---

[1]. (عك ، (1994) ص55.

[2]. عبد الله (2005) مسيرة الكون من الانفجار العظيم حتى غزو النجوم، مجلة العربي، عدد (561) الكويت، ص147.

[3]. (نعيمي ، (2000) ص84 بتصرف.

[4]. سورة الأنعام، آية 38

سابع عشر– عمل التراكم العلمي على بيان سبب عزة المسلمين، وعلو همتهم، وشموخ حضارتهم وهو هذا الكتاب العظيم الذي يوجه المسلمين لما فيه صلاحهم وصلاح البشرية، من خلال دعوته للعلم الذي ساهم برفع شأن الأمة بين الأمم، وجعلها في مقدمة الصفوف في كل شيء.

هذه خلاصة تأثير التراكم العلمي على تفسير آيات القرآن الكريم الكونية، ولكنها ليست كل شيء، فطالما هناك عقول تفكر وتنتج علماً، سيبقى التوسع في استخراج معانٍ جديدة من كتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه.

الخاتمـــــــــة:

بفضل من الله ومنّه تم الانتهاء من هذا البحث الذي يتناول تطور تصور الفكر البشري للكون، ومدى تأثير التراكمات العلمية والفلسفية والوحي في هذا التصور، وعليه إنني أذكر في الخاتمة أهم النتائج والتوصيات.

النتائج:

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى إضافة معلومة جديدة لم يقل بها العلم من قبل وهي: أن أصل الكون من الماء،ولخصنا هذه النتيجة في خريطة أوردناها في الشكل (5:1) أبرزنا من خلالها دورة الكون الأولى مبتدئين ببيان أصل مادة الكون حتى الدورة الكونية الثانية التي تقف دراستنا عندها .

واستنتجنا أيضا: أن الكون كله حي، وليس الإنسان والنبات والحيوان فقط.

وهناك نتيجة أخرى تظهر أن الزمان والمكان خلقا قبل الكون، وليس مع الانفجار العظيم، وأنهما لن ينتهيا بعد الانسحاق العظيم.

التوصيـــــات:

نوصي بلزوم التعمق في دراسة الآيات الكونية دراسة دقيقة متفحصة، ومجردة عن الهوى، كما ونوصي بضرورة التأكد من صحة الخريطة الواردة في الشكل (5:1) التي تتناول الدورة الكونية الأولى؛ وذلك من خلال الانفتاح على المجتمع العلمي الإنساني من أجل توجيه سهام البحث عن أصل الكون إلى هذه الخريطة التي نأمل أن تكون نقطة البداية للبحث العلمي في أصل مادة الكون .

ونوصي بتقوى الله، وعدم تحكم الأهواء في أبحاثنا المتعلقة بالقرآن الكريم والسنة المشرفة، وأن تكون نوايانا في البحث هي وجه الله تعالى.

وفي الختام ندعو الله ــ تعالى ــ أن لا يؤاخذنا فيما أخطأنا أو نسينا، وأن يعفو عن زلاتنا الغير مقصودة في البحث، فإن أصبنا فمنة وفضل منه – سبحانه– وإن أخطأنا فمن عند أنفسنا ومن الشيطان، ولكن رحمته واسعة.

ونرجوه – سبحانه– أن يسدد على طريق العلم النافع خطانا جميعاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس (المسارد)

فهرس آيات القرآن الكريم .
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .
فهرس الأثر .
فهرس المراجع .
فهرس الأشعار .
فهرس الأعلام المترجم لهم.
فهرس الأماكن.
فهرس الأشكال .
فهرس المصطلحات (التعريفات).
فهرس المحتويات

فهرس الآيات

السورة	الآيـــــــــــــــة	رقمها
البقرة	"الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً..."	22
	"...ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ..."	29
	"أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ... "	75
	"قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ... "	144
	"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ... "	189
	"عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ... "	236
آل عمران	"إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ"	5
	"يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ..."	71
	"...وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا..."	83
	"وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ..."	85
	"كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُم..."	185
	"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... "	190
النساء	"خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا..."	1
	"...وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"	82
المائدة	"...يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ..."	13
	"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ ..."	69

الأنعام	"وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ... " "مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ..."	38 38

السورة	الآيـــــــــــــــة	رقمها
الأنعام	"وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ... " "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ..." "يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا..."	73 97 125
الأعراف	"وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ... " "وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ..." "وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ..." "أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..." "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا... "	54 57 171 185 187
الأنفال	"...وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ..." "وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ..."	46 60
التوبة	"...يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ..."	36
يونس	"...وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ..." "...حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ..."	5 22
هود	"وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ..." "...وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ..." "وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي..."	7 7 44
الرعد	" اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ..." " هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ..."	2 12

السورة	الآيـــــــــــــــة	رقمها
الرعد	" وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ..."	13

	"... أمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ ..."	16
	" أوَلَمْ يَرَوْا أنَّا نَأتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أطْرَافِهَا ..."	41
إبراهيم	"... وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ..."	32
	" وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ..."	33
	"... وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ"	46
	" يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ... "	48
الحجر	" إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"	9
	" وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ"	14
	" وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ..."	16
	" وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ..."	22
	" فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ..."	22
	" وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ"	22
النحل	" وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ ..."	5
	" وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ..."	8
	" يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ ..."	11
	"... وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ..."	12
	" وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا ..."	14
	" وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ..."	15

السورة	الآيـــــــــــــة	رقمها
النحل	"... وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ"	16
	" إنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إذَا أَرَدْنَاهُ ..."	40
	" يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ..."	50
	" وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي ..."	68
	" أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ ..."	79

الإسراء	" وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ..."	12
	" تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ ..."	44
	"... وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ..."	44
	" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ..."	70
	" وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا"	85
الكهف	" حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا ..."	90
طه	" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا"	105
	" فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا"	107+106
الأنبياء	"لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا..."	22
	"أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ..."	30
	"...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ..."	30
	"وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ..."	32
	"وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ..."	33

السورة	الآيـــــــــــــة	رقمها
الأنبياء	"يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ..."	104
	"...كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ..."	104
الحج	"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ ..."	1
	"...وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً..."	5
	"...وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ"	47
	"أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ ..."	65
	"...وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ..."	65
	"...وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا..."	73
المؤمنون	"ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ..."	14

	"وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ..."	18
النور	"أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ ..."	40
	"وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ..."	45
	"...كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"	61
الفرقان	"وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ..."	53
	"...وَقَمَرًا مُنِيرًا"	61
الشعراء	"قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ "	23
	"قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ"	24
	"فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ ..."	63
	"وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ"	149

السورة	الآيـــــــــــــــة	رقمها
النمل	"وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ..."	88
القصص	"قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا ..."	71
	"قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا ..."	72
العنكبوت	"قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ..."	20
	"...وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ..."	41
	"خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ..."	44
	"وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ..."	61
الروم	"...مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا..."	8
	"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ..."	20
لقمان	"أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ..."	20
السجدة	"اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ..."	4

الأحزاب	"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ ..."	9
	"يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ..."	63
	"إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ..."	72
فاطر	"...وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ ..."	27
	"...وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ..."	44
يس	"سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ..."	36
	"وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ..."	38

السورة	الآيـــــــــــــة	رقمها
يس	"...وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"	40
	" وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ"	41
	"وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ"	43
	" الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ..."	80
الصافات	"أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ"	42،41
	"فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ"	142
الزمر	"...مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى "	3
	"...يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ ..."	5
	"...وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ..."	67
فصلت	"ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ..."	11
	"فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ..."	12
	" وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا..."	12
	"...لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ..."	37
	"سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ..."	53
الشورى	"...لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"	11
الدخان	"فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ"	10

	" وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا ..."	24
الأحقاف	"...ريحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ..."	25،24

السورة	الآيـــــــــــــة	رقمها
الحجرات	"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى..."	13
ق	"أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ..."	6
	"وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا ..."	7
	"وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ..."	38
الذاريات	"وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ"	7
	"وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ"	22
	"وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ"	47
	"وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ"	56
الطور	"يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا"	9
القمر	"اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ"	1
الرحمن	"فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ"	37
الواقعة	"وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا"	5
	"أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ"	69
	"فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ"	75
الحديد	"هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ..."	3
الحشر	"...الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ ..."	23
الطلاق	"اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ..."	12

السورة	الآيـــــــــــــــة	رقمها
الملك	"قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ..."	30
الحاقة	" وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً"	14
	" وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ"	16
المعارج	" يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ"	8
	" فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ"	40
نوح	" وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ..."	16
الجن	" وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا"	8
القيامة	" فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ"	(9،8،7)
	" إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ"	(18،17)
المرسلات	" فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ"	8
	وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ..."	27
النبأ	"وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا"	(11،10)
	"وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا"	12
	"وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا"	13
النازعات	" فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى"	24
	"أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا"	31
	" وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا"	32

السورة	الآيـــــــــــــــة	رقمها
التكوير	" إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ"	1
	" وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ"	11
الانفطار	"وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ"	2
	" وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ"	3

الانشقاق	" وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ"	(4،3)
البروج	" وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ" " إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ"	1 13
الطارق	" وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ" " وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ"	(3،2) 11
الغاشية	" لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ"	6
الليل	" وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى"	3
التين	" لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ"	4
القارعة	"وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ"	5
الإخلاص	"وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ"	4

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	الحديث	تخريجه	رقم الصفحة التي ورد فيها
1	"اقبلوا البشرى يا بني تميم...."	صحيح البخاري	108
2	"اللهم فقهه في الدين..."	مسند أحمد	100
3	"إن الشمس والقمر..."	صحيح بخاري	53
4	"إنكم محشورون إلى الله..."	صحيح بخاري	122

5	"إن الله قدر مقادير الخلائق...."	صحيح مسلم	114
6	"تدري أين تذهب؟ قلت الله ورسوله أعلم..."	صحيح بخاري	124+53
7	"قال رسول الله (ρ): ما بين النفختين..."	صحيح بخاري	133
8	" كان الله ولم يكن شيئا غيره..."	صحيح بخاري	77
9	" كل شيء خلق من ماء "	مسند أحمد	111
10	" لا تنقضي عجائبه ..."	سنن الترمذي	105
11	"لما قضى الله الخلق كتب في كتابه..."	صحيح البخاري	114

فهرس الأثر

رقمه	الأثر	المأثور عنه	تخريجه	رقم الصفحة الوارد فيها
1-	"إن العرش كان قبل أن يخلق الله السماوات....".	وهب بن منبه، سهل بن عكر	ذكره الطبري في تاريخه، والحاكم المستدرك.	110
2-	"إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء...".	ابن عباس	البيهقي في كتاب الأسماء والصفات.	113
3-	"إن الله خلق ياقوتة خضراء..."	كعب الأحبار	ذكره القرطبي في تفسيره،	109

4-	"على أي شيء كان الماء...".	ابن عباس	ولم نعثر له على تخريج ذكره الطبري في تاريخه، والحاكم في المستدرك	109

فهرس المراجـــــــــــع

1-	**القرآن الكريم**
2-	**ابن حزم**، علي بن أحمد بن سعيد، (ت: 456هـ) الفصل في الملل والأهواء والنحل، الطبعة أولى، أربعة أجزاء، دار الكتب العلمية، 1996 بيروت.
3-	**ابن حنبل**، أبو عبدالله أحمد بن محمد (ت: 241هـ) المسند، شرح: أحمد محمد شاكر، ط 1 20 جزء، دار الحديث، القاهرة. 1995.
4-	**ابن رشد**، محمد بن أحمد (ت: 595هـ) تهافت التهافت، تحقيق: سليمان دينا، الطبعة الثانية جزءان، دار المعارف، مصر، 1982.

5-	**ابن سيدة**، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ) المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، 10 أجزاء دار الكتب العلمية، بيروت.
6-	**ابن سينا**، حسين عبدالله (ت: 432هـ) الإشارات والتنبيهات، تحقيق: سليمان دينا، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، 1958م.
7-	**ابن كثير**، عماد الدين أبو الفداء ابن كثير الدمشقي (ت: 774هـ) تفسير القرآن الكريم العظيم، تقديم: عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية، مكتبة دار السلام، الرياض، 1997.
8-	**ابن كثير**، ع (1999) مختصر ابن كثير، دون ذكر اسم المختصر، الطبعة الأولى، 4 أجزاء دار الصابوني للطباعة، القاهرة.
9-	**ابن كثير**، ع(2002) تفسير القرآن الكريم العظيم، بدون طبعة، دار الفكر، بيروت.
10-	**ابن الكلبي**، (لا يوجد اسم أول (1965) كتاب الأصنام، الطبعة الأولى، الدار القومية القاهرة.
11-	**ابن منظور**، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت: 711هـ) لسان العرب، الطبعة الثالثة، 8 أجزاء دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1999.
12-	**أبو الرب**، محمود عبد المعطي (2003) التكنولوجيا برهان على إعجاز القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
13-	**أبو زهرة**، م،أ (بدون سنة نشر) زهرة التفاسير، بدون طبعة، 10 أجزاء دار الفكر، القاهرة.
14-	**أبو العينين** ، حسن (1996) من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في ضوء الدراسات الجغرافية الفلكية والطبيعية، الطبعة الأولى، جزءان، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.
15-	**أحمد**، إبراهيم خليل (بدون سنة نشر) محمد في التوراة والقرآن الكريم والإنجيل، بدون طبعة، مكتبة الوعي العربي، بدون بلد النشر.
16-	**إدريس**، أحمد (1987) تاريخ الإنجيل والكنيسة، الطبعة السابعة، دار حراء، مكة.
17-	**إدريس**، جعفرشيخ(2001) الفيزياء ووجود الخالق، الطبعة الأولى، مكتبة الملك فهد، الرياض.
18-	**أسود**، محمد رجب (بدون سنة نشر) شوامخ وأعلام الإسلام، بدون طبعة، مكتبة معروف الإسكندرية.
19-	**أعظمي**، محمد ضياء (2003) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، الطبعة الثانية، مكتبة الرشيد، العراق.
20-	**ألوسي**، أبو الثناء محمود شكري (ت: 1270هـ) بلوغ الأرب في معرفة أصول العرب، بدون طبعة، بدون دار نشر، 1924.
21-	**ألوسي**، م، ش(1985) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم العظيم والسبع المثاني، الطبعة الرابعة دار التراث العربي، بيروت.

22-	**أمين**، أحمد (بدون سنة نشر) ضحى الإسلام، الطبعة العاشرة، دار الكتاب العربي، بيروت.
23-	**أنيس**،إبراهيم، ومنتصر، عبد الحليم، وأحمد، محمد خلف الله (1972) المعجم الوسيط، الطبعة الثانية بدون دار نشر القاهرة.
24-	**إيمار**، أندريه وآخرون (1998) تاريخ الحضارة العام: إشراف: موريس كروزيه، ترجمة: فريد داغر، وفؤاد ريحان، الطبعة الرابعة، منشورات عويدات، بيروت، وباريس.
25-	**بارودي**، عماد زكي (بدون سنة نشر) الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة، بدون طبعة، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
26-	**بخاري**، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بين بردزبة (ت: 256هـ) صحيح البخاري، طبعة منقحة، أربعة أجزاء، مكتبة الإيمان، المنصورة، 1998.
27-	**برس**، جروس (1991) معجم الحضارات السامية، ترجمة: هنري عبودي، الطبعة الثانية، بدون دار نشر، طرابلس، لبنان.
28	**برغوثي**،ع،أ، أبو سمرة،م،أ، عفانة،ح،م (2002) صناعة التنجيم بين الإسلام والعلم والواقع (بحث) المجلة الفلكية، العدد الرابع.
29-	**برغوثي**،ع،أ، أبو سمرة،م،أ، عيسى،م،س، نعيمي،ح،م (2004) أهم الإنجازات الفلكية لدى علماء المسلمين في الفترة الممتدة من القرن الثامن الميلادي لغاية القرن الرابع عشر الميلادي (بحث) المجلة الفلكية، العدد الرابع.
30-	**برغوثي**،عماد أحمد، **ونعيمي**،حميد مجول (1996) نسبة إنجاز العلوم الطبيعية والكونية إلى العلوم الأخرى لدى علماء المسلمين (بحث) جامعة آل البيت، معهد الفلك وعلوم الفضاء، المفرق الأردن.
31-	**بوكاي**، موريس (1987-أ) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، ترجمة: دار المعارف، بدون طبعة، دار المعارف، مصر.
32-	**بوكاي**، م (1987-ب) الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة، بدون طبعة، دار المعارف، مصر.
33-	**بيضاوي**، ناصر الدين عبد الله بن عمر، (ت: 685هـ) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الطبعة الأولى، دار البيان العربي، مصر، (2002).
34-	**بيهقي**، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت: 458هـ) الأسماء والصفات، بدون طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
35-	**توراة السمرة** (لم يرد أي توثيق للكتاب).
36-	**ترمذي**، محمد بن عيسى بن سورة (ت: 279هـ) سنن الترميذي، الطبعة الأولى، مكتبة

	المعارف للنشر، دون بلد نشر.
37-	**جابري**، محمد عابد (1998) ابن رشد سيرة وفكر، بدون طبعة، مركز دراسات الوحدة، بيروت.
38-	**جامعة القدس المفتوحة** (2000) الحضارة العربية الإسلامية، بدون طبعة، بدون دار نشر عمان.
39-	**جامعة القدس المفتوحة** (2001) تاريخ الدولة العباسية، الطبعة الأولى، بدون دار نشر، عمان.
40-	**جامعة القدس المفتوحة** (2003) الحضارة البشرية ومنجزاتها، الطبعة الثالثة، دون دار نشر عمان.
41-	**جمل**، عبد الباسط، **وجمل**، داليا صديق (بدون سنة نشر) موسوعة الإشارات العلمية في القرآن الكريم والسنة النبوية، بدون طبعة، دار غريب، القاهرة.
42-	**جوزية**، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم (ت: 751هـ) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تحقيق: مصطفى البابلي الحلبي، بدون طبعة، بدون دار نشر، بدون مكان نشر.
43-	**جوهري**، طنطاوي (1347هـ) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، الطبعة الأولى، 27 جزء، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر.
44-	**حاكم**، أبو عبدالله محمد بن عبدالله النيسابوري (ت: 405هـ) المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم وتبيين ما أشكل من أسماء الرجال في الصحيحين، تحقيق: د. إبراهيم بن علي بن محمد آل كليب، مكتبة العبيكان، الرياض، 2002.
45-	**حاكم**، م (2002) المستدرك على الصحيحين، بدون طبعة، مجلدان، بدون دار نشر، بدون بلد نشر.
46-	**حجاج**، محمد أحمد (1992) النصرانية من التوحيد إلى التثليث، الطبعة الأولى، دار القلم دمشق.
47-	**حر**، محمد كامل (المعد) (1991) ابن سينا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
48-	**حسب النبي**، منصور (1996) إعجاز القرآن الكريم في آفاق الزمان والمكان، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، مصر.
49-	**حسب النبي**، م (1997) الكون والإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي القاهرة.
50-	**حسب النبي**، م (بدون سنة نشر) القرآن الكريم والعلم الحديث، بدون طبعة، دار المعارف

	القاهرة.
51-	**حسن**،علي حسن، **وسالم**،عبد الرحمن (بدون سنة نشر) موسوعة سفير، العصر العباسي في العراق، بدون طبعة، 12 جزء، القاهرة.
52-	**حسين**، مصطفى (1987) مع القرآن الكريم في الكون إعجازاً وهداية، الطبعة الأولى، بدون دار نشر، بدون بلد نشر.
53-	**حلبي**، برهان الدين (بدون سنة نشر) السيرة الحلبية، بدون طبعة، دار المعرفة، بيروت.
54-	**حلمي**، مصطفى (2004) الإسلام والأديان دراسة مقارنة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت.
55-	**حماية**، محمود علي (1983) ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان، الطبعة الأولى، دار المعارف القاهرة.
56-	**حموي**، ياقوت (1997) معجم البلدان، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
57-	**حنفي**، أبو السعود محمد بن محمد العمادي القسطنطيني (ت: 972هـ) تفسير أبي السعود الطبعة الأولى، 12 جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999.
58-	**حنفي**، عبد المنعم (2003) الموسوعة الصوفية، بدون طبعة، مكتبة مدبولي، القاهرة.
59-	**خالدي**، صلاح عبد الفتاح (1986) مدخل إلى ظلال القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار المنارة، جدة.
60-	**خالدي**، ص،ع (1989) البيان في إعجاز القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار عمان للنشر، عمان.
61-	**خالدي**، ص،ع (2001) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق.
62-	**خان**، محمد عبد المعين (1937) الأساطير العربية قبل الإسلام، بدون طبعة، بدون دار نشر، بيروت.
63-	**خان**، وحيد الدين (1981) الإسلام يتحدى، الطبعة السادسة، دار البحوث العلمية، بدون ذكر بلد النشر.
64-	**خضر**،عبد العليم (1984) الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن الكريم، الطبعة الأولى، الدار السعودية، جدة.
65-	**خضر**، نبيل (المحقق) دون ذكر اسم المؤلف(2003) النصرانية في ميزان العقل والإسلام، الطبعة الثالثة، بدون دار نشر، إربد.
66-	**خضوري**، حنا (1981) تاريخ الفكر المسيحي، الطبعة الأولى، دار الثقافة، بدون بلد نشر.
67-	**خلف**، طلال محمد (بدون سنة نشر) قيم اليهود في القصص القرآني، الطبعة الأولى، دار آفاق

	للطباعة، غزة، فلسطين.
68-	**دباغ**، مصطفى (1982) وجوه من الإعجاز القرآني، الطبعة الأولى، مكتبة المنار، الأردن.
69-	**ديورانت**، وول (بدون سنة نشر) قصة الحضارة، إعداد: سهيل محمد ديب، بدون طبعة (28جزء)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
70-	**ذهبي**، شمس الدين محمد بن أحمد (ت: 748هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق: محب الدين العمروري، الطبعة الأولى، 17 جزء، دار الفكر، بيروت، 1996.
71-	**ذهبي**، ش،م (ت: 748) مختصر العلو للعلي الغفار، المحدث: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، المكتب الإسلامي، 1401هـ.
72-	**ذهبي**، محمد حسين (بدون سنة نشر) التفسير والمفسرون، بدون طبعة، بدون دار نشر، جزءان، حلوان مصر.
73-	**رازي**، محمد بن عمر بن حسن فخر الدين (ت: 606هـ) مفاتيح الغيب، تقديم: محيي الدين الميس، الطبعة الأولى، المكتبة التجارية، بيروت، 1995.
74-	**راشد**، رشدي (مشرف) (1997) موسوعة تاريخ العلوم العربية، بدون طبعة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
75-	**رضا**، محمد رشيد (1999) تفسير القرآن الكريم الحكيم المنار، الطبعة الأولى، 15 جزء، دار الكتب العلمية بيروت.
76-	**زحيلي**، محمد (بدون سنة نشر) ابن كثير الحافظ المفسر، بدون طبعة، سلسلة أعلام المسلمين، بدون رقم، دمشق.
77-	**زركلي**، خير الدين (2002) الأعلام، طبعة 15، 8 أجزاء، دار الفكر، القاهرة.
78-	**سالم**، سيد عبد العزيز (1970) تاريخ العرب في العصر الجاهلي، بدون طبعة، دار النهضة العربية بيروت.
79-	**سفر أشعيا**، لا يوجد للكتاب أي توثيق.
80-	**سليمان**، محمد أحمد (1978) القرآن الكريم والعلم، الطبعة الثانية، دار العودة، بيروت.
81-	**سواح**، فراس (1986) اللغز عشتار، بدون طبعة، بدون دار نشر، دمشق.
82-	**سوسة**، أحمد (1975) مفصل العرب واليهود في التاريخ، الطبعة الخامسة، بدون دار نشر، بغداد.
83-	**سوسة**، أ (2001) ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، الطبعة الثانية المؤسسة العربية للدراسات، بيروت.
84-	**شاكر**، محمود (2002) موسوعة تاريخ اليهود، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر، عمان.

85-	**شرف**، محمد جلال (1980) الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت.
86-	**شرف الدين**، خليل (1982) ابن رشد، الطبعة الأولى، مكتبة الهلال، بيروت.
87-	**شرفا**، إسماعيل (بدون سنة نشر) الموسوعة الفلسفية، بدون طبعة، دار أسامة للنشر، عمان.
88-	**شعراوي**، محمد متولي (1991) تفسير الشعراوي، الطبعة الأولى، مجمع البحوث الإسلامية، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، الأزهر، مصر.
89-	**شلبي**، أحمد (1981) أديان الهند الكبرى، الطبعة الأولى، بدون دار نشر، مصر.
90-	**شيخو**، لويس (1989) شعراء النصرانية قبل الإسلام، بدون طبعة، دار المشرق، بيروت.
91-	**شيخو**،ل (1989) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية، الطبعة الثانية، دار المشرق، بيروت.
92-	**صابوني**، محمد علي (1982) صفوة التفاسير، تجريد: عبدالله إبراهيم الأنصاري، الطبعة الأولى مطابع الدوحة الحديثة، قطر.
93-	**صلابي**، علي محمد حميد (1998) عصر الدولتين الأموية والعباسية، الطبعة الأولى، دار البيارق، الأردن.
94-	**صليبا**، جميل (1981) من أفلاطون إلى ابن سينا، الطبعة الثانية، دار الأندلس، بدون بلد نشر.
95-	**ضيف**، شوقي (1960) العصر الجاهلي، بدون طبعة، بدون دار نشر، القاهرة.
96-	**ضيف**، ش (بدون سنة) معجزات القرآن الكريم، بدون طبعة، دار المعارف، القاهرة.
97-	**طائي**، محمد باسل (1998) خلق الكون بين العلم والإيمان، الطبعة الأولى، دار النفائس، بيروت.
98-	طبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، 11 جزء، دار سويدان، بيروت، 1967.
99-	**طبري**، م،ج (بدون سنة نشر) جامع البيان عن تأويل القرآن الكريم، بدون طبعة، 20 جزء، لجنة التراث الإسلامي، بيت المقدس.
100-	**طحاوي**، أحمد سلامة (1981) أصول العقيدة الطحاوية، شرح: علي بن أبي العز الأذرعي، الطبعة الأولى، مكتبة الإخاء، قلقيلية، فلسطين.
101-	**عباس**،فضل، **وعباس** ،سناء فضل (2001) إعجاز القرآن الكريم، الطبعة الرابعة، دار الفرقان، عمان.
102	**عبدالباقي**،محمد فؤاد (1994) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بدون طبعة، دار الحديث، القاهرة.

103-	**عبدالله**، علي حسين (2005) مسيرة الكون من الانفجار العظيم حتى غزو النجوم، مجلة العربي الكويت.
104-	**عبدالله**، محمد محمود (بدون سنة نشر) جمال القرآن الكريم وهيمنته على التاريخ والعلوم، بدون طبعة، مؤسسة الرسالة، الإسكندرية.
105-	**عبد الحليم**، سمير (2000) الإعجاز القرآني، الطبعة الأولى، مكتبة الأحباب، بيروت.
106-	**عبد الصمد**، محمد كامل (1990) الإعجاز العلمي في الإسلام، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية القاهرة.
107-	**عبد العزيز**، سعد (بدون سنة نشر) فلاسفة الإسلام، بدون طبعة، دار الشعب، القاهرة.
108-	**عرجون**، محمد صادق (1966) القرآن الكريم العظيم وهدايته، الطبعة الأولى، دار الاتحاد، مصر.
109-	**عرفات**، محمد مختار (2003) إعجاز القرآن الكريم في العلوم الجغرافية، الطبعة الأولى، دار اقرأ، دمشق.
110-	**عك**، خالد عبد الرحمن (1994) أصول التفسير وقواعده، الطبعة الثالثة، دار النفائس، بيروت.
111-	**علي**، جواد (1971) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بدون طبعة، دار العلم للملايين بيروت.
112-	**عمري**، حسين يوسف (2004-أ) بعض أسرار القسم الرباني بمواقع النجوم، (بحث، رقم 19/16) جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.
113-	**عمري**، ح،ي (2004- ب) خلق الكون بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية (بحث، رقم 1914)، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.
114-	**عميرة**، عبد الرحمن (1998) الكون والحياة بين العلم والدين، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت.
115-	**غالب**، مصطفى (1983) موسوعة ابن سينا، الطبعة الرابعة، مكتبة الهلال، بيروت.
116-	**غزال**، طلال (2001) قصة الخلق من التكوين إلى التكوير، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت.
117-	**غنمي**، سيد سلامة (2000) التوراة والأناجيل بين التناقض والأساطير، الطبعة الأولى، دار الأحمدي للنشر، القاهرة.
118-	**فروخ**، عمر (1979) تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، الطبعة الأولى، دار العلم للملايين بيروت.

119-	**فريز**، حسني وآخرون (بدون سنة نشر) التاريخ العام، بدون طبعة، مكتبة الأندلس، القدس.
120-	**فندي**، جمال الدين (بدون سنة نشر) القرآن الكريم والعلم، بدون طبعة، دار المعرفة، القاهرة.
121-	**قاسم**، عبد الرؤوف (2000) في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار الإعلام، عمان.
122-	**قاسم**، محمود (1986) الإسلام والحقائق العلمية، الطبعة الأولى، دار الهجرة، بيروت.
123-	**قبيسي**،دانيال (1995) تنبؤات علمية على ضوء الدين، بدون طبعة، دار المناهل، بيروت.
124-	**قرضاوي**، يوسف (2001) العقل والعلم في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة بيروت.
125-	**قرطبي**، أبو عبدالله محمد بن أحمد أنصاري (ت: 756هـ) الجامع لأحكام القرآن الكريم، ط1 20جزء، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1986.
126-	**قطب**، سيد (1992) في ظلال القرآن الكريم، الطبعة (17)، (6 أجزاء)، دار الشروق، القاهرة.
127-	**قنديل**، محمد حسن (2000) مواقف وإعجازات وقدرة الله البديع، الطبعة الأولى، مكتبة بستان المعرفة، مصر.
128-	**كامل**، فؤاد وآخرون (المترجمون)، محمود، ز (مراجع) (بدون سنة نشر) الموسوعة الفلسفية المختصرة، بدون طبعة، دار القلم، بيروت.
129-	**كحالة**، عمر رضا (بدون سنة نشر) معجم المؤلفين، بدون طبعة، 15 جزء، دار إحصاء التراث العربي، بيروت.
130-	**كرم**، يوسف (1970) تاريخ الفلسفة اليونانية، الطبعة الخامسة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة للنشر، القاهرة.
131-	**كرملي**، أنستاس ماري (بدون سنة نشر) نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها، بدون طبعة، عالم الكتب القاهرة.
132-	**كريك**، فرنسيس (1988) صيغة الحياة، (لم يذكر المترجم)، الطبعة الأولى، عالم المعرفة، الكويت.
133-	**كفافي**، عبد السلام (1972) في علوم القرآن الكريم دراسات ومحاضرات، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية بيروت.
134-	**كلوز**، فرانك (1994) النهاية، الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون، ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي، الطبعة الأولى، موسوعة عالم المعرفة، رقم (191)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

135-	**كياو**، لين (2001) علم الفلك الصيني القديم، المجلة الفلكية، العدد الأول، الدار العالمية للطباعة والنشر، روما، بيزا.
136-	**ماجدي**، خزعل (1998) إنجيل بابل، الطبعة الأولى، منشورات الأهلية، عمان.
137-	**مؤسسة أعمال الموسوعة** (1992) الموسوعة العربية العالمية، الطبعة الثانية، بدون دار نشر، بدون بلد نشر.
138-	**مبيض**، يسر محمد (1992) اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، الطبعة الأولى مكتبة الغزالي، الدوحة.
139-	**محمد**،مصطفى مسلم (1994) معالم قرآنية في الصراع مع اليهود، الطبعة الأولى، دار المسلم، الرياض.
140-	**محمود**،يوسف (1996) الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت.
141-	**محمود**،ي (2000) سيسمولوجيا العلم والتكنولوجيا، الطبعة الأولى، دار وائل للطباعة والنشر عمان.
142-	**مروة**، حسين (1980) النزعات المادية في الفلسفة العربية، الطبعة الثالثة، جزءان، دار الفارابي بيروت.
143-	**مسلم**، أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ) صحيح مسلم، طبعة منقحة، دار ابن الهيثم، القاهرة. (2001).
144-	**مسلم**، م (2003) مباحث في إعجاز القرآن الكريم، الطبعة الثانية، دار القلم، دمشق.
145-	**مظهر**، سليمان (2002) قصة الديانات الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، بدون ذكر بلد النشر
146-	**معموري**،ناجح(2002) الأسطورة والتوراة، الطبعة الثانية، المؤسسة العربية للدراسات بيروت
147-	**ملاح**، ياسر (2002) دروس في علوم القرآن الكريم، الطبعة الثانية، دار البيان، بيت لحم، فلسطين.
148-	**منصري**، فيصل (2003) هذا خلق الله، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت.
149-	**منصور**، محمد أحمد (2001) موسوعة أعلام الفلاسفة، الطبعة الأولى، دار أسامة للنشر، عمان.
150-	**مودودي**، أبو أعلى (1397هـ) المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، الطبعة السادسة، دار القلم، الكويت.
151-	**موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية** (2001) أديان العرب قبل الإسلام، أديتو كربس للنشر، بدون بلد نشر.

152-	**ميموني**،جمال، **وقسوم**،نضال (2002) قصة الكون من التصورات البدائية إلى الانفجار العظيم، الطبعة الثانية، دار المعرفة، الجزائر.
153-	**ناضوري**، رشيد (1969) المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني، بدون طبعة، بدون دار نشر بيروت.
155-	**نجار**، زغلول (2003) المفهوم العلمي للجبال، الطبعة الخامسة، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
156-	**نجار**، ز (2004-أ) السماء في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت.
157-	**نجار**، ز (2004-ب) البنات في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة.
157-	**نجار**، عبد الحليم (1985) مذاهب التفسير الإسلامي، الطبعة الثالثة، دار اقرأ، بيروت.
158-	**نعيمي**،ح،م، وبرغوثي،ع،أ (1996) التدرج الزمني لمساهمات الرافدين في علوم الفضاء للفترة (3000) ق.م. حتى سقوط بغداد (بحث علمي، رقم (3) مجلة المؤرخ العربي، بغداد، لم ينشر.
159-	**نعيمي**، ح،م (2000) الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، ط، مكتبة الرائد العلمية، عمان.
160-	**وافي**، عبد الواحد (1964) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، بدون طبعة، دار نهضة مصر مصر.
161-	**يحيى**، هارون (2003) المعجزات القرآنية، الطبعة الأولى، ناشرون للطباعة، بيروت.

مراجع الانترنت

1-	باسكال، حيلوط (2005) إحياء علوم الفلك، بدون ذكر بلد النشر
	http://www.fikrwanadk.aljabriabed.com/n33-04hilot.htm, 2.11.2005
2-	بلاغ، (2005) النهضة في الوطن العربي، البدايات والآفاق، بدون ذكر بلد الموقع.
	http://www.balagh.com/islam/ip0owuf7.htm, 1.9.2005
3-	خالد، نبيل (2005) ميثولوجيا الآلهة المصرية، مصر آلهة وشرور، مصر.
	http://www.nabilkhaled.org/egypt4.html, 25.4.2005
4-	رحيلي، ح،أ (2005) العلمانية وموقف الإسلام منها، الإمارات.
	http://www.uaetoon.net/vb/showthread.php, 25.4.2005
5-	عوف، أحمد محمد (2005) موسوعة حضارة العالم، قدماء المصريين، تسعة أجزاء، بدون مكان نشر.

	http://www.arwikibooks.org/wiki, 4.7.2005
6-	فضل الله، محمد حسين (2004) الكونفوشسية، سوريا.
	http://www.arabic,bayynat.org.ib/adian/konfososeya.htm, 6.4.2004
7-	منتدى لؤلؤة الشرق العربي (2004) جثة فرعون والرئيس الفرنسي، مصر.
	http://www.egyptsons.com/misr/showthread.php?, 15.3.2004
8-	منتديات الخطامي (2004) علوم العرب قبل الإسلام، الرياض.
	http://www.alkhutamah.net/vb/showthread.php?=1260, 10.4.2004

فهرس الأشعار

الرقم	الشعر	قائله	رقم الصفحة التي ورد فيها
1-	إله العالمين، وكل أرض وربّ الراسيات من الجبال	أمية بن أبي الصلت	41

فهرس الأعلام المترجم لهم

الرقم	اسم العلم	الصفحة التي ورد فيها
1-	ابن تيمية	83
2-	ابن حزم	32
3-	ابن عباس	100
4-	ابن كثير	102
5-	أبو زهرة	103
6-	أرسطو	13
7-	أفلاطون	13
8-	أمية بن أبي الصلت	41
9-	أينشتاين	87

10-	بطليموس	14
11-	بولس الرسول	35
12-	بيضاوي	102
13-	جورج لوماتر	87
14-	حمورابي	7
15-	رازي، فخر الدين	102
16-	سعيد بن جبير	101
17-	سقراط	14
18-	سيد قطب	103
19-	طبري، محمد بن جرير	101
20-	طنطاوي جوهري	102
21-	غزالي، أبو حامد	75
22-	قرطبي	101
23-	قسطنطين	34
24-	المأمون	69
25-	المنصور	70
26-	موريس بوكاي	27
27-	نيوتن	73
28-	هابل	92

فهرس الأماكن

الرقم	المكان	رقم الصفحة التي ورد فيها
1-	أفشنة	79
2-	خوارزم	72
3-	كريت	12

فهرس الأشكال

الرقم	الشكل	رقم الصفحة التي ورد فيها
1-	(5:1) خلق الكون منذ تكونه من الماء حتى الدورة الكونية الثانية.	132

فهرس المصطلحات (التعريفـــــــــــات)

الرقم	تعريفـــــات عامة
1	**الأحبار:** جمع حبر، وتعني: العالِمْ المحكم للشيء، وهم علماء اليهود. (شاكر، 2002) ص56.
2	**الأسطورة:** جمعها أساطير، وتعني: الأباطيل والأحاديث العجيبة أ: (أنيس، وآخرون، 1972) ص429
3	**أقنوم:** هو الشخص القائم في طبيعة عاقلة، وهو الجسد. (خضر، 2003) ص283.

4	**التجديد:** هو إحياء العمل بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بمحاولة فهم الفروع المستجدة بإرجاعها إلى أصولها من الكتاب والسنة. (بلاغ، 2005) إنترنت.
5	**العشاء الأخير:** هو العشاء الأخير الذي تناوله عيسى – عليه السلام – مع تلاميذه، إذ اقتسم معهم الخبز الذي يرمز إلى جسده الذي كُسِر، والخمر الذي يرمز إلى دمه الذي سفك من أجل إنقاذ البشرية. (وذلك حسب المعتقدات المسيحية). (زحيلي، 2005) إنترنت
6	**غُرْلاً:** بدون ختان (بخاري، 1998) ج3، كتاب تفسير القرآن الكريم، ص228، في المتن.
7	**الوجوديون:** الذين لا يؤمنون بأن الكون مخلوق، وله خالق، بل يؤمنون بأزلية الوجود. (إدريس، 2001) ص77

الرقم	تعريفـــــــات علميـــــــة:
8	**الإلكترونات:** جسيم أولي ذو شحنة سالبة، وأحد مكونات الذرة، وهو ما يحمل الكهرباء خلال الأسلاك. (كلوز، 1994) ص 335
9	**البروتون:** أحد الجسيمات المكونة للنواة، ويحمل شحنة موجبة، ويعطي النواة شحنتها الكهربائية، ويتكون من ثلاث كواركات. (كلوز، 1994) ص 336
10	**البوزيترون:** ضديد الإلكترون، يحمل شحنة كهربائية موجبة، ويظل مستقراً حتى يلاقي أحد الإلكترونات فيفني أحدهما الآخر إلى إشعاع كهرومغناطيسي. (كلوز، 1994) ص 336

11	**السنة الضوئية:** هي المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة واحدة، وتقدر بـــ 300 ألف كم/ث. (قبيسي، 1995) ص 13
12	**الفوتونات:** حزمة من الإشعاع الكهرومغناطيسي، وحامل قوة مغناطيسية. (كلوز، 1994) ص 335
13	**الكوارك:** هي إحدى مكونات المادة الأساسية، وتجمعاتها تشكل النيوترونات، والبروتونات في النواة الذرية. (كلوز، 1994) ص 336
14	**النيوترون:** وهو زميل البروتون في النوى الذرية، وهو بلا شحنة كهربائية. (كلوز، 1994) ص 335

فهرس المحتويـــــــات

الموضـــــــــــــــوع	رقم الصفحة
الإهداء	
الإقرار	أ
الشكر والعرفان	ب
الملخص باللغة العربية	ج
الملخص باللغة الإنجليزية	هـــ
المقدمـــــــة	ز
الفصل الأول: تصور الحضارات القديمة للكون	
تقديم	1

تعريف عام بالكون	2
المبحث الأول: تصور المصريين القدامى للكون.	3
المبحث الثاني: تصور البابليين للكون.	7
المبحث الثالث: تصور الإغريق اليونان للكون.	12
المبحث الرابع: تصور الهنود والصينيين القدامى للكون	17
الفصل الثاني: الكون في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم	
تقديم	22
المبحث الأول: الكون في التوراة.	23
المطلب الأول: تعريف عام بالتوراة.	24
المطلب الثاني: تصور التوراة للكون.	26
المبحث الثاني: الكون في الإنجيل.	34
المطلب الأول: تعريف عام بالإنجيل.	34
المطلب الثاني: تصور الإنجيل للكون.	36
المبحث الثالث: تصور عرب الجاهلية للكون.	41
المبحث الرابع: الكون في القرآن الكريم.	46
المطلب الأول: تعريف عام بالقرآن الكريم.	46
المطلب الثاني: حقيقة الكون في القرآن الكريم.	47
المطلب الثالث: حقيقة نهاية الكون في القرآن الكريم	65
الفصل الثالث: الكون عند علماء المسلمين.	
تقديم	68
المبحث الأول: تصور البيروني للكون.	71
المبحث الثاني: تصور ابن رشد للكون.	74
المبحث الثالث: تصور ابن سينا للكون.	78
الفصل الرابع: تصور العلم الحديث للكون.	
تقديم	84
المبحث الأول: التصور العلمي لمادة الكون.	84

المبحث الثاني: التصور العلمي لنشوء الكون (الانفجار العظيم).	88
المبحث الثالث: التصور العلمي لتطور الكون وتوسعه.	91
المبحث الرابع: التصور العلمي لنهاية الكون.	96
الفصل الخامس: تطور فهم دلالة الآيات الكونية في القرآن الكريم بين التفسير والعلم.	
المبحث الأول: مقدمة في علم التفسير.	98
المطلب الأول: معنى التفسير في اللغة والاصطلاح.	98
المطلب الثاني: نشأة علم التفسير وتطوره.	99
المبحث الثاني: أقوال المفسرين في تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم عبر عصور التفسير.	107
المطلب الأول: أقوال المفسرين في قوله تعالى: " ...وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ...". إشارة إلى أصل مادة الكون (الماء).	107
المطلب الثالث: أقوال المفسرين في قوله تعالى: "وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ" إشارة إلى توسع الكون.	118

المطلب الرابع: أقوال المفسرين في قوله تعالى: "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ". إشارة إلى نهاية الكون.	120
المبحث الثالث: الإشارات العلمية للآيات الكونية في القرآن الكريم.	124
المطلب الأول: الإشارات العلمية في قوله تعالى: "وَجَعَلنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيءٍ حَيّ".	124
المطلب الثاني:الإشارات العلمية في قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا".	126
المطلب الثالث:الإشارات العلمية في قوله تعالى: " وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ".	129
المطلب الرابع: الإشارات العلمية في قوله تعالى: "يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ".	130

المبحث الرابع: أثر التراكم العلمي على تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم.	133
الخاتمـــــة	137
الفهارس	138
فهرس الآيات	139
فهرس الأحاديث	149
فهرس الأثر	150
فهرس المراجع	151
فهرس الأشعار	162
فهرس الأعلام المترجم لهم	163
فهرس الأماكن	165
فهرس الأشكال	166
فهرس المصطلحات (التعريفات)	167
.فهرس المحتويات	169